

النسيم

مجلة اللغة العربية والدراسات الأدبية

الترقيم الدولي: ٢٨١٤-١٨٥٧



إصدار قسم اللغة العربية،

كلية الفنون والعلوم الإنسانية

الجامعة الفدرالية، دوشي، ولاية جغاوا، نيجيريا

المجلد الأول، العدد الخامس، ١٤٤٧هـ/٢٠٢٦م

هيئة التحرير

- الأستاذ الدكتور محمد حسن محمد رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور موسى يوسف تمي المحرر
الدكتور إبراهيم أبوبكر مصطفى عضو
الدكتور محمد موسى سودنغي عضو
الدكتور ناصر الدين إبراهيم أحمد سكرتير

الهيئة الاستشارية

- الأستاذ الدكتور ثاني عمر موسى جامعة عثمان بن فوديو، صكتو
الأستاذ الدكتور يحيى سليمان إمام جامعة بايرو كنو
الأستاذ الدكتور عبد الغني عبد السلام جامعة إلورن
الأستاذ الدكتور أحمد جعفر عبد الملك جامع أحمد بللو، زاريا
الأستاذ الدكتور حسن محمد نور محمد جامعة قناة السويس



شروط النشر:

- تشرط المجلة الشروط التالية لنشر كل مقال:
- ألا يكون البحث أو المقال قد سبق نشره.
- أن يمتاز الموضوع بالجدة والأصالة والابتكار والمنهجية السليمة والتوثيق العلمي مع سلامة اللغة والتعبير.
- أن يقوم الكاتب بتقديم البحث أو المقال مطبوعاً في حدود ١٠-٢٠ صفحة بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع، ويرسلها إلى البريد الإلكتروني التالي: annaseemjournal2021@gmail.com
- تحتفظ المجلة بحق نشر البحث أو المقال المقرر نشره في العدد المناسب.
- يدفع كل مشارك عشرين ألف نيرا، خمسة آلاف نيرا للتحكيم، وخمسة عشر ألف نيرا للنشر.
- عنوان المراسلة:

The Editor in Chief,
An-Naseem Journal,
Department of Arabic,
Federal University Dutse,
Jigawa State.

محتويات العدد

محتويات العدد

١- "لا" الناهية واستعمالاتها في كتاب عمدة الأحكام من كلام خير الأنام: دراسة نحوية دلالية.

عبد الرشيد محمد جامع.....١
صور من المحسنات اللفظية في كتاب "القطاف الدانية" للشيخ مصطفى جمعة أديوالي دراسة بلاغية تحليلية

الدكتور محمد أولينكا بن علم اليقين إيكلي.....١٠
المورفيم الظاهر في قصيدة "بث الشوق والشكوى" للشيخ محمد غريم الداغر: دراسة صرفية تحليلية لنماذج المختارة

رحمة شعيب والأستاذ الدكتور عبد السلام أمين الله أتوتليطو.....٢٩
الصورة التوضيحية في المعاجم اللغوية المتوسطة الواقع والآفاق: دراسة وصفية نموذجية

الدكتور إدريس خالد و بابا الحاج علي.....٤٢
الاتجاه الإسلامي في شعر بعض نساء مدينة إلورن: عرض ودراسة

عبد الوهاب أحمد.....٥٤
مظاهر التطور الدلالي بين مختار الصحاح والمعجم الوسيط نماذج دلالية معجمية

الدكتور يوسف سليمان أديمي والدكتور لقمان ألاوي إسحاق.....٦٨
الحواس وسيميائيتها في شعر ابن الونان الشهير بالشمقمقية، دراسة لسانية دلالية

الدكتور عبدالله عبدالرحمن.....٨٣
الشعر الاجتماعي لدى البردي: قصيدته لتهنئة العاهل السعودي خادم الحرمين الشريفين نموذجاً

الدكتور محمد أولينكي إيكلي والدكتور شعيب عمران أيندي.....٩٩



الحركة الشعرية وبعض رموزها في مدينة أدي ١٩٧٠م إلى ٢٠١٠م

الدكتور أديوجو قاسم عبد الكريم..... ١١١

أساليب الخبر في المديح النبوي لحامد محمود إبراهيم الهجري: دراسة بلاغية

عبد الفتاح أبوبكر ووالدة حنة فميلييو أبوبكر حامد..... ١٢٥

الصور البلاغية في قصيدة "دار العلوم..." للأستاذ الدكتور عيسى ألي أبوبكر

شيخ إبراهيم صالح..... ١٣٨

دراسة لبعض الأنماط النحوية والأسلوبية في نص مسؤولية الإمام محمد الأول أبوبكر

الكنوي

الدكتور موسى حسين محمد البشير (أريكيوسولا)..... ١٥٤

الخطاب أداة للتواصل والتأثير: دراسة تاريخية

بابا الحاج علي..... ١٧٣

السكاكي وكتابه مفتاح العلوم: دراسة وصفية

عبد السلام عمر..... ١٨٠



"لا" الناهية واستعمالاتها في كتاب عمدة الأحكام من كلام خير الأنام: دراسة نحوية دلالية.

عبد الرشيد محمد جامع

عميد كلية الشيخ أبي بكر محمود جومى - كدونا

PHD24 ARB 0001

jamiuarrasheed@gmail.com

(08035501267)

ملخص البحث:

استهل الباحث هذه المقالة بمقدمة عن موضوع البحث "لا" الناهية والعاملة عمل ليس واستعمالاتها في كتاب "عمدة الأحكام من كلام خير الأنام دراسة نحوية دلالية، وقد انتهج الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والوصفي، وذلك بقراءة الكتب النحوية واللغوية لاستنباط "لا" الناهية والعاملة عمل ليس في تلك الكتب، ثم بين طريقة استخدامهما في الكتاب المدرس، لقد قام الباحث بدراسة هاتين اللاتين في الكتاب المدرس، فوجد الباحث "لا" الناهية في الكتاب ودرسها مع إيراد بعض الأمثلة ليتضح المقصود من دلالة "لا" الناهية ثم تليه النتائج التي توصل إليها الباحث ثم الخاتمة.

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل العربية لسان الصدق وقال: "إنا أنزلناه قرآن عربيا لعلكم تعقلون". يوسف: ٢، ثم الصلاة والسلام على القائل: "إنما أوتيت جوامع الكلم"^(١)، يقول عبدالقاهر الجرجاني: "إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورحبانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسنه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه"، ومن المتأكد عليه أن البحث مثل هذا يدرس المواقع الأساسية لإفصاح معرفة معاني الحروف وأمثالها في كتب

الأحاديث، لخدمة أقوال وأفعال الرسول الكريم واستنباط الأحكام الشرعية منها. وقسم الباحث هذه المقالة إلى محاور تالية:

المحور الأول: نبذة تاريخية عن تلاميذ المؤلف وثناء العلماء عليه.

المحور الثاني: دراسة "لا" الناهية نظرية وتطبيقية.

المحور الثالث: دراسة "لا" العاملة عمل ليس وشروط عملها.

المحور الرابع: دراسة تطبيقية لها تبين لائين في الكتاب المدرس.

المحور الأول: نبذة تاريخية عن تلاميذ المؤلف وثناء العلماء عليه:

نبذة تاريخية عن حياة المؤلف:

هو الإمام الحافظ تقي الدين أبو محمد عبدالغني عبدالواحد بن علي مسرور بن رافع بن حسن بن جعفر بن إبراهيم المقتول بن إسماعيل بن الأمير جعفر السيد الأغر الجماعيلي، ولد بجماعيل من أرض نابلس من بيت المقدس في ربيع الآخر، سنة ٥٤١هـ الموافق ١١٤٦م. وقد انتقل مع أسرته من بيت المقدس إلى دمشق.

تعلم في سن المبكرة، على عميد أسرته العلامة الفاضل الشيخ محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو عمر، وعلى شيوخ دمشق وعلمائها أخذ عنهم الفقه وغيره من العلوم، في دمشق والإسكندرية، وبيت المقدس، ومصر وبغداد وخران والموصل، وأصبهان وهمدان وغيرها.

وفي العام ٥٦١هـ، ارتحل مع ابن خاله الشيخ الموفق إلى بغداد فأقام فيها أربع سنين، وكان الموفق يميل إلى دراسة الفقه، والحافظ عبدالغني يميل إلى الحديث، فنزلا على الشيخ عبدالقادر الجيلاني وقرأ عليه شيئاً من الحديث والفقه لمدة أربعين يوماً ثم مات عبدالقادر، ثم سمع من كل أبي الفتح ابن البطي، وأحمد بن المقرئ الكرخي، وغيرهم، ثم عاد إلى دمشق، ثم سافر إلى مصر وسمع من السلفي، ثم عاد إلى دمشق، ثم إلى الإسكندرية وذلك في سنة ٥٧٠هـ، وأقام بها ثلاث سنين، وسمع بها من الحافظ السلفي ثم عاد إلى دمشق، ولم يزل ينسخ ويصنف ويحدث ويفيد المسلمين، ويعبد الله حتى توفاه الله على ذلك في سنة ٦٠٠هـ وله من العمر ٥٩ سنة ودفن بمقبرة القرافة بمصر.

وله طلاب عديد أخذوا منه العلوم، منهم الشيخ موفق الدين، والحافظ عز الدين مُجَدِّد، والحافظ أبو موسى عبدالله والفقيه أبو سليمان أولادة، والحافظ ضياء، والخطيب سليمان بن رحمة الأسعدي وغيرهم وقد تتلمذ هو أيضا على شيوخ من معقل رأسه أو خارجه.^(٢)

أما ثناء العلماء عليه:

قال الذهبي عن الحافظ المقدسي "الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق العابد الأثري المتبع"، وقال سبط بن الجوزي "كان عبد الغني ورعاً عابداً يصلي كل يوم ثلاثمائة ركعة، ويقوم الليل ويصوم عامة السنة، وكان كريماً جواداً لا يدخر شيئاً، ويتصدق على الأرامل والأيتام حيث لا يراه أحد، وكان يرقع ثوبه ويؤثر بثمن الحديد، وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء، وكان أوجد زمانه في علم الحديث والحفظ".

وقال ابن البخاري: "حدث بالكثير وصنف في الحديث، وكان غزير الحفظ من أهل الإتقان والتجويد قيماً بجميع فنون الحديث عارفاً بقوانينه وأصوله وعلمه وصحيحه وسقيمه وناسخه ومنسوخه، وغريبه ومشكله وفقهه ومعانيه، وضبط أسماء رواته ومعرفة أحوالهم، وكان كثير العبادة، ورعاً متمسكاً بالسنة على قوانين السلف، وعن عبد العزيز بن عبد الملك الشيباني، قال: سمعت التاج الكندي يقول: لم يكن بعد الدار قطني مثل الحافظ عبد الغني، وقال مواقف الدين. "كان عبد الغني جامعاً للعلم والعمل، وكان رفيقي في الصبا، وفي طلب العلم، وما لنا نستبق إلى خير إلا سبقني إليه إلا القليل، وكفل الله فضيلته بأذى أهل البدعة وعدوانهم، ورزق العلم وتحصيل الكتب الكثيرة إلا أنه لم يعمر"^(٣).

المحور الثاني: دراسة "لا" الناهية نظرية:

أن "لا" الناهية موضوعة لطلب الترك، وتختص بالدخول على الفعل المضارع، وتقتضي جزمه واستقباله، سواء كان المطلوب منه مخاطباً نحو: "لا تأكل نهار رمضان"، أو الغائب، نحو قوله تعالى: "لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء" آل عمران آية (٢٨) أو متمكناً نحو "لا أرينك ههنا" وقوله: والأصل: لا تكن ههنا فأراك، واختلف في "لا" من قوله تعالى: "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة" الأنفال آية: ٢٥، على قولين، أحدهما: أنها ناهية، فتكون

من هذا، والأصل لا تتعرضوا للفتنة فتصيبكم، ثم عدل عن النهي وعن التعرض إلى النهي عن الإصابة، لأن الإصابة مسببة عن التعرض، وأسند هذا السبب إلى فاعله، وعلى هذا فالإصابة خاصة بالمتعرضين، وتوكيد الفعل بالنون واضح لاقتترانه بحرف الطلب مثل: "لا تحسبن الله غافلاً" إبراهيم آية: ٤٢، ولكن وقوع الطلب صفة للنكرة ممتنع، فوجب إضمار القول، أي واتقوا فتنة مقولاً فيها ذلك^(٤). وأن الفرق بين "لا" الناهية والنافية، أن الناهية يحزم المضارع المستقبل، وأنها قد تكون للخطاب أو الغياب أو الممكن، ولكن النافية لا تجزم المضارع، بل يكون مرفوعاً، وأنها تعمل في الأفعال الثلاثة، الماضي والمضارع والأمر، وكذلك في الأسماء^(٥).

المحور الرابع: دراسة تطبيقية لـ"لا" الناهية في كتاب عمدة الأحكام من كلام خير الأنام.

من المعلوم أن هذا الحرف "لا" الناهية يدخل على الفعل المضارع فيجزمه، ويكون للنهي، وقد تابع الباحث وجود هذا الحرف في الكتاب (عمدة الأحكام عن كلام خير الأنام) فيقول: في كتاب الطهارة، في الحديث الخامس، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل منه" ولمسلم، "لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب"^(٦).

فالشاهد في الحديث، هو ورود "لا" الناهية في موضعين في هذا الحديث مرة مع الفعل المضارع المؤكد توكيد ثقيلًا، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام "لا يبولن" فـ"لا" حرف النهي مبني على السكون لا محل لها من الإعراب، و"يبولن" فعل مضارع مجزوم محلاً بها، وحرك بالفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. (أحدكم) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، وهو مضاف و(كم) مضاف إليه مبني على السكون في محل جر.

وجاء كذلك في الحديث الشريف مع الفعل المضارع المجزوم لفظاً، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام في رواية مسلم: (لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب)، و"لا" حرف النهي مبني على السكون لا محل لها من الإعراب و(يغتسل) فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه السكون، و(أحدكم) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، وهو مضاف و(كم) مضاف إليه، و(في الماء الدائم) جار ومجرور متعلقان بالفعل "يغتسل"، (وهو جنب)، واو: واو الحال، مبني على الفتح، وهو: ضمير منفصل، مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ،

وجنب: خبر مبتدأ، مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره. والجمله الاسمية المتكونة من مبتدأ وخبره في محل نصب حال.

فدلالة "لا" هنا نهي التبول في الماء الدائم، لأن ذلك يؤذي الآخرين، وقد يسبب المرضى الفتاكة ولحرصه ﷺ صحة أمته، استعمل "لا" الناهية، لتجنب فعل من هذا القبيل. والمثال الآخر، لدراسة تطبيقية لـ "لا" الناهية في الكتاب المدرس، وفي باب دخول الخلاء، والاستطابة، وفي الحديث الثاني عشر، عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أتيتم الغائط فلا^(٧) تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول، ولا تستدبروها، ولكن شرقوا وغربوا فقال أبو أيوب، فقدمنا الشام، فوجدنا مراحيض قد بنيت نحو الكعبة، فتحرف عنها، وتستغفر الله جل جلاله.

فالشاهد في الحديث ورود "لا" الناهية في قوله عليه الصلاة والسلام (فلا تستقبلوا القبلة..... ولا تستدبروها)، ف(لا) حرف النهي مبني على السكون لا محل لها من الإعراب، و(تستقبلوا) فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، و(واو الجماعة) ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، و(القبلة) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره، فدلالة "لا" الناهية هنا النهي عن استقبال القبلة لقضاء الحاجة، لأنها قبلة الصلاة، ومواضع التكريم والتقديس، و(لا تستدبروها) فـ "لا" حرف النهي مبني على السكون لا محل لها من الإعراب، و(تستدبروها) فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، و(واو الجماعة) ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، و(ها) ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به.

فدلالة "لا" هنا منع استدبار القبلة عند قضاء الحاجة وإن كان المرحض بني على استقبال القبلة، فليتحرف الإنسان عنها قليلا بقدر الاستطاعة، ثم يستغفر الله، كما قال أبو أيوب الأنصاري لما وصلوا الشام.

وفي باب حضور النساء المسجد، في الحديث الثامن والخمسين، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "إذا استأذنت أحدكم امراته إلى المسجد فلا يمنعها" قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لئمنعن، قال: فأقبل عليه فسيبه سباً ما سمعته سيبه مثله قط، وقال:

أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعن؟! وفي لفظ لمسلم: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"^(٨).

فالشاهد في الحديث هو ورود "لا" الناهية في رواية لمسلم (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) فـ"لا" حرف النهي مبني على السكون لا محل لها من الإعراب، و(تمنعوا) فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة و(واو الجماعة) ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل و(إماء) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره، وهو مضاف، و(الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره.

فدلالة "لا" هنا، هي عدم منع النساء لحضور المسجد لأداء الصلوات وذلك حتى لا تفوتن فضل الجماعة وأجرها، إذا توفرت أسباب الأمن، ولكن إذا كان ذهابهن يؤدي إلى الفتنة، فالواجب أن يصلين في البيوت، أما سماعهن للوعظ والإرشاد وخطب الأعياد فيجب حضورهن، لحديث أم عطية: أمرنا أن نخرج في العيدين العواتق وذولت الخدور.

وفي المثال الآخر، في باب الإمامة، وذلك في الحديث الثالث والسبعين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا كبر فمبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعين"^(٩).

فالشاهد في الحديث هو ورود "لا" الناهية في قوله (فلا تختلفوا) فـ"لا" حرف النهي مبني على السكون لا محل لها من الإعراب، و(تختلفوا) فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، و(واو الجماعة) ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

فدلالة "لا" هنا عدم التقدم على الإمام في الأفعال في الصلاة لأن ذلك يفسد ثواب المصلي، وليس في السنة أن يتقدم المأموم على الإمام في الصلاة ولا يسويه في العمل.

الخاتمة:

فهذا البحث بعنوان "لا" الناهية، واستعملها في كتاب عمدة الأحكام من كلام خير الأنام دراسة نحوية دلالية، فهو محاولة علمية لدراسة أحد حروف المعاني "لا"، وذلك لاستخراج هذا الحرف في الأحاديث التي وردت فيها، ليتبين للقارئ مدى تأثير الحديث النبوي للغة العربية، ويتضمن الجانبين النظري والتطبيقي، ففي هذه الدراسة بدأ الباحث بملخص البحث الذي اشتمل على مضمون البحث، والمقدمة، ثم قسم الباحث البحث إلى محاور، ففي المحور الأول تحدث الباحث عن نبذة تاريخية عن المؤلف وثناء العلماء عليه، وفي المحور الثالث قام الباحث بدراسة "لا" الناهية دراسة تطبيقية في الكتاب المدروس، وأورد الأمثلة التي تثبت الدراسة.

نتائج البحث:

فمن النتائج التي توصل إليها الباحث بعد دراسة الموضوع المذكور "لا" الناهية في الكتاب عمدة الأحكام من كلام خير الأنام، دراسة نحوية دلالية.

- ١- وردت "لا" الناهية في ثلاثة وعشرين أحاديث موزعة في الموضوعات والأبواب مع بيان دلالتها ومعانيها.
- ٢- ف"لا" الناهية قد تكون للخطاب أو الغياب أو المتمكن، والنافية لا تجزم المضارع وتعمل في الأفعال الثلاثة الماضي والمضارع والأمر.
- ٣- و"لا" الناهية تختص بدخول على المضارع، ونقضي جزمه واستقباله.

الهوامش والمراجع:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: مطبعة المنار بسنة الطبع ١٣٣١هـ. ص: ٢٣.
- ٣- ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم تحقيق حامد أحمد الطاهر، سنة الطبع الطبعة الثانية: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. دار الفجر للتراث - القاهرة ص: ١٠.
- ٤- موقع (واي باك مشين) ملتقى الخطباء نسخة محفوظة ٢٠١٧/٢/٣م.



- ٥- الأنصارى: الإمام ابن هشام، تحقيق مُجَّد محي الدين عبد الحميد: مغنى اللبيب من كتب الأعراب. المكتبة العصرية صيدا بيروت ج ١، ص: ٢٧٣.
- ٦- قاضى القضاة: بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري. شرح ابن عقيل بدون التاريخ، ج ١، ص: ٣١٢-٣١٦.
- ٧- آل بسام: عبدالله عبدالرحمان: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ط ٢، سنة ١٤٤٤هـ ٢٠١٣م، مكتبة الهدى المحمدى القاهرة، ص: ٢١.
- ٨- المصدر السابق، ص: ٣٨.
- ٩- المصدر السابق، ص: ١٢٢.
- ١٠- المصدر السابق، ص: ٢٥٢.





صور من المحسنات اللفظية في كتاب "القطاف الدانية" للشيخ مصطفى جمعة أديوالي دراسة بلاغية تحليلية

الدكتور محمد أولايكا بن علم اليقين إيكيري

كلية التربية إلي - أرغن في ولاية أوسن، نيجيريا.

muholabik@gmail.com / +234 - 8038758183. +234 - 8052259862

المقدمة:

تحاول هذه الورقة بعنوان "صور من المحسنات اللفظية في كتاب "القطاف الدانية" للشيخ مصطفى جمعة أديوالي دراسة بلاغية تحليلية" النظر في أساليب محسنات لفظية في علم البديع في كتاب "القطاف الدانية في تاريخ شيخ الإسلام المرحوم آدم عبد الله الإلوري" للشيخ مصطفى جمعة أديوالي. وتسعى هذه الورقة وراء ثلاثة مباحث: ويتناول المبحث الأول ترجمة حياة المؤلف: مولده ونشأته وثقافته وإنجازاته. ويدرس المبحث الثاني العرض التحليلي لهذا الكتاب المذكور، ويناقش المبحث الثالث بيان محسنات لفظية في علم البديع مع عرض نصوص الشيخ مصطفى جمعة أديوالي الواردة في ذلك الكتاب المذكور وتحليل بلاغي لها، ثم الخاتمة التي تتكون من نتائج البحث والتوصيات والهوامش.

ترجمة حياة مؤلف الكتاب وعرض إنتاجاته الأدبية

ولد المؤلف مصطفى بن محمد جمعة بن أديوالي الإكيري الأزهري، بمدينة إكيرن في ولاية أوشن نيجيريا، عام ١٩٥٤م لأبويه المسلمين الصالحين، وقرأ القرآن الكريم على الشيخ موسى لبيك الملقب بالشيخ "لا إله إلا الله" في بيت أُونَجَبَى إكيرن، كما بدأ دراسته الابتدائية عام ١٩٦٢م بمدرسة ميثودية، إكيرن. (Methodist Primary School, Ikirun) وأذهاها بمدرسة نواير الدين الابتدائية الحكومية، إكيرن. (N.U.D. Primary School, Ikirun) عام ١٩٦٧م. ومن شدة حبه للعلم والتعليم، التحق بمدرسة روضة الدراسات الإسلامية وال عربية، إكيرن عام ١٩٦٨م، واجتاز مراحلها التعليمية حتى حصل على شهادتها الثانوية عام

١٩٧٦م. وفي عام ١٩٧٧م، أوفدته إدارة هذه الرّوضة إلى جمهورية مصر العربيّة نتيجة نجابت هـ ونبوغه في دراسته، التحق هناك بمعهد البعوث الإسلاميّة في القسم الثّانوي عام ١٩٧٧م وتخرج فيه عام ١٩٧٩م. فتمّ له القبول بعد تخرجه بكلّيّة التّربيّة شعبة الآداب الإنجليزيّة جامعّة الأزهر الشّريف عام ١٩٨٠م، ونال منها إجازة شهادة الليسانس للعام الدّراسي ١٩٨٣م. وتثقف بالثقافة الإسلاميّة ويجيد ثلاث لغات: لغته المحليّة اليورباويّة واللّغة العربيّة واللّغة الإنجليزيّة، ويظهر ذلك في أكثر مؤلفاته.

كان مصطفى جمعة أديوالي محبّاً لتزكية النفوس وتصفية القلوب كما كان يحسن معاملته مع النّاس وهو متزوج ومرزوق بالبنين، ويتحلّى بفضائل العادات ومكارم الأخلاق، ولم يزل بين النّاس يتصف بالرّأفة والطف والرّحمة للصّغير والكبير، وكان لا يخاف في الحقّ لومة لائم، ويكره ما يدعو إلى الخصام بين المسلمين وغير المسلمين. استهلّ مصطفى أعماله بالدّعوة بمرافقة شيخه الشّيخ يونس السنوسي (رحمه الله تعالى) إلى المدن والقرى في بلاد يوربا لنشر الدّعوة إلى الله وكان أوّل من يتكلّم قبل شيخه على قدر استطاعته، وينوب عن شيخه أحياناً بإلقاء الخطب المنبرية في مسجد الرّوضة الجامع، كما يعظ المسلمين ويرشدهم إلى سعادة الدّارين في العيدين قبل إقامة الصّلاة. لقد أصبح لسان روضة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، وفخر علماء مدينة إكيرن، وهو يسعى إلى كلّ ما يعود إلى الخير والسّعادة والصّلاح للمجتمعات مع والفرد. ومن أعماله في نشر اللّغة العربيّة مطبعته العربيّة التي بناها للطّباعة العربيّة وفيها تطبع الأبحاث الجامعيّة العربيّة والتّراث الإسلاميّ، واستحوذ عليه فكرة إنشاء جمعيّة النّهوض بالمساجد بأهداف باطنها بركات وظاهرها ترقّيات من نوادر وسعة الأفق.

ولقد اجتمعت شخصيّته عدّة صفات، وهو نادرة من نوادر الزّمان، ذات مواهب ومناقب تسفر عنها مجهوداته العلميّة وأعماله الثّقافيّة، وهو يعتبر همزة الوصل بين علماء الطبقة الثّانية والثالثة في تاريخ حركة اللغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة في مدينة إكيرن وضواحيها، فهو فخر الإسلام ولسان العلم والأدب، وآلة الجهاد والاتحاد، صاحب الآيات وسباق الغايات، ورجل قانع، تعلّم العلم وعلمه غيره، وتمكّن في اللغة العربيّة ويستخدمها في إنتاجاته الأدبيّة في مناسباتها ومطابقتها بحسن المقام والحال كما ينتهج المنهج الواضح في عرض الأفكار ونسج العواطف وتأليف الأخيلة.^(١)



إنجازات الشيخ مصطفى جمعة أديوالي

إنَّ ابن جمعة أديوالي كاتب وشاعر مفلق، بسيط الخيال والمعنى، سهل اللفظ، عباداته موافقة المقصود باستخدام لغة رصينة، ولا يضطرب أسلوبه بل يوافق مقاصد أهل اللغة، وهى السلامة من الغموض والتعقيد المعنوي واللفظي، وهو معتدل في اختيار الألفاظ ومقتصد في اختراع المعاني القريبة من الأفهام والبعيدة عن الإسراف. وبناء على هذه الملكة والقدرة، ألَّف مصطفى جمعة أديوالي كتيبات ومقالات عديدة نحو تال: - بحيرة الأناشيد، العالمون - وإن ماتوا - فأحياء، تكثيف البيان في تثقيف اللسان، الطلّ المبلل في تاريخ الظلّ الظليل، مساجد نيجيريا تحت الأضواء الكاشفة، القطاف الدّانية في تاريخ شيخ الإسلام المرحوم آدم عبد الله الإلوري. الذي يصبّ الباحث عليه بالدراسة، كما سُجلت له مخطوطات جاهزة للطباعة ومقالات وقصائد في مختلف المناسبات والمجلات العلميّة الداخليّة والخارجيّة. ويرى الباحث أنّه من الاستحسان أن يدرس واحدًا من مؤلفاته بعرض تحليلي.

عرض تحليلي للكتاب

لقد ظهر في غلاف الكتاب باسمه الكامل "القطاف الدّانية في تاريخ شيخ الإسلام المرحوم آدم عبد الله الإلوري رحمه الله تعالى" مع صورة شخصية الشيخ الإلوري الواضحة، وهو كتاب طبع في ثلاث نسخ: - نسخة عربية ونسخة إنجليزية ونسخة يورباوية، ألفه سنة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٠٠٠م، وطبع الطبعة الأولى في شركة دار النور للطباعة والنشر، لاغوس - نيجيريا، ويبلغ عدد صفحاته مائة وثلاثة وخمسين صفحة.

فهو كتاب في التاريخ عن حياة شخصية شيخ الإسلام المرحوم آدم عبد الله الإلوري (رحمه الله تعالى). افتتح المؤلف الكتاب بقصيدة الحماسة على لسان شيخ الإسلام المرحوم العلامة آدم عبد الله الإلوري التي لا تقلّ عن تسعة عشر بيتًا قائلًا: -

إِلَى اللَّهِ حَمْدِي وَلِيَّ قِيَادِي **** مُرَبِّ رَحِيمٍ إِلَيْهِ مَعَادِي

سَهَرْتُ اللَّيَالِي فَرَيْنَ الْمَدَاد **** رَفِيقَ الرَّيَاشِ لِسَبْقِ الْأَعَادِي

ثمّ جاء بقصيدة الترحم المشهورة بتوسيع وتكميل من المؤلف لشيخ الإسلام المرحوم العلامة آدم عبد الله الإلوري قائلًا: -

يا رَبَّنَا يا إِلَهِي اغْفِرْ لِلشَّيْخِ الْأُورِيِّ **** أَلْحِقْهُ بِالصَّالِحِينَ فِي زُمْرَةِ الْمُرْسَلِينَ
ضَاعِفُهُ أَجَرَ صَلَاحٍ سَامِحُهُ كُلَّ الْقُصُورِ **** أَنْزِلْهُ أَسْمَى الْمَقَامِ فِي مَقْعَدِ الْمُفْلِحِينَ
ثم أتى بإهداء هذا الكتاب إلى أرواح الأصناف الكثيرة، وضمن الكتاب المؤرخ ١٩/٥/٣
٩٣ الميلادي، التقريظ من لدن شيخ الإسلام المرحوم يونس السنوسي مؤسس ومدير روضة
الدراسات الإسلامية والعربية، إكرن، نيجيريا. وضمن الكتاب التقديمين من العالمين الجليلين
هما: الشيخ محمد حبيب الله آدم عبد الله الإلوري مدير مركز التعليم العربي الإسلامي، لاغوس
، نيجيريا، وصاحب المعالي: الدكتور عبد الله عمر نصيف نائب رئيس مجلس الشورى
بالمملكة العربية السعودية وعضو شرفي لجمعية التهوض بالمساجد في نيجيريا. تحريراً ٢٢
/صفر/ ١٤١٩ الهجري، وبعد مقدمة المؤلف الكثيفة للكتاب، والاعتراف بالجميل، وتقديم الشكر
والتقدير إلى أصحابه المستحقين به.

ويحتوى هذا الكتاب على موضوعات منها: نبذة عن حياة شيخ الإسلام العلامة آدم
عبد الله الإلوري، وسماته الشخصية، والذكاء وقوة العارضة والعبقرية، والعصف الذهني، وال
عزم والحزم، وتقوى الله والخوف منه، والأمانة بالمعنى العام والرأفة والرحمة، والجرأة والإقدام، وح
به ونهمه في طلب العلم، وسعة الأفق والمبادرة إلى الإحسان، والزهد والورع، وصدق الفراسة
والصدق، والانتصار له وحب السيادة العلمية بأسلوب تقديمي والتصوّف والإنصاف،
والتقشف، وحياته العلمية وقصة تعلّمه ومكانته العلمية، وحركاته الإصلاحية وإنشاء مركز الت
عليم العربي الإسلامي، واتصاله بجماعة أنصار الدين، واتصاله بعلماء الإسلام الأعلام، واتص
اله بجماعة الإخوان المسلمين، وإشراكه في المؤتمرات والندوات، وحركاته التأليف، وأسلوبه
في الكتابة، وأشهر مؤلفاته، وحياته الاجتماعية: لقاء الأشراف والخطاريف، ومع الزعيم
م أحمد بلو، ومسجد أغيجي القديم، ومع الأمير ذي القرنين، مع الملك محمد الأول والشي
خ يعقوب الإمام في مدينة إكيرن، ومع الملوك والأقيال، ومع جريمايا أوبافيمي وإبراهيم بابانغ
يدا، وتأثيراته في المجتمع، ومناقبه في الوعظ والإرشاد، وأثره في نشئ المعاهد العربية الإسلامية،
وأسماء بعض المدارس التي تأسست على أيدي طلبة المرحوم، وجهوده الحميدة لإيجاد التضام
ن الإسلامي العالمي، وكراماته ووفاة الإلوري، ومتن القصيدة الميمية في وصف الشيخ الإل
وري، والختام والملحق.

وجمع الكاتب فيه صورة الشخصية الواضحة لمحل الشاهد كلما تدعو إليها الحاجة، وأعلن الكاتب كتبه أخرى المنشورة المطبوعة والتي كانت تحت الطبع، ثم أشار للقارئ أن يطل بها منشوراته إلى دكان موزع كتبه الرئيسي: الحاج عبد الواحد تيميتوي، رقم ٨ شارع أبي، بارغ، لاغوس، وكما وضع السيد الأستاذ إبراهيم جمعة أديوالي أخو المؤلف الشقيق، ومؤسس ومدير المعهد العالي للتعاليم الإسلامية، أيجيبيو (Ejigbo) ولاية أوشن، نيجيريا شخصية المؤلف في سطور التاريخ وصورته الواضحة في آخر غلاف هذا الكتاب. فهذه ترجمته وتلك إنتاجاته وهذا العرض التحليلي للكتاب ويرى الباحث أنّ من الاستحسان أن يبرز جزءاً من الأساليب البديعية البلاغية الواردة في هذا الكتاب.

مفهوم علم البديع

يعتبر علم البديع أحد علوم البلاغة الثلاثة، وفي الاصطلاح البديعيين البلاغيين: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال، وهذه الوجوه ما يرجع منها إلى تحسين المعنى يسمى بالمحسنات المعنوية وما يرجع منها تحسين اللفظ يسمى بالمحسنات اللفظية".^(٢) ومن صفة هذا العلم يقول أبو هلال العسكري: "إنّ هذا النوع من الكلام إذا سلم من التّكلف وبرئ من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجود"^(٣) ومن ملاحظة الباحث من خلال مفهوم تعاريف علم البديع عند العلماء البلاغيين جميعاً، يقول: أنّ علم البديع هو علم يبعث عن مراعاة تزيين مطابقة الألفاظ أو موافقة المعاني بما يناسب مقتضى الحال والمقاسم بألوان بديعة من الجمال اللفظي والمعنوي مادام خالياً من التّكلف واضطراب المعاني وحسن الاستعمال.

مباحث علم البديع

ينحصر علم البديع في المبحثين الرئيسيين. الأول: المحسنات اللفظية عبارة عن وجوه تحسين اللفظ وتزيينه، والثاني: المحسنات المعنوية عبارة عن وجوه تحسين المعنى وتزيينه.^(٤) ويتركز هذا البحث على أهم وأظهر من مباحث المحسنات اللفظية فقط التي تجري على

النقاط التالية: الجنس والافتباس والسجع دون الإحاطة والتوسيع بكل دراسة في هذا الموضوع.

الفصل الأول: الجنس

الجنس: هو أن يشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى، وهو نوعان:

(أ) - الجنس التام هو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها (٥) مثال قوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ سورة الروم: آية ٥٥

(ب) - الجنس غير التام وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة، (٦) نحو قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر﴾ سورة الضحى: آية

٩-١٠

وبناء على هذا البيان والتفصيل حول مباحث المحسنات اللفظية في علم البديع عند البلاغيين، يتدبّر الباحث أن ينظر في مباحث الجنس بتحليل بلاغي في كتاب "القطاف الدائية" لمصطفى جمعة أديوالي خاصة بحيث يقدم تعبيراته الثرية ويؤخر تعبيراته الشعرية نحو ضوء تال:- وقال مصطفى جمعة أديوالي في كتابه: "القطاف الدائية"

(١) "... وَلَا هَنَاءٌ بِلَا عَنَاءٍ، وَكَأَنَّ الْجِدَّ سَبَبُ الْجِدِّ" (ص: ٢٣)

تأثر الكاتب الجنس المضارع لاختلاف الحرفين المتقاربين في المخرج في أول الكلمتين المتجانستين في هذه العبارة هما (هَنَاءٌ) بمعنى سعادة و(عَنَاءٌ) بمعنى مشقة والمتجانسين بين الكلمتين هما (الجِدُّ) بمعنى الاجتهاد و(الجِدُّ) بمعنى المنزلة، تشابهتا في النطق واختلفتا في المعنى والخط، هذه طريقة الجنس المضارع وأيضاً قسم من أقسام الجنس الناقص.

(٢) "وقد قُمتُ بأدائه دون تهيّب أن أصبح به عرضة لكلّ طاحن وطاعن أو أمسي به غرضاً لكلّ قادح جارح." (ص: ١٦)

استخدم الكاتب الجنس بين لفظة (طاحن) ولفظة (طاعن)، فهذا أسلوب الجنس المضارع، لاختلاف الحرفين المتقاربين في المخرج في وسطهما وهو أيضاً قسم من أقسام الجنس غير التام.

(٣) "فإنَّما يُحمَل على مُحاولات من له طُموح زائد لتحقيق أحلام أو ترويض أقلام." (ص: ١٧)

يرى الباحث في هذه العبارة الجناس بين كلمة (أحلام) وكلمة (أقلام)، هذه طريقة الجناس اللاحق لاختلاف الحرفين المتباعدين في المخرج في وسطهما، وهو أيضاً قسم من أقسام الجناس الناقص.

(٤) "كلّ من تَفَتَّحت لديهم القدرة على القراءة فأصبحوا يقرءون عن السَّنوسي وعن الألوسي" (ص: ١٦)

استعمل الكاتب الجناس في هذه العبارة بين كلمة (السَّنوسي) اسم النسب العلم وكلمة (الألوسي) اسم النسب العلم، هذا أسلوب الجناس المحرّف بين اسمين لاتفاقهما في عدد الحروف وترتيبها واختلافهما في الحركات والنّوع، والقصد من هذا النّوع من الجناس اختلاف الحركات وهو أيضاً قسم من أقسام الجناس الناقص.

(٥) "... السّياسي المطبوع، الاجتماعي المتبوع" (ص: ٢٤)

استخدم الكاتب الجناس المضارع لاختلاف الحرفين المتقاربين في المخرج بين الكلمتين المتجانستين هما (المطبوع) بمعنى السّليقة و(المتبوع) بمعنى الإمام المقتدي، تشابهاً في النّطق واختلفاً في المعنى والخط، هذه طريقة الجناس المضارع وهو أيضاً قسم من أقسام الجناس الناقص.

(٦) "قد انحدر من آباء وأجداد أولي العلم والحلم ذوي الفصل والفضل، أصحاب السّروج والبروج." (ص: ٢٥)

يقع الجناس في ثلاثة مواضع في هذه العبارة وهي: جناس المضارع لاختلاف الحرفين المتجانسين المتقاربين في المخرج في أوّل الكلمتين (العلم والحلم)، وفيها أيضاً الجناس اللاحق لاختلاف الحرفين المتباعدين في المخرج في وسط الكلمتين (الفصل والفضل) والحرفين المتباعدين في المخرج في أوّل الكلمتين (السّروج والبروج)، هذه طريقة الجناس المضارع واللاحق هما قسمان من أقسام الجناس الناقص.

(٧) "فإنّ الحديث فيها ذو شُجون والدّاخِل فيها في شُؤون" (ص: ٢٦)

يرى الباحث الجنس في هذه العبارة، بحيث استعمل الكاتب الجنس اللاحق يكون بين لفظة (شجون وشؤون) في وسط الكلمتين المتباعدتين في المخرج، وهو قسم من أقسام الجنس الناقص.

(٨) "فإنه أقبل على كل علم يذوق منه غيضاً، ويلوك منه بعضاً، ويهضم منه فيضاً"، (ص: ٣٣)

استخدم الكاتب الجنس اللاحق في أول الكلمتين المتباعدتين هما (غيضاً وفيضاً)، وهو أيضاً قسم من أقسام الجنس غير التام.

(٩) "وقد أكثر من الإصلاحات وأحدث التجديدات كما قاوم الابتداعات والخرافات بالقلم والكلم على حدّ سواء" (ص: ٣٦)

لقد يرى الباحث أنّ الكاتب تأثر بأسلوب الجنس المضارع لاختلاف الحرفين المتقاربين في المخرج في أول الكلمتين المتجانستين في هذه العبارة هما (القلم) بمعنى آلة الكتابة و(الكلم) بمعنى البيان، تشابهما نطقاً واختلفاً معنى وخطاً، فهذه طريقة الجنس المضارع وهو أيضاً قسم من أقسام الجنس الناقص.

(١٠) "ولو تبالغ في اللين لكان طيغاً مطوعاً لمن أدركهم من علماء الدين الذين أفتوا في أمور بما لم ينزل به الله" (ص: ٣٩)

استخدم الكاتب أسلوب الجنس في هذه العبارة على طريقة الجنس اللاحق، لاختلاف الحرفين المتقاربين في المخرج فالكلمة الأولى (الدين) بمعنى العبادة والكلمة الثانية (الذين) جمع الذي وهو الاسم الموصول، وهو أيضاً قسم من أقسام الجنس الناقص.

(١١) "وقد قرب بأبحاثه البعاد وثقف بها البلاد." (ص: ١١١)

استعمل الكاتب أسلوب الجنس في هذه العبارة على طريقة الجنس اللاحق، لاختلاف الحرفين المتباعدتين في المخرج في وسط الكلمتين، فالكلمة الأولى (البعاد) والثانية (البلاد)، وهو أيضاً قسم من أقسام الجنس الناقص.

(١٢) "غير أنّ الغلّ ظلّ ينزلق كلّما وُضع في يده إلى أن بداهم أنّه داعية لادّعيّ، وزعيم لا زعيم." (ص: ١٢٥)

يجد الباحث أنّ الكاتب استعمل الجنس في هذه العبارة، فوقع الجنس في ثلاثة مواضع، فكان الجنس اللاحق بين لفظة (الغلّ والظّل) لاختلاف أول حرف الكلمتين المتجانستين المتباعدين في المخرج. وفي لفظة (زعيم وزنيم) الجنس اللاحق أيضاً لاختلاف وسط حرف الكلمتين المتجانستين المتباعدين في المخرج، وهو جناس ناقص.

(١٣) "اللهم لا تفتنّا بعده واجعلنا خير خلف لخير سلف." (ص: ١٣١)

استعمل الكاتب أسلوب الجنس في هذه العبارة على طريقة الجنس اللاحق، لاختلاف الحرفين المتباعدين في المخرج في أول الكلمتين، فالكلمة الأولى (خلف) والثانية (سلف)، وهو أيضاً قسم من أقسام الجنس الناقص.

(١٤) ممّا العويل الطويل * فما دواعي العزاء (ص: ١٤٤)

استعمل الكاتب الجنس في هذه العبارة على طريقة الجنس اللاحق، لاختلاف الحرفين المتباعدين في المخرج في أول الكلمتين، فالكلمة الأولى (العويل) والثانية (الطويل)، وهو أيضاً قسم من أقسام الجنس الناقص.

(١٥) في الخلق صحب البغاء * في الطبع قرن البغال (ص: ١٤٦)

استعمل الكاتب الجنس في هذه العبارة على طريقة الجنس اللاحق، لاختلاف الحرفين المتباعدين في المخرج في آخر الكلمتين، فالكلمة الأولى (البغاء) والثانية (البغال)، وهو أيضاً قسم من أقسام الجنس الناقص.

ومما تجدر الملاحظة في هذا الصدد، إذا تأملنا في هذه النصوص المتقدمة وجدنا أنّها مشتملة على الجنس التام والجناس غير التام، وموافقة إلى حدّ بعيد في سياق الجنس، ويبدو أنّه جاء بصورة عفوية لا تكليف، بحيث لا يضطرب مقصوده لفظاً ومعنى، خلافاً ما يتهم بالتكليف الذي وقع فيه بعض البديعيين الذين يراعون اللفظ ويغفلون عن المعنى.

الفصل الثاني: الاقتباس

الاقتباس "هو تضمين وتزيين النثر أو الشعر بشيء من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنّه منهما، ويجوز أن يغيّر في الأمر المقتبس قليلاً". (٧) وبالاقتباس يعرف مدى تأثير الكاتب بالقرآن الكريم والحديث النبوي بإضافة إلى إشارة كلامه من قوّة

المصدرين العظيمين والكشف عن مهارة الكاتب في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي اقتبس منه.

وقال مصطفى جمعة أديوالي في كتابه: - "القطاف الدانية"

(١) "... ويستنهض هم أصحاب الأقلام الموقورة لكتابة ما يسمن وما يغني من جوع في هذا الصدد" (ص: ١٥)

فإذا أمعن النظر في هذه العبارة، يُضْمِنُ الكاتب تعبيره شيئاً من القرآن الكريم على نحو لا يُشعر بأنه منه. فالإقتباس من قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ﴾ الآية ٧ من سورة الغاشية

(٢) "ولا يلام حين نسمعه يقول في معرض الشكر لله والتحدث بالنعمة:" (ص: ٢٦)

عرفت شيوخي وما علموني * وما قد علمت بفتح قريب

اقتبس الكاتب من القرآن الكريم في هذه العبارة من غير دلالة على أنه منه، فالإقتباس من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ الآية ١١ من سورة الضحى.

(٣) "وبعد أن طاف به جوانب المركز وأطلعته على كل عوارضه قال له في تواضع بالغ: هذه بضاعتكم. لكن ذلك الشيخ لم يغرّ قط، بل ردّ على الفور: إنما هو من جنى غرس اجتهادك، وقد علمنا مقدار ما علمناك." (ص: ٢٧)

اقتبس الكاتب من القرآن الكريم في الموضعين في هذه العبارة، من غير شعور ودلالة على أنه منه، الاقتباس الأول: من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلَ يَسِيرٍ﴾ الآية ٦٥ من سورة يوسف. والاقتباس الثاني: من قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِبَادِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ الآية ٦٥ من سورة طه.

(٤) "وبما أنّ البينة على المدعى، فإنني أؤيد دعواي لثبوت هاتين الصفتين له بالبراهين الآتية:" (ص: ٣١).

قسم الكاتب بالله لإثبات حجته للسامع واقتبس تعبيره من قوله - صلى الله عليه وسلم - من غير دلالة عليه: (لو يعطى الناس بدعواهم؛ لادّعى رجال أموال قوم ودمائهم

لكن البيّنة على المدّعي، واليمين على من أنكر) حديث حسن رواه البيهقي، وغيره هكذا، وبعضه في الصحيحين. (متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية: ص ٤٠).

(٥) "بيد أنه لم يقطع في تحصيل العلم إلا أشرافاً حتى أدرك أنهم إنما أوتوا نصيباً من العلم لم يبلغوا منه شأواً" (ص: ٣٤).

اقتبس الكاتب هذه عبارته من قوله سبحانه وتعالى في السورتين العظيمتين على نحو لا يُشعر بأنه منهما. الأول: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ الآية ٢٣ من سورة آل عمران، والثاني: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترّون الضلالة ويريدون أن تضلّوا السبيل﴾ الآية ٤٤ من سورة النساء.

(٦) "كان عالماً ربانياً، ومتعبداً رحمانياً، فمن يدرى هل أهله التقرب الدائم لما قرّره هذا الجزء من الحديث النبوي. (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، وإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وعينه التي يبصر بها، ويده التي يبطش بها)... الخ." (ص: ٣٨)

يرى الباحث الاقتباس منسجماً تماماً بعبارة الكاتب فلاقتباس من الحديث القدسي وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: - (عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:، إنّ الله تعالى قال: من عادى لي ولياً؛ فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، وإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني: لأعطينه، ولئن استعاذني: لأعيذنه). رواه البخاري. (من الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية: ص ٤٥).

(٧) "وإن كان الأخير لم يواصل إلى نهاية المطاف لحاجة في نفس يعقوب قضاها" (ص: ٤٨).

يجد الباحث أنّ أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ أنّ الكاتب قد اقتبس بعبارة من قوله سبحانه وتعالى: - ﴿ولمّا دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله شيء إلاّ

حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿١﴾ الآية ٦٨ من سورة يوسف.

(٨) "ولما قضى من الأزهر وطرا، شرع في التنقيب عن كل أثر لأولئك العلماء الذين أثروا المكتبات الإسلامية بالمؤلفات الفاخرة الثمينة،" (ص: ٥٠).

اقتبس الكاتب من القرآن الكريم في هذه العبارة من غير دلالة على أنه منه، فالإقتباس من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ الآية ٣٧ من سورة الأحزاب.

(٩) "صبر شيخ الإسلام الإلوري على عوادي البيئة وغوائل الكافرين حتى جعل الله بعد عسر يسرا، وبعد وحشة أنسا" (ص: ٦٢).

أشار الكاتب إلى قدر احتمال الأذى ومقدار صبر الشيخ آدم عبد الله الإلوري في أداء أمور نشر الدعوة إلى الله تعالى مقتبسا بعبارة من قوله سبحانه وتعالى: ﴿... سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ الآية ٧ من سورة الطلاق: وكذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. الآية ٥-٦ من سورة الانشراح.

(١٠) "وفاة الشيخ الإلوري ﴿كَلَّ نَفْسَ ذَائِقَةِ الْمَوْتِ﴾ آية تثير في النفس الوجل والقلق والفرق والأكثر إثارة للرعدة والرعدة قوله تعالى: ﴿كَلَّ مِنْ عَلَيْهَا فَا نَ وَيَقِي وَجْهَ رَبِّكَ﴾ والذي يقطع آمال الإنسان في التعمير الطويل قوله عليه الصلاة والسلام: (لكل شيء حصاد وحصاد أمتي ما بين ستين وسبعين). (ص: ١٢٨)

اقتبس الكاتب اقتباسا منسجنا تماما بعبارة من قوله الله سبحانه وتعالى من غير دلالة وشعور على أنه منه، فالإقتباس الأول: ﴿كَلَّ نَفْسَ ذَائِقَةِ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تَوْفُونُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ زَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آية ١٨٥ من سورة آل عمران. والإقتباس الثاني قوله تعالى: ﴿كَلَّ مِنْ عَلَيْهَا فَا نَ وَيَقِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ آية ٢٦-٢٨ من سورة الرحمن. والإقتباس الثالث قوله عليه الصلاة والسلام: (لكل شيء حصاد وحصاد أمتي ما بين ستين وسبعين).

(١١) "... ثم تطوّرت فيما بعدُ إلى علاقات التّعاون على البرّ والتّقوى" (ص:٧٦).

اقتبس الكاتب من القرآن الكريم في هذه العبارة من غير دلالة على أنّه منه، وأوّل ما أوجش في ذهن القارئ هو قوله تعالى:- ﴿... وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب﴾ الآية ٢ من سورة المائدة.

(١٢) "ومنهم الإيثاريّون وهم الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة لم يمتّ إلّوريّ بأدنى وشيخة إلى الصّنف الأوّل وكان بكلّيته مع الصّنف الثّاني..." (ص:٧٩).

اقتبس الكاتب بعبارة من قوله سبحانه وتعالى: ﴿والذين تبوعوا الدّار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ سورة الحشر: الآية ٩.

(١٣) "إنّ لكلّ شيطان نزغة وإنّ لكلّ سلطان نشوة، نعوذ بالله من نزغات الشّياطين ونزوات السّلاطين." (ص:٨٩)

استعمل الكاتب أسلوب الاقتباس وضمن في هذه العبارة شيئاً من القرآن الكريم من غير دلالة على أنّه منه، فالأقتباس هنا من قوله سبحانه وتعالى:- ﴿وإما ينزغنك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله إنّّه سميع عليم﴾ الآية ٢٠٠ من سورة الأعراف.

(١٤) "أسرّ إلّوريّ ذلك في نفسه ولم يیده" (ص:٩١). يرى الباحث الاقتباس بقول الكاتب بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرّها يوسف في نفسه ولم يدها لهم قال أنتم سرّ مكاناً والله أعلم بما تصفون﴾ الآية: ٧٧ من سورة يوسف.

(١٥) ولا غرّو أن كان من أمّنوا * إذا الذّكر قد مسّ تبتّ يدا

يخفّ جُموعٌ إلى مركزي * رجالاً نساءً به الملتقى (ص:٧٠)

اقتبس الكاتب من القرآن الكريم في هذا بيت الشّعر من غير تنبيه على الأصل المأخوذ منه، فالأقتباس هنا يكون في الموضعين، الأوّل من قوله تعالى:- ﴿تبتّ يدا أبي لهب وتبّ﴾ الآية ١ من سورة المسد. والثّاني من قوله تعالى:- ﴿يأيتها النّاس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾ الآية ١ من سورة النّساء.

والإضافة بالذكر في هذا الصدد، الاقتباس منه مقبول شريف، ومنه مردود سخي؛ فالمقبول ما كان أديباً نافعاً في الحكمة مهذباً للأخلاق؛ والمردود بل المحرم ما كان للغزل الماجن مما فيه استخفاف بالدين وإسفاف. (٨) إنّ هذا القرآن العظيم بالحقّ أنزله الله، وبالحقّ نزل، ﴿إنّ لقول فصل، وما هو بالهزل﴾ وهذا الماجن المقتبس من القرآن الكريم يخوض فيه ويلعب ﴿ولئن سألتهم ليقولنّ: إنّما كنا نخوض ونلعب!! قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا قد كفرتم﴾ هذه اقتباسات مصطفى جمعة أديوالي، وإن دلت على شيء فإنّما تدلّ دلالة واضحة على أنّه واعظ ومرشد وخطيب ومفسّر ومعلّم بالقرآن والحديث وذلك لحسن دقتها وصلتها وامتزاجها امتزاج الراح بالماء بأقواله.

الفصل الثالث: السجع

السجع فصل من المحسنات اللفظية، وهو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد. (٩) وقال السكاكي السجع في النثر كالفافية في الشعر. (١٠) ومن القائل أنّ السجع هو توافق الفاصلتين في الأخير وأفضله ما تساوت فقرته. (١١) والأسجاع من المحسنات اللفظية وهي من النثر كالقوافي في الشعر. وهي أنواع ذكرها القزويني في الإيضاح منها: السجع المطرف والمتوازي والترصيع والتشطير والموازنة والقلب والمزدوج والتشريع ولزوم ما لا يلزم. (١٢)

والأصل في السجع إنّما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل إليه بالطبع، ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط، ولا عند توافق الفواصل على حرف واحد هو المراد من السجع، إذا لو كان الأمر كذلك لكان كلّ أديب من الأدباء سجاعاً. ومن قرأ بعض كتب مصطفى جمعة أديوالي يرى أنواع السجع الموافقة في تركيب الألفاظ استعمالاً في أماكن مختلفة ويذكر الباحث بعضها كما كان في كتابه "القطاف الدانية" على ضوء تال: - وقال مصطفى جمعة أديوالي في كتابه القطاف الدانية:

(١) "تأملت في سير من نالوا المجد ولم أجد سوى الجدّ سبباً، ودققت الطّرف في تواريخ من حووا الفضل ولم أر غير الكدح دأباً، وأمّنت النظر في سطور من أحرزوا التّجاح

ولم ألمس إلا الجهد مركبًا، ولم أر لهم حلاوة بدون مرارة، ولا أريكة بدون عرق، ولا هناء بلا عناء، وكأن الجدّ سبب الجدّ، وبه ينال المرء ماربًا" (ص: ٢٣)

استعمل الكاتب أنواع السجع في هذه العبارة، فالسجع واقع في جميع ألفاظ فقرة العبارة، فإنّ سجع المتوازي واقع فيها لتوافق الوزن بين (تأملت، دققت، أمنعت) وبين (نالوا، حووا، أحرزوا) وسجع المطرف صادر فيها لاختلاف الفواصل وزنًا وتوافقها رويًا بين (سببًا، دأبًا، مركبًا، مأربًا) وسجع الترصيع ثابت، فإنّ المقابلة فيها حاصلة بين (حلاوة ومرارة)، وبين (هناء وعناء).

(٢) "الحمد لله ربّ العالمين، أضاء بالعلماء العاملين الآفاق، وقاوم بهم الكفر والتفّاق، وردم بهم المغاور والإنفاق، وسخر لهم بمحض الفضل الإنفاق، والصلاة والسلام على من أوتي التّفاد إلى الأعماق، ونفذ إلى السبع الطّباق، ونال أحسن جائزة السّباق: سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله وأصحابه الطّيبين الطّاهرين، ورضي الله عن التّابعين، وتابعيهم من المسلمين والمؤمنين إلى يوم الدّين." (ص: ١٥)

استخدم الكاتب السجع في هذه العبارة، فالسجع الأوّل: المطرف لاختلاف فواصلها في الوزن وتوافقها في الرّوي بين (الآفاق، التّفاق، الإنفاق، الإنفاق، الأعماق، الطّباق والسّباق) والثاني: المتوازي لتوافق اللفظة الأخيرة من القرينة في الوزن والرّوي بين (الطّاهرين، التّابعين والدّين).

(٣) "أما عن العبقرية، فإنّ الحديث فيها ذو شجون والدّاخِل فيها في شئون، وقد ثبتت له بلا جدال ولا يُطالَبُ قائل ذلك بالدّليل." (ص: ٢٦).

استخدم الكاتب السجع في هذه العبارة، فالسجع المطرف حاصل فيها لاختلاف فواصلها في الوزن وتوافقها في الرّوي بين (شجون وشئون) وبين (جدال، قائل والدّليل).

(٤) "... إذ يدعو الغير إلى الفوز بدار وعدنا بها الرّحمان، ويُحدّثُ من دار تواعدنا بها الشّيطان" (ص: ٣١).

استخدم الكاتب السجع في هذه العبارة، فالسجع المتوازي واقع لتوافق اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والرّوي بين (وعدنا وتواعدنا) وبين (الرّحمان والشّيطان).

(٥) "إنّ الذي لا يعرف شيئًا عن مبدء حياتي، لا يملك أسباب وفاتي" (ص: ٤٠).

استخدم الكاتب السجع في هذه العبارة، فالسجع المتوازي واقع لتوافق اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي بين (حياتي ووفاتي).

(٦) "ولم يزل أنظاره تفوض إلى من هو أغزر زادًا وأكثر سُوددًا" (ص: ٤٧).

استخدم الكاتب السجع في هذه العبارة، فالسجع المتوازي واقع لتوافق اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي بين (أغزر وأكثر) وبين (زادًا وسُوددًا).

(٧) "ولا أحسب أنه فاته من مفرداتها شيء، إذ ضبط فرائدها، وقيد شواردها، وتوسّع في أعمال نوابغها، وتورّع عن أعمال غرائبها..." (ص: ٥١).

استخدم الكاتب السجع في هذه العبارة، فالسجع المطرّف حاصل فيها لاختلاف فواصلها في الوزن وتوافقها في الروي بين (فرائدها، شواردها، نوابغها وغرائبها).

(٨) "حيث أخرجه بالنقد السليم من شبح الأضحوة الملحوظة إلى الحقيقة الملوّسة." (ص: ٥٥)

استخدم الكاتب السجع في هذه العبارة، فالسجع المتوازي واقع لتوافق اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي بين (الملحوظة والملوّسة).

(٩) "والتي لا يستطيع أن يصبر عليها إلا ذوو الهمم العالية والطّموحات العالية، لذلك جاءت حركاته الإصلاحية" (ص: ٦٠).

استخدم الكاتب السجع في هذه العبارة، فالسجع المتوازي واقع لتوافق اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي بين (العالية والغالية).

(١٠) "الخروج بالتعليم العربي من العشوائية المُطبَّقة إلى النظامية المُطبَّقة." (ص: ٦١).

استخدم الكاتب السجع في هذه العبارة، فالسجع التّرصيع واقع لمقابلة كلّ لفظة من فقرة العبارة بين (المُطبَّقة والمُطبَّقة).

(١١) "وهو حلقة الوصل بين الماضي الرّائق والحاضر الأنيق" (ص: ٦٦).

استخدم الكاتب السجع في هذه العبارة، فالسجع المطرّف حاصل فيها لاختلاف فواصلها في الوزن وتوافقها في الروي بين (الرّائق والأنيق).

وإذا أمعنا النظر في النصوص المتقدمة وجدنا كلّ نص منها يتكون من جمل، أو جملتين أو أكثر من تلك الجمل تتحدّ في الحرف الأخير ويسمّى هذا النوع من الكلام

(السجع). والكلمة الأخيرة من الفقرة تسمى (فاصلة) وتلك الفاصلة تسكن دائماً للوقف والتذوق والإحساس بما في هذه طبيعة الصنعة اللفظية من حسن وجمال. وإن دلت النصوص المتقدمة المختارة من كتاب "القطاف الدانية" على شيء فإثماً تدلّ دلالة واضحة على أنّه من أجدر وأوثق التراث الإسلامي وأحسن وأجمل تكثيف البيان لثقافة العربية في مدينة إكيرن خاصة وبلاد يوربا كافة.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد، هو اختلاف أرباب صناعة الكلام حول السجع وقيّمته البلاغية. فمنهم من يعيبه ويعدّه من الأساليب التي تقوم أكثر ما تقوم على الصنعة والتكلف والتعسف وهم يستدلون على وجهة نظرهم هذه بما آل إليه البيان العربيّ من تدهور وانحطاط في العصور التي شاع فيها استعمال السجع. ومنهم من استحسّنه ودافع عنه محتجاً بأنّه لو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم، حيث لا تكاد سورة تخلو منه، بل إنّ من سوره ما جاءت جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما. وكذلك يحتجّون بأنّ الصنعة والتكلف والتعسف ليست أموراً مقصورة على أسلوب السجع، وإثماً يبيّن أمور من الجائز أن تلحق بالسجع كما تلحق بغيره من الأساليب، وليس العيب في السجع ذاته وإثماً العيب في من يحاوله ثمّ يعجز عن حسن استخدامه وإضاعة المعنى.

الخاتمة

لقد حاول الباحث من خلال هذا البحث أن ينظر في دراسة بلاغية في كتاب القطاف الدانية لمؤلفه مصطفى جمعة أديوالي الإكرونيّ الأزهريّ، مع التركيز على صور محسّنات لفظية فيه. ويظهر لنا جلياً من خلال هذه الدراسة السابقة أنّ العناية والاهتمام بالإنتاجات العربية من علماء يوربا جوارنا محفوظة الأزهار، وتبهج الأنظار، وتوقظ الأذهان، وتنوير العقول، وتبهج الصدور. والبحث بدراسة فنية فيها كنز من كنوز تراث العلم وشعار من شعائر الإسلام. كما أحسن مؤلّف الكتاب استعمال محسّنات لفظية خاصّة الجناس والاقتباس والسجع خير الاستعمال في الكتاب - قيد البحث. وأُنهي الباحث بتقديم توصيات ختامية كالآتي:

- ١- اقترح الباحث أنّه يجب على دارسي اللغة العربية الاهتمام البالغ بالأعمال الأدبية التي أنتجها علماؤنا المحليون في نيجيريا بصفة عامّة وفي بلاد يوربا بصفة خاصّة، ولاسيّة

ما المظاهر البلاغية فيها المعتمدة بلبّ الأعمال الأدبية في فهم النصوص العربية المعاصرة.

٢- وأوصى الباحث ترغيب حكومة نيجيريا بصفة عامة وولاية أوسن بصفة خاصة إلى تقوية وجهة النظر في المستقبل الناضج لدراسة اللغة العربية لكونها جزءاً من تراث نيجيريا الثقافي.

٣- وعلى الوالد أن يهتم اهتماماً كبيراً بتعليم اللغة العربية كما ينبغي لأبنائهم في كل المراحل الدراسية لإبراز مزاياها لتعميم الفائدة لكل قاص ودان.

الهوامش المراجع:

- ١- مقابلة مع شخصية مصطفى جمعة أديوالي، يوم الأحد ٢٠١١/١/٢ في رحاب روضة الدراسات الإسلامية والعربية، إكيرن، ولاية أوشن، نيجيريا. من الساعة العاشرة صباحاً إلى الساعة الثانية ظهراً.
- ٢- المرجع نفسه
- ٣- الدكتور عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار الآفاق العربية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص: ٥
- ٤- عبد الرضا صادق: البلاغة للصّفين الخامس والسادس (الفرع الأدبي)، لجنة في وزارة التربية وتنقيح، طبع في مطابع الرسالة - الكويت، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص: ١٥٧
- ٥- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، المكتبة العلمية بيروت - لبنان، ص: ٢٤٣
- ٦- المرجع نفسه، ص: ٢٤٣
- ٧- المرجع نفسه، ص: ٢٤٨
- ٨- الشيخ أحمد قلاش: تيسير البلاغة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص: ١٤٢
- ٩- الدكتور عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار الآفاق العربية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص: ١٦٧



- ١٠- المرجع نفسه ، ص: ١٦٧
- ١١- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، المكتبة العلمية بيروت - لبنان، ص: ٢٥١
- ١٢- الخطيب القزويني (٦٦٦-٧٣٩هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الثّانيّة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص: ٣٣١.



المورفيم الظاهر في قصيدة "بث الشوق والشكوى" للشيخ محمد غبريم الداغر: دراسة صرفية تحليلية لنماذج المختارة

رحمة شعيب

و

الأستاذ الدكتور عبد السلام أمين الله أتوتليطو

قسم اللغات (شعبة اللغة العربية)،

جامعة الحكمة إلورن-نيجيريا،

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، آمين.

وبعد، فقد يطلق المورفيم على المباحث الصرفية القديمة التي عالجها العلماء في حقل الصرف، ويعتبر المورفيم من أهم الركائز الأساسية لعلم اللغة العام، حيث جعلوه أساسا لتحليل كل لغة نطق بها البشر، فالمورفيم قسمان؛ الظاهر والصفر، فالمورفيم الظاهر هو العنصر الصرفي المشترك بين جميع اللغات، وهو يصلح أن يجعل قياسا في الدراسات اللغوية، وذلك لكونه أصغر وحدة مؤثرة في الكلمة صرفيا في كل لغة من لغات العالم.

إن قصيدة "بث الشوق" تحتوي على الكثير من المورفيمات الظاهرة المتنوعة ومع ذلك كله لم تحظ بعناية بالغة من قبل الباحثين الأكاديميين، لذلك قامت الباحثة بتتبع هذه المورفيمات الظاهرة في هذه القصيدة وتوضيحها وتحليلها وتبيين دلالتها اللغوية لتضيف إلى البحث العلمي موضوعا جديدا.

فاللغة كما عرفها ابن جني "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، ومن تلك الأصوات التي تتألف فيما بينها تتكون الكلمات، ومن مجموع الكلمات تتكون الجملة التي لا بد أن تدل على معنى مفيد، وعلاوة على ذلك، إن عناصر أية لغة تشمل أربعة أشياء، وهي الأصوات أو ما يسمى بـ"الحروف الألفبائية" التي تبنى منها الكلمات والأبنية أو الصيغ

الصرفية التي تدخل في إطارها الكلمات والتراكيب النحوية أو العبارات أو الجمل، والدلالة أو المعنى.

وعلى هذه العناصر اللغوية الأربعة يشتمل ما يطلق عليه (علم اللغة) الذي يهتم بدراسة اللغة، وعلى الرغم من صعوبة التعاطي مع مادة التصريف لدى طلبة اللغة العربية فقد أصبحت دراستها أمراً لا محيص عنه، وذلك للوقوف على أصول الكلمات والاشتقاقات وتوجيهها صرفياً وفق القواعد المقررة عند أهل الفن، ومعرفة المجرد والمزيد وما يعتري الكلمات العربية من التغيرات ودلالاتها.

خلفية مختصرة عن مفهوم المورفيم العربي وآراء اللغويين فيه:

المطلب الأول: معنى المورفيم لغة واصطلاحاً:

كلمة مورفيم معربة عن الأصل الأجنبي (Morpheme)، وهو مشتق من اليونانية "Morphe" ومعناها الشكل أو البنية^٢.

المورفيم هو أصغر وحدة لغوية تحمل معنى أو وظيفة نحوية، ولا يمكن تجزئته أو تقسيمه دون تغيير أو تعديل لمعناه^٣. وقد عرف بأنه "أصغر وحدة لغوية مجردة ذات معنى"^٤، والمورفيم الظاهر هو الذي له علامة ظاهرة في الكلام^٥، وهو كثير جداً في كلام العرب.

المطلب الثاني: أقسام المورفيم:

وقد قسم العلماء المورفيم إلى صنفين أساسيين هما: المورفيم الحر والمورفيم المقيد، وهذا الموضوع ينصب على جميع المورفيمات.

- **المورفيم الحر:** هو المورفيم الذي يمكن نقله من مكان إلى مكان أخرى في الجملة، ويمثله المورفيم الاشتقاقي والمعجمي نحو: "مهاجر" الذي يمكننا أن نجعله في أول الجملة فنقول: "المهاجرون عادوا"، ويمكننا أن نؤخره فنقول: "عاد المهاجرون" وعندما نقله تنتقل معه المورفيمات المرتبطة به.

- **المورفيم المقيد:** هو الذي لا يمكن فصله أو نقله من مكان إلى آخر، بل يبقى مرتبطاً بالمورفيم الاشتقاقي أو المعجمي، نحو: (ال) (ون) في (المهاجرون)^٦.

قد اعتبرت الأحرف اللواصق والحشوات على الحروف الأصلية في الأفعال المزيدة بأنواعها الثلاثة، المزيدة بحرف واحد، والمزيد بحرفين، ومزيد بثلاثة أحرف، مورفيمات مقيدة، همزة القطع في "أفعل" مورفيم مقيد، وهمزة الوصل والسين والتاء في "استفعل" مورفيم مقيد، والألف مورفيم مقيد، والشدة الزائدة في "فعل" مورفيم مقيد، إنما اعتبرت هذه الزيادات مورفيمات لأنها احتوت دلالات خاصة، والمعروف أن المورفيم أصغر وحدة لغوية تحمل الدلالة.

وتقوم الباحثة -بإذن الله- بتحليل وتوضيح دلالات الأفعال والأسماء والحروف المشتملة على المورفيمات الحر والمقيد لبعض نماذج مختارة من قصيدة "بث الشوق والشكوى" للشيخ محمد غبريم الداغري حسب السياقات المختلفة التي وردت فيها.

المبحث الثاني: نبذة عن الشاعر الشيخ غبريم الداغري وعرض وجيزة لقصيدة "بث الشوق":

المطلب الأول: نسبه، ومولده، ونشأته ووفاته:

هو الشيخ المرحوم محمد غبريم بن محمد غانم بن علي بن إبراهيم بن محمد بن عمر، الداغري، واسم والدته الشريفة فاطمة بنت عبد الرحمن^٧.

ولد الشيخ محمد غبريم يوم الأربعاء غرة المحرم ١٩٠٢م/١٣٢٧هـ في بلدة تسمى (غرازو) وهي بلدة تابعة لمدينة غره في جمهورية نيجر، وكان على شمالها وجانبه الشرقي جبل كبير وطويل، يرى من بعيد، وتسمى هذه البادية بالأكوس.

وسبب لقبه بـ(غبريم) هو أنه ولد في سنة كثرة الشوك الذي يسمى (غب)، وكل من حضر العقيقة شغل بكثرة الشوك بما تعلق الشوك بتيابهم لكثرتهم، فقالوا هذا المولود (غبما): أي صاحب الشوك، ويسمونه بهذا اللقب ثم عدلوا إلى اسمه الأصلي يعني (محمد غبريم) كما يسماه بعض الناس بـ(ممن داغر)^٨.

نشأته

نشأ الشيخ محمد غبريم على خير ما ينشأ عليه الطفل لتكتنفه الفضائل، ويحيطه العلم والدين، فما تفتحت عيناه إلا على قرآن يتلى، وصلوات تؤدي، ومجالس علم يفتى فيها، وعلى العموم

فلم يجد الشيخ محمد غبريم - رحمه الله - في مجتمعه الذي عاش فيه إلا الاستقامة والدين، ونشأ الشيخ في بيت علم ودين كما سبق ذكر ذلك، حيث تلقى تعليمه الأولية عند والده محمد غانم وحفظ القرآن حفظاً متقناً، وبعد ذلك بعث به والده إلى بلدة "دغنو" ليتعلم عند عمه الماهر المعلم محمد ناذو، ثم أخذه به محمد ناذو إلى معلم آخر وهو أبه ثم كلوري^٩.

لقد عاش الشيخ المرحوم محمد غبريم من العمر ثلاثاً وسبعين سنة، ثم توفاه الله في بلدة إنغرو، يوم الأربعاء الثاني من شهر الله صفر عام ١٣٩٥ هجري الموافق ٢/١٢/١٩٧٥ م، تارك الشيخ أربع أزواج والأولاد مع البنات والإخوة، نور الله ضريحه وغفر له ورحمه رحمة واسعة^{١٠}.

المطلب الثاني: عرض وجيز لقصيدة "بث الشوق:

عنوان القصيدة

عنون الشيخ غبريم قصيدته بـ "بث الشوق والشكوى في الطلب والجدوى إلى ذي الفضل والتقوى، عليه الصلاة والسلام" وبلغ عدد أبيات القصيدة ٢٥٦.

العرض الأساسي للقصيدة

يمكن أن نستلهم الفكرة الأساسية التي تقوم عليها القصيدة من خلال عناونها، حيث كان العنوان "بث الشوق والشكوى في الطلب والجدوى إلى ذي الفضل والتقوى عليه الصلاة والسلام". والقصيدة بهذا العنوان تتمحور حول فكرتين أساسيتين:

- الفكرة الأولى؛ بث الشوق.
- والفكرة الأخرى؛ الشكوى التي تتمثل في تقديم الطلبات من قبل الشاعر لحضرة النبي ﷺ.

ولكن الباحثة تجد أن الفكرتين جاءتا مزدوجتين بعضها ببعض، فلا تكاد تفصل بين بث الشوق وبث الشكوى.

تكلم الشيخ غبريم في هذه الأبيات مناجيا الحضرة النبوية، وهو ييثر شكواه مزدوجة بإبراز الشوق والمحبة، ومتعرضاً لنفحات هذه الحضرة الكريمة التي لا ترد من قصدها بحاجة من الحاجات؛ إلا مدح النبي ﷺ بما فتح الله عليه من الصفات الجميلة والخصال الرفيعة.

إن معظم أبيات القصيدة تدور حول فلك رفع الشكوى إلى حضرة النبي ﷺ مع الامتداح الجنب النبوي الطاهر، ونرى الشيخ غبريم يحث المريدين ذوي الحاجات أن يتعرضوا للحضرة النبوية عند طلب حوائجهم حيث لا ترد الطلبات، بل تحققت الرغبات والحاجات، كما يؤكد الشيخ أن الذي يطلب الحاجات دون اللجوء إلى الحضرة النبوية فقد يقع في الحرمان.

المبحث الثالث: مفهوم المورفيم وعناصره؛

المطلب الأول: المورفيم وأنواعه:

المورفيم هو أصغر وحده لغوية تحمل معنى أو وظيفة نحوية، ولا يمكن تجزئته أو تقسيمه دون تغيير أو تعديل لمعناه، وقد عرف بأنه "أصغر وحدة لغوية مجردة ذات معنى" ^{١٢}، والمورفيم الظاهر هو الذي له علامة ظاهرة في الكلام، وهو كثير جدا في كلام العرب.

أنواع المورفيم:

للمورفيمات أنواع كثيرة وفقا للمعنى، منها:

مورفيم النوع الكلامي: اسم، وفعل، وحرف:

وهذه المورفيمات تظهر في العربية من خلال الصيغة، وليس هناك أصوات معينة مرتبطة بأسماء أو الأفعال، فمثلا: صيغة "كتب" تدل على الفعلية، وصيغ "كتابة" تدل على الاسمية، ويبقى الحرف خاليا من أية الصيغة تدل عليه.

مورفيم الجنس، مثل: المعنى، والجنس، والصيغة:

مذكر "مؤمن" مؤنث "مؤمنة"، جمع مؤنث "كتبن" جمع مذكر "كتبوا".

مورفيم العدد، مثل: المعنى، والعدد، والصيغة:

مفرد مذكر "مؤمن"، مثنى "مؤمنان" جمع مذكر "مؤمنون" جمع مؤنث "مؤمنات"، مفرد "كتب" مثنى "كتبنا" جمع "كتبوا".

مورفيم الإعراب، مثل: المعنى، والإعراب، والصيغة:

مفرد مرفوع "مؤمن"، مفرد منصوب "مؤمنا" مفرد مجرور "مؤمن"، جمع مذكر سالم مرفوع "مؤمنون" جمع مذكر سالم منصوب "مؤمنين" مثنى مرفوع "مؤمنان"، مثنى منصوب "مؤمنين".

مورفيم الزمن، مثل: المعنى، والزمن، والصيغة:

ماض: جلس، حاضر أو مستقبل: أجلس، حاضر أو مستقبل: تجلس، حاضر أو مستقبل: يجلس.

مورفيم التعريف: وهو يتمثل في علامة التعريف، ويكون بـ"ال" في مثل "الكلب"، والدار"، أو بأحد أومورفاته مثل: النجم، والبنت، والدلو.

مورفيم القرب والبعد: وهو يتمثل في أسماء الإشارة: (المعنى والمتوسط والبعد والصيغة). إشارة للقريب "هذا" إشارة للمتوسط "ذاك"، إشارة للبعيد "ذلك"، جمع قريب "أولاء"، جمع متوسط "أولائك"، جمع بعيد "هنالك".

المورفيم الاشتقاقي: وهو الصيغة التي تعطي معنى معيناً، مثل: التعدية: أخرج، المشاركة: كاتب، التكتير: كُتب، الطلب: استكتب، اسم الفاعل: كاتب مجاهد، اسم المفعول: مكتوب، مكتسب.

مورفيم معجمي: وهو المعنى الذي تتمثله حروف الجذر، أي "الحروف الأصول"، كما في كلمة "استعمل"، المورفيم المعجمي فيها هو "ع م ل".

مورفيم خال: "غير ظاهر": هو مورفيم الذي ليس له علامة ظاهرة في كلام، مثل "مسلم" الذي يدل على تذكير وإفراد وعامل وتنكير، وبما أن هذه المعاني أساسية، فاللغة لا تضع لها أحيانا مورفيمات ظاهرة.

مورفيم ظاهر: وهو الذي له علامة ظاهرة في كلام، ومعظم المورفيمات من هذا الصنف.

مورفيم سابق: هو الذي يلتصق بأول الكلمة، مثل مورفيمات المضارعة والشخص في "يضرب"، أو التعريف في "البيت".

مورفيم لاحق: هو الذي يلتصق بآخر الكلمة، مثل مورفيمات الإعراب والعدد، والجنس.

مورفيم الحشو: هو المورفيم الذي يقحم في وسط الكلمة، مثل: زيادة الفتحة طويلة في وسط الصيغة البسيطة "كتب" لتصبح "كاتب".

مورفيم متعدد الوظائف: هو المورفيم الذي تستعمل صيغته الصوتية لأكثر من مورفيم مثل: "ون"، التي تمثل مورفيمات العدد والجنس والإعراب. وكذلك الهمزة في "أكتب" التي تمثل ثلاثة مورفيمات: مورفيم شخص المتكلم، ومورفيم عدد مفرد، ومورفيم زمن. وكذلك "من" التي تستخدم للاستفهام، والشرط والموصول والنفي^{١٣}.

المطلب الثاني: عناصر المورفيم: المورفيم الحر والمقيّد في اللغة العربية.

قبل الشروع في بيان عناصر المورفيم، تجدر الإشارة إلى توضيح مفهوم المورفيم الظاهر الحر والمورفيم الظاهر المقيّد، لما بينهما وبين عناصر الزيادة من علاقة وطيدة، وذلك أنه لا جدوى لهذه العناصر إذا كان المورفيم حر ومقيّد مفقودين، لأن هذه العناصر هي التي تجعل المورفيم الحر مورفيما مقيداً.

هنا يُفهم أن المورفيم الحر يشكل المورفيم التوليدي، حيث إذ دخل عليه عنصر من عناصر المقيّد، وهي: عنصر الزيادة، وعنصر الحذف، وعنصر الترتيب، وعنصر التنعيم، وعنصر العلامة. ويصير المورفيم مقيداً مورفيما تحويلياً بعد دخول العناصر المذكورة عليه.

المورفيم التوليدي: هو المورفيم النواة أو أصل المورفيم قبل دخول عنصر من عناصر التحويل عليه "بيت" مورفيم توليدي، وذلك أنه يشكل مورفيما حراً، المورفيم الحر بهذا الشكل البسيط مورفيم نواة، ولكنه إذا دخل عليه عنصر من عناصر التحويل، وهي عنصر الزيادة، وعنصر الحذف، وعنصر الترتيب، وعنصر التنعيم، وعنصر العلامة، يصير المورفيم مورفيما تحويلياً.

المورفيم التحويلي: هو المورفيم النواة الداخل عليه عنصر من عناصر التحويل المذكورة آنفاً. وهذه العناصر قد تدخل على الاسم، كما أنها تدخل على الفعل. وعناصر الزيادة قد ترد في بداية المورفيم الحر وفي وسطه وفي آخره. ويكتفي الباحث هنا بإيراد عناصر الزيادة الداخلة على المورفيمات الاسمية والفعلية^{١٤}.

ومثال دخول عناصر الزيادة (السوابق) على المورفيم الاسمي الحر في البداية "السوق" دخل عليه عنصر الزيادة (السوابق) "ال" على المورفيم الاسمي الحر "سوق"، صار معرفة بعد أن كان نكرة.

المورفيم



المبحث الرابع: عناصر المورفيم الحر والمقيد في قصيدة (بث الشوق) للشيخ محمد غريم دراسة تطبيقية لنماذج مختارة.

المطلب الأول:

تتناول الباحثة هنا تطبيق بعض النماذج المختارة لما سيأتي في البحث
من أمثلة المورفيم الظاهر في القصيدة ما يأتي:

المورفيم الظاهر الحر:

النموذج الأول:

إلى أحمد المختار وجهت وجهتي * وفي القلب حاجات تعز لفوحت

الشاهد: (إلى)

فإن "إلى" في هذا البيت الشعري مورفيم حر ظاهر، لأنه يستقيم بنفسه، ودلالاته حسب
وروده في البيت هي انتهاء الغاية. وضح الشاعر هنا أن غاية وجهته تنتهي إلى أحمد المختار
ﷺ، لا إلى غيره من خلق الله، وذلك لفضله ﷺ، وحبه الخالص له.

النموذج الثاني:

ألا يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ عُدَّتِي ** أَلَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ عُمِدَتِي

الشاهد: رسول

فإن "رسول" في هذا البيت الشعري مورفيم ظاهر حر، لأنه اسم مستقل بنفسه،
ودلالته حسب وروده في البيت شخص مبعوث من الله بالوحي، وهو شخصية النبي الكريم،
محمد ﷺ، بين لنا الشاعر هنا عظمة النبي ﷺ وفضله عند ربه الكريم، ولذا دعاه مستغيثا به
إلى ربها سبحانه وتعالى. ويفهم ضمنا أن الشخص الوحيد الذي يمكن التواصل عن طريقه
إلى الله سبحانه وتعالى.

النموذج الثالث:

ألا يا رَسُولَ اللَّهِ يَأْمَنُ بِهِ أَنَا ** طَ إِيجَادَ كُلِّ الْخَلْقِ رَبُّ الْبَرِيَّةِ

الشاهد: "ألا"

فإن حرف "ألا" في هذا البيت الشعري مورفيم الحر لأنه يستقيم بنفسه، دون اعتماد على غيره، ودلالاته حسب وروده في هذا البيت التنبيه والاستصغاء، وهو يستدعي النبي الكريم، ويطلب منه التفرغ له، وذلك أن ما يريد أن يقوله أمر مهم، ولا يريد أن يشاركه فيه غيره. النموذج الرابع:

عَلَيْكَ صَلَاةٌ مِنْ سَلَامٍ رَفِيقُهَا** سَلَامٌ يَلِي أَبَادَ آبَادٍ أُخْرَى

الشاهد: "من"

فإن "من" في هذا البيت الشعري مورفيم ظاهر حر، لأنه يستقيم بنفسه، ودلالاته حسب وروده في البيت هي مصدرية، أي مصدره من الله السلام، ويقصد الشاعر هنا أن الصلاة الحقيقية لا يأتي إلا من الله السلام. ويفهم هنا أن صلاة الله سبحانه وتعالى هي الصلاة الحقيقية، وهي أفضل بالكثير من صلاة الناس للنبي الكريم. وهذه الصلاة بعينها هي التي يطلبها الشاعر للنبي الكريم، ﷺ.

النموذج الخامس:

أَيُّدْرِكُنِي ضَيْمٌ مِّنَ الذَّنْبِ مُوبِقٌ * لِقَلَّةِ إِحْسَانِي وَأَنْتَ سَفِينَتِي

الشاهد: "ضيم"

فإن "ضيم" في هذا البيت الشعري مورفيم ظاهر حر، لأنه يستقيم بنفسه لا يعتمد على غيره، ودلالته حسب وروده في البيت الشعري هي الظلم والإهانة والجور. يقر الشاعر في هذا البيت الشعري أن الظلم لا يدركه ما دام النبي الكريم سفينته ووسيله إلى الله سبحانه وتعالى. وفيه حث على الإيمان الجازم بأن من كان النبي الكريم وسيلته إلى الله سبحانه وتعالى لا يدركه ظلم ولا إهانة ولا جور مهما كانت قلة إحسانه.

النموذج السادس:

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا مَنْ رَأَاهُ جَب ** رَّئِيلٌ مُنِيرًا طَالِعًا قَبْلَ نَشْئَةِ

الشاهد: جبرئيل

فإن "جبرئيل" في هذا البيت الشعري ، مورفيم ظاهر حر، لأنه قام بنفسه، وهو اسم لأعظم ملك الله سبحانه وتعالى، فالشاعر هنا يبين لنا قيمة ملك الله جبرئيل عليه الصلاة

والسلام عند الله. فإن رؤية أعظم ملك الله سبحانه وتعالى للنبي الكريم دلالة واضحة بأن الرسول الكريم أعظم خلق الله سبحانه وتعالى.
النموذج السابع:

وَإِنْ مَسَّنِي سُوءٌ بُلِيْتُ بِكَرْبِهِ ** فَمِنْكَ رَجَوْتُ الْيُسْرَ مِنْكَ بِلُطْفَةِ

الشاهد: "إن"

فإن "إن" في هذا البيت الشعري مورفيم حار الظاهر، لأنه يعتمد على نفسه لا على غيره، ودلالته حسب وروده في هذا البيت هي الشرط، والغرض من الشرط في هذا البيت الشعري هو النفي، وهو أن الشاعر متأكد بأنه لا يمسسه السوء، وذلك أنه يرجو اليسر من الله سبحانه وتعالى. ومن يرجو اليسر من الله بلطفه لا يمسسه السوء.

المورفيم الظاهر المقيد:

النموذج الثامن:

إلى أحمد المختار وجهت وجهتي ** وفي القلب حاجات تعزلفوهتي

الشاهد: "ي"

ياء المتكلم في "وجهتي" مورفيم الظاهر المقيد ، لأنه يعتمد على غيره، وهو "وجهة". وهذا المورفيم يدل على الشخص المتكلم. فإن الشاعر هنا يظهر حبه الخالص للنبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك قام بأن وجهته وجهت إلى النبي الكريم، فإنه لا يوجد أحد أشد حبا للنبي صلى الله عليه وسلم من الشاعر، ولذلك اختار نفسه، أي لا يوجد أحد يوجه وجهته إلى النبي ﷺ كما يوجهه - هو - وجهته إلى النبي الكريم ﷺ.

النموذج التاسع:

أَلَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ عُمْدَتِي **

الشاهد: ك

إن "ك" في هذه البيت الشعري مورفيم ظاهر مقيد، لأنه يعتمد اعتمادا كلياً على غيره، لأنه لا يمكن القيام بنفسه. فإنه ضمير متصل. وهذا المورفيم يدل على المخاطب مهما أنه غير موجود لكن لأجل حبه الخالص له، ويخاطبه كأنه موجود أمامه. فإن استخدام "ك" هنا نوع

من التأكيد، وذلك أن الشاعر قد ناداه برسول الله، ثم استخدم له ضمير المخاطب، لبيان بأن المقصود برسول الله هو المخاطب لا غيره، وهو النبي الكريم ﷺ.

النموذج العاشر:

عَلَيْكَ صَلَاةٌ مِنْ سَلَامٍ رَفِيقُهَا * سَلَامٌ يَلِي آبَادَ آبَادٍ أُخْرَهُ

الشاهد: "ها"

"هاء" في هذا البيت الشعري، مورفيم ظاهر مقيد، لأنه يعتمد على غيره، وهو "رفيق". وهذا مورفيم يدل على ضمير يعود إلى الصلاة، فالشاعر هنا يظهر أن "هاء" ضمير في "رفيقها" يعود إلى الصلاة لأنها هي الأصل والسلام هو رفيقها، وهما لا ينفصلان بل أنهما يمشيان معا. يفهم من استخدام هذا الضمير أن

النموذج الحادي عشر:

رَأَى النُّورَ نَجْمًا ثَاقِبًا مُتَعَدِّدًا * بِتَكْغَيْبِ آلاَفٍ بَعِ أَيَّ حِقْبَةٍ

الشاهد: "ال"

فإن "ال" الواردة مع "نور" في هذا البيت الشعري مورفيم ظاهر مقيد. استخدم الشاعر "ال" مع كلمة "نور" لتخصيصه، وذلك أن "نور" في حالة التنكير ذو دلالة فضفاضة، ولكنه قصد النور الحقيقي، وهو نور الله سبحانه وتعالى، وذلك النور هو النبي الكريم ﷺ.

النموذج الثاني عشر:

أَتَخَذُ لِي وَالنَّصْرُ مِنْكَ رَجْوُهُ * وَخُلِقَ عَظِيمٌ خُطٍ فِي بَعْضِ سُورَةٍ

الشاهد: "أ"

فإن "أ" في هذا البيت الشعري مورفيم ظاهر مقيد، لأنه يعتمد على غيره، وهو "تخذل"، وهي همزة الاستفهام، ولكن دلالتها هي "الاستبعاد"، يستبعد الشاعر وقوع الخذلان ممن كان موضع أمل وثقة. وذلك أن الشاعر يرجو النصر من الله سبحانه وتعالى، وهو متأكد بأن من رجا نصرا من الله سبحانه وتعالى لن يحصل لهم الخذلان.

الخاتمة:

قد سلط هذا البحث (المورفيم الظاهر في قصيدة "بث الشوق والشكوى" للشيخ محمد غبريم الداغر: دراسة صرفية تحليلية لنماذج مختارة) ضوءاً منيراً على مفهوم المورفيم وعناصره، ثم النبذة التاريخية عن حياة الشاعر الشيخ محمد غبريم، ثم الدراسة التطبيقية عن المورفيم الظاهر في قصيدة "بث الشوق والشكوى"، وذلك ببيان نوعه ودلالاته حسب وروده في القصيدة.

قد توصلت الباحثة على جملة من نتائج، هي:

- ١- أن عنصر المقيد المستخدم بالكثرة في هذه القصيدة هو عنصر اللواصق.
 - ٢- أن المورفيم الحر أكثر وروداً في النماذج المختارة لهذه الدراسة.
 - ٣- أن للمورفيم الظاهر بأنواعه دلالات سطحية وضمنية.
 - ٤- أن المورفيم الظاهر الحر الفعلي أقر وروداً في النماذج المختارة.
- توصي الباحثة نفسها وغيرها من الباحثين والدارسين بتوظيف المناهج اللغوية الحديثة في الدراسة العربية.

المراجع والمصادر:

- ١- أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، (القاهرة، دارالكتب المصرية) ١٩٥٢م ص: ٣٣.
- ٢- ناصر الدين إبراهيم أحمد، مدخل إلى علم اللغة، ط ٢، مكتبة الناصرية، جغافوا، ٢٠١٢م، ص: ١٢٤.
- ٣- محمد أسود خليفة، التمهيد في علم اللغة، ط ٤، مكتبة العالم العربي، ٢٠٠٢م، ص: ٩٢.
- ٤- النايي إلهام، المونيم والمورفيم بين المدرسة التوزيعية والوظيفية، بحث تكميلي مقدم إلى قسم اللغة والأدب العربي جامعة أبوبكر بلقاسم (university Tcemcer) كلية الآداب واللغات، ص: ٢٥.
- ٥- ناصر الدين إبراهيم أحمد، المرجع السابق، ص: ١٢٥.
- ٦- المرجع السابق، الصفحة نفسها.
- ٧- علي محمد حافظ، **الإستدراكات على قصيدة المؤنثات السماعية**، رسالة ماجستير جامعة بايرو، عام: ٢٠١٨م، ص ٣٥.
- ٨- منير غبريم، الخلاصة: **خلفية تاريخية عن الشيخ محمد غبريم**، (د.م. ٢٠٢٣م) ط ١، ص ١-٢، بالتصرف



- ٩- علي مُجَّد حافظ، المرجع السابق، ص ٢٧.
- ١٠- المرجع نفسه والصفحة.
- ١١- النابي إلهام، المونيم والمورفيم بين المدرسة التوزيعية والوظيفية، بحث تكميلي مقدم إلى قسم اللغة والأدب العربي جامعة أبوبكر بلقاسم (university Tcemcer) كلية الآداب واللغات، ص: ٢٥
- ١٢- ناصر الدين إبراهيم أحمد، مجلد دار العلوم في سجل التاريخ الخالد، ٢٠٢٤م، ط ٣، ص ٢٢٦- ٢٢٨ ، بالتصرف.
- ١٣- ناصر الدين إبراهيم أحمد، مجلة دار العلوم في سجل التاريخ الخالد، ٢٠٢٤م، ط ٣، ص ٢٢٨. بالتصرف.



الصّورة التّوضيحية في المعاجم اللغوية المتوسطة الواقع والآفاق: دراسة وصفية نموذجية

الدكتور إدريس خالد

idris.khalid@uniabuja.edu.ng

٠٨١٣٣٠٩٣٣٢٥

قسم اللغة العربية، جامعة أبوجا نيجيريا

و

بابا الحاج علي

balhajiali79@gmail.com

٠٨٠٦٥١٥٨٦٦٠

قسم اللغة العربية، جامعة أبوجا نيجيريا

مستخلص البحث

يرى الباحثان أن أهمية الصورة التوضيحية وأداءها التربوي للمتعلمين الصغار والباحثين الكبار ينقلها إلى مستوى أقرب إلى الطريقة الأساسية في التعريف عند صناعة المعاجم. وبذلك يكتمل الأداء التربوي للمعاجم اللغوية العربية وأهميتها البيداغوجية! وبقدر الاهتمام المعجمي بالصورة وإتقانه لها كان نجاحه!! وقد بدا للباحثين الحالي أن المعجميين لا يعطون الصورة حقها فقصرّوا في حقها وهم لا يقدمونها إلّا في أسماء الأشياء؛ رغم ما كان للصورة في المعاجم اللغوية من الآفاق والقيمة التربوية العالية والتي تكمن في أنها تسهل للمعجمي أداء المعنى باختصار غير مخل وترفع المستهلك إلى مستوى اليقين - في المعلومات - المنافي للشك كما تساعد على التعلم الذاتي. وهذا سبب البحث في الموضوع. وقد أدرك الباحثان أن الصورة أو الرّسم ليس لتفسير الأسماء فقط وإنما تستخدم لتجسيد المعاني في الأسماء والأفعال، وتستغل قدرتها في الحقول الدلالية لرفع الشك لدى المستهلك في الأشياء المتشابهة في الشكل ولا بد من الاهتمام بوجودها وتخصيص الصفحات للصورة فقط. وإن الدراسة كهذه ملفتة لأنظار المعنيين أو المعجميين وتمرين لعقولهم فيعيدوا النظر في الصورة وأهميتها ليتحقق الأمل المنشود

على معاجمنا اللغوية. وإلاّ سوف يصدق عليها المقولة: " إنّ المعاجم اللّغوية العربية لم تنزل في المهده صبية وقد بلغت في الكبر عتية.

المقدمة

إنّ صناعة المعجم علم وفن، والجانب العلمي منها لم يعتريه تأخرا أيا كان لدى العرب، بل المشكلة تكمن في الجانب الفني. ولا يتحقق أي معجم صفته التربوية إلا إذا تفنن صانعه في جميع خطوات صناعة المعجم تفننا بيداغوجيا مثمرا. فالمستهلكون دائما بحاجة إلى محصلات هذا التفنن. ويبدو للباحثين أن معجمي العرب لا يطورون معجمهم تطورا بيداغوجيا من ناحية الصور التوضيحية إلا بعد تلقي تعليمات من إنتاجات الغرب. وعلمنا بأن المعاجم على درجات من حيث الجودة والإتقان، وجودتها تُحسب بتوافر الشّروط اللاّزمة عند التّعامل مع جزئيات خطوات صناعتها الثلاث؛ المداونة والترتيب والتّعريف. ويندرج استعمال الصّورة التّوضيحية تحت الخطوة الأخيرة؛ وهي التّعريف. وقد اعتبر علماء المعاجم اللغوية الصّورة التّوضيحية من الطّرق غير الأساسيّة في الشرح إلا في معاجم الصّغار؛ وبالعكس يراها الباحثان، ولا ينفردان في هذا الرّأي بل ذلك رأي معظم المعجميين المعاصرين، ولم تعدّ الصّورة التّوضيحية عند المعاصرين من الطّرق المساعدة في التّعريف، لأن المعجم كالمعلم الذي يتلقى منه التّعليمات، وينبغي أن يكون على قدر عال من الجودة يشار إليه بالبنان. وإذا كان الهدف الأساسي من المعجم إزالة الغموض، فالصّورة في ذلك تحتل الدّرجة الأولى عند توضيح المعنى؛ فقدرتها في إيصال المعلومات أسهل بكثير مقارنة بجميع الطّرق المعتبرة بالأساسيّة في التّعريف. وللموضوعية يتبع الباحثان الخطوات التالية:

- تعريف الصّورة لغة واصطلاحا.
- تاريخ دخول الصّورة في المعاجم.
- أهميّة الصّورة التّوضيحية في شرح مداخل المعجم.
- شروط الصّورة التّوضيحية الجيّدة.
- آفاق وأبعاد استخدام الصّورة وصلاحيّتها في المعاجم العامّة.

تعريف الصورة التوضيحية

١ - الصّورة لغة

الصورة: اسم من أصل ثلاثي "ص و ر" وردت لفظة الصّورة في لسان العرب بمعنى الشّكل وجمعه صور. يقال تصوّرتَه فتصوّر، وتصورت الشيء: توهمت صورته فتصور لي، والصّورة التماثيل^١. ويقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة "المعنى اللّغوي للصورة هو الشّكل والهيئة^٢. وفي المعجم الوسيط الصّورة: الشّكل والتمثال الجسم^٣. وصورة الشيء: هيئته وماهيته وصفته^٤. وقد وردت هذه المادة في التنزيل الحكيم في آيات متعددة وفي سياقات مختلفة، وكلها لم يخرج معناها عن المعنى اللّغوي: الشّكل والهيئة والصفة والخلق^٥. يقول عز من قائل في سورة الانفطار ٠٧ ﴿ في أيّ صورة ما شاء ركبك ﴾ بمعنى الشّكل؛ وفي التغابن ٠٣ ﴿ خلق السموات والأرض وصورك فأحسن صورك ﴾ وإليه المصير ﴿ بمعنى، خلقكم؛ وفي آل عمران ٠٦ ﴿ هو الذي يصورك في الأرحام كيف يشاء... ﴾ بمعنى يشكّلكم؛ وقوله ﴿...فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ﴾ في سورة البقرة ٢٦٠ بمعنى قطعهن وضمنهن؛ وقوله ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور... ﴾ الحشر ٢٤ إيجاد الشيء على الصفة التي يريدها؛ وأما الصّور الذي في سورة الأنعام ٧٣ ﴿.. يوم ينفخ في الصور عالم الغيب ﴾ وسورة طه ١٠٢ ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر ﴾ والنبأ ١٨ ﴿ يوم ينفخ في الصور وتأتون أفواجا ﴾ وفي الحاقة ١٣، والمؤمنون ١٠١، والزمر ٦٨، الكهف ٩٩، فهو مفرد جمعه "صور"، وهو اسم لصورة شيء معينة ينفخ فيه.

الصّورة التوضيحية اصطلاحاً

نقصد بالصّورة في هذه المقالة الرسومات أو الصور التوضيحية المعجمية أي تلك الوسائل غير اللّغوية التي تشتمل على الصّورة اليدويّة الرّسم أو الفوتوغرافية وغيرها من رسومات وأشكال وجداول بيانية وخرائط تحليلية وغيرها^٦. ومن النّاحية الفنيّة: فهي الأشياء أو الأشخاص المنقوشة على لوح أو حائط أو نحوهما بالقلم أو بالفرشة أو بحالة التّصوير^٧. وبالمعنى الأوسع - إلا أنه ليس المعمول به هنا - هو كلّ وسائل بصرية تتمثل في الصّورة المعتمدة، والأفلام

المتحركة والصامتة، والخرائط، والكرة الأرضية، واللوحات والبطاقات، والرسوم البيانية، والنماذج والعينات، والمعارض والمتاحف^٨.

يستكشف الباحثان من التعريفات العديدة التي اطلع عليها أنّ الصورة بتعريفها العام هي أداة تعبيرية تواصلية اتصالية يعتمد عليها البشر لتحسين المعاني والأفكار والأحاسيس؛ وتكون وظيفتها إما إخبارية أو رمزية أو ترفيهية^٩، وأنّ الصّورة بنية بصرية تشكيلية ودال له عدة مدلولات. وبتعريفها الخاص والمعمول به هنا هي الرسومات التي تستعمل عند صناعة المعجم لتسهيل التوضيح ورفع الشك حول معلومات لدى المستهلك.

٢- تاريخ دخول الصّورة في المعاجم

كانت الصورة من الوسائل التعليمية المستخدمة منذ القدم؛ بداية بالتّقوش على الحجرة ورسوم على التراب؛ ونجد ذلك عند الفراعنة أيضاً، وقد اتخذوا فيها أنماطاً مختلفة للتّواصل^{١٠}. ويرجع تاريخ استخدام الرّسوم التّوضيحية في المعاجم الأوربية إلى أوائل القرن الثامن عشر، ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت تكتسب أهميتها في المعاجم عالمياً^{١١}. وفي العصر الحديث أصبح استخدام الصورة من الضرورة، لأن الباحثين المعاصرين يرون بأنّها تقوم بدور تربوي كبير ومثمر كما تقوم بالدعم الحقيقي للوصف اللفظي، ولكنها مع ذلك لا تعتبر من العلامات اللغوية بذاتها، ولذلك ترتبط كثيراً بالمعلومات الموسوعية، فتستعمل في دوائر المعارف؛ إلا أنّها مضمنة في العلامات اللغوية، وهي تقوم مقام التعرف نفسه. الصورة تعتبر نصاً بذاتها إذ يعسر وضع نص فقط لتعريف لفظ الأرنب، بل لا بد من متابعته بالصورة ليكون أوضح. وبهذا الاعتبار أو الدور يمكن القول بأنّها تمثل التعريف النحوي الذي يعبر عن العلامات اللغوية، فالصورة مفيدة وأساسية في بعض الأحيان وعرضية في الأحياء الأخرى^{١٢}. وقد أدرك المربون وواضعوا المناهج حاجة المعلم والمتعلم لها من أجل إنجاح عملية التعلم والتعليم^{١٣}. وقد تطورت الصورة وتطورت دلالاتها واستعمالاتها في مختلف المجالات وأصبحت لغة عالمية مختصرة تفسر - أحياناً - حسب الخبرات.

٣- أهمية الصورة التوضيحية في شرح مداخل المعجم

تحتل الصورة التوضيحية مركز السيادة في ميدان التربية والتعليم إذ تسهل إيصال المعلومات إلى الباحث بدون أدنى تعب. وتكون بشكل الإشارة والرسم وتجسيد الكلمة أو التعبير أو الخريطة أو الجداول. ومن أهميتها في الشرح ما يلي:

أ- هي وسيلة توضيحية، وأداة بيداغوجية مهمة تساعد المستهلك وصانع المعجم معا على توضيح ما غمض من الدلالة بتشخيصها وبيان جزئيات أو مكونات الأشياء بتجسيد وتفسير ما تشابه أو تقارب مفهوما من الأفعال بتخصيصها^١.

ب- يستوعب الباحث المعلومات من خلال الصورة التوضيحية بسهولة وتكون بشكل ملخص وباختصار، وتكون فيها كمية من المعلومات وتكون أوضح من الكلام أحيانا.

ج- هي وسيلة مساعدة أحيانا وأساسية في أحيان أخرى، إذ يتم من خلاله تقديم البرهان وتقويم المعلومة وتصحيح التركيب.

د- تدفع العقول إلى التركيز وتصل الباحث إلى اليقين وتبلغ بالمستهلك إلى تأكيد المعلومات.

هـ- ولا يقتصر نجاح قدرة الصورة في الأداء للعارفين، بل هي معلمة في غياب المدرسة.

علاقة الصورة ببنية النص المعجمي

ما من نص إلا وله علاقة وطيدة بالصورة وحتى الحروف يعتبرها البعض من قبيل الصورة لأنها رسومات قائمة أو نائبة عن المعاني. ولا يحل نص إلا ويرسم له الكاتب صورة دلالية معينة في قلبه سواء فعل أو حرف أو تعبير.

٤- شروط الصورة التوضيحية الجيدة

يلاحظ أن استخدام الصورة والرسوم التوضيحية في توضيح مداخل المعجم تخضع لعدة التقنيات والمنهجية؛ منها:

- أ- أن تكون الصورة صائبة: أن تكون الرسم تماثل ذات الدلالة بدون خطأ، تدرك القاصي والداني أن الرسوم لهذا المسمى دون غيره^{١٥}.
- ب- أن يكون استعمالها سبب للاختصار أي أن لا يؤدي إلى التضخم المخل أو رفعة تكاليف الطباعة.
- ج- أن ترادف بالشرح اللغوي دائماً، خاضة في الجانب العملي الذي لا يمكن للصورة إظهارها.
- د- أن يكون الرسم أو الصورة التوضيحية جذابة تقوم بربط حقيقي بين اللفظ ومدلولاته.

٥- آفاق وأبعاد استخدام الصورة وصلاحتها في المعاجم العامة

أ- مجال وأبعاد استخدام الصورة في المعاجم العامة

يرى الباحثان أهمية كبيرة للصورة التوضيحية في المعاجم اللغوية دون معظم الباحثين الذين يرون أهميتها الكبرى فقط في معاجم مستوي دنية واتخذوها فضلى في غيرها. ويبدو أنه ينبغي أن تعدّ الصورة ضمن الطرق الأساسية عند التعريف - خاصة المعاجم العامة الصالحة للأجانب - للأبعاد التالية:

❖ تستخدم الصورة في الحقول المعجمية للتفريق بين الأشكال المتشابهة

قد يُعنى الحقل المعجمي بإطلاق الحقل الدلالي بل يُستعملان مترادفين.

الحقول المعجمية: هي مجموع كلمات تربطها علاقة معينة أو معنى معين كالتشابه أو الترادف أو التضاد أو التضمن والاشتغال أو الاشتقاق أو التلازم اللفظي. مثل: كلمات الدماغ، العين، الأذن، الفم، الأنف تندرج تحت علاقة معجمة واحدة هي الرأس. وفأس، وقدم تحت آليات الحرث. والتضاد: النصر والهزيمة؛ الأسود والأبيض. والترادف: الأم والوالدة. والاشتغال: الحيوان يشمل الأسد والأرنب والفيل. والاشتقاق مثل: سنة ونعاس ونوم وسبات. والتلازم اللفظي مثل: الجار والمجرور، النعت والمنعوت، المضاف والمضاف إليه.



فوائد الصورة في الحقول الدلالية:

وتكمن أهمية استخدام الصورة التوضيحية في أنّها من الآليات النّافعة لكل صانع المعجم ومستهلك المعجم من حيث إنّها تساعد في بيان الفرق بين الأشكال المتشابهة والأشياء المرتبطة في مكونات عجز على إدراكها المستهلك وعجزت عن توضيحها طرق أخرى أساسية كانت أو مساعدة. ويجدر القول بأن الصورة وحدها كافية لتعريف أيّ شيء دون مساعدة غيرها في هذا المجال. فمثلاً:

١- في الأسماء، تستخدم الصورة في :

أ. الآليات المشابهة في تعريق المعجمي: الفأس (axe)، القدوم (hoe)، الرفش (shovel)، المجرفة (spade)، المغول (pickaxe/ mattock)، مقلع النبات (trowel)، كَنَس أو مجرفة شوكية (rake)، الشوكة (garden fork)، منجل العشب (grass sickle)

ب. في أسماء الحيوانات والطيور المتشابهة: لجمع شتات؛ مثل العقاب، osprey، golden eagle. النّسر (أنوق) vulture، الصقر eagle (وأنواعها : الشّاهين peregrine falcon، الجير، الحر، الوكري، البكة، الباسق). والباز goshawk.

إذا أنعمنا النّظر في الطّيور المذكورة ندرك أن معظمنا لا نعرف الفرق بينها، مع أن هذه الطيور تضرب بها المثل في كلامنا اليومي: "أحد من نظر العقاب". كما تستعمل في المقولات والقصائد:

وكم طير يطير ولا كباز # وكم طيب يطيب ولا كمسك^{١٦}.

نحن بحاجة إلى معرفة أسماء هذه الطيور والفرق بينها والطريق الوحيدة التي تكون أسرع انتشاراً وأسهل بيداغوجياً هي تقديمها في المعجم اللغوي هو طريق حقولها المعجمية مع صورها. لنرى الأسماء التالية أيضاً وتعريفاتها في المعاجم العامة:

- الأسد (LION): جنس من الفصيلة السنورية يَشْمَل الذّكر وَالْأُنْثَى وَيُطْلَق على الْأُنْثَى أسدة ولبؤة وَهُوَ من الوحوش الضارية ...

- النمر (TIGER): ... حيوانٌ مفترسٌ أرقطٌ من الفصيلة السنورِيَّة ورتبة اللّواحم، أهيفُ القدِّ، مستدير الرأس، جميل الشَّكل، مزاجه كمزاج الأسد، إلّا أنّه أقهر وأعنف
- الفهد (LEOPARD/ CHEETAH) : سبع من الفصيلة السنورية بين الكلب والنمر لكنه أصغر منه وهُو شديد الغَضَب ...
- الضَّبَع (HYENA): جنس من السباع من الفصيلة الضبعية ورتبة اللواحم أكبر من الكلب وأقوى.
- الذئب (WOLF): حيوان من الفصيلة الكلبيَّة ورتبة اللواحم ويُسمى كلب البر.

قس على ذلك التالية:

- الثعلب (FOX) - الدب (BEAR) - النمس (MONGOOSE) - الوشق
 - (LYNX) - الكلب البري الإفريقي (AFRICAN WILD DOG) -
 - الجاكوار (JAGUAR) - الكوغر \ أسد الجبال (COUGAR/)
 - (MOUNTAIN LION) - النمر الثلجي (SNOW LEOPARD).
- إذا تأملنا التعريفات السابقة نرى بأنه لا يمكن للدارسين إدراك كلي لما تشير إليه التعريفات السابقة بدون صورها لتشابه مظهر الحيوانات المفترسة و صفاتها الخارجية (PHYSICAL APPEARANCE) وتصرفاتها (BEHAVIOUR/) (SKILL) وتقارب مميزاتها (DISTINCTIVE FEATURE). وعلى صانع المعجم التفكير في طريقة أسهل لتقديم بياناتها للمستهلك. والطريقة الوحيدة الصالحة لذلك هي الصورة التوضيحية.

ج - بيان أنثى الحيوانات: من المحتاج في المعاجم العربية أسماء أنوثة الأشياء، فعرض الأسماء مع صورها يعزز المعلومات ويثبتها للمستهلك ويقوي عربية المستهلك.

د- في الألوان لرفع الشبهة

لم يهتد المعجم الوسيط للمجمع القاهري إلى طريقة تعريف الألوان. وذلك بأنه عند تعريف الألوان لا بدّ بالأخذ من الأشياء الطبيعية المعروفة بذلك اللون عالميا. فمثلا تقول الأبيض. ما كان لونه مثل اللبن الصافي. فاللبن شيء مطبوع على البياض ومعروف هكذا

في العالم بأسره. أما المعجم الوسيط فقد عرف الأحمر بأنه ما كان لونه أحمر. فعرف الأحمر بالأحمر. فهنا يأتي دور الصورة وهي كافية لما عجز عنه التعريف اللفظي.

هـ- في الشيء الواحد لها أنواع

هناك أشياء لها أنواع ؛ فقد يجهلها الباحث بالطبيعة فيأتي المعجمي بصورة ذلك شيء - للزيادة في المعلومات وللتوسع المعرفي- وذلك بعد تعريفه اللغوي للمدخل. فمثلا هناك أنواع الدب: دب باندا ودب قطبي وهكذا.

و- في بيان مركبات الشيء أو مكوناته: من المنشود في المعاجم اللغوية المعاصرة، مساعدة الباحث بالمستجدات بحيث يعتبره الباحث منعقدة أو عدم مبالاة وهو من المفردات اليومية، فينغى للمعاجم العامة أن تقوم بتغطية هائلة للمفردات التي تتكون عليها الإنتاجات والمستجدات المعاصرة لنتثبت به اللغة برصيدها الفصحى على الألسن.

٢- في الأفعال

قد تجسد الأفعال بالصورة:

أ- لبيان نوعية العمل ومستوياته

مثل مستويات الضغط ونوعيته: في بعض الأحيان يتطلب الباحث معرفة الفروق بين الأفعال ومستوياتها، وإلا سيستخدم الكتاب كلمة واحدة لمعانٍ مختلفة مع أن الكلمة الصحيحة لذلك الفعل باختلافها لم يتبين لهم؛ لذا ينبغي لصانع المعجم أن يردف تعريفها بالرسم أو الصور متجسدة لهذه الأفعال. وهاكم المثال في المعجم اللغوي الإنجليزي عند تعريف الفعل "Squeeze" أي الضغط، فقد جسّد الفعل بالصور مبينا للفرف بينه والكلمة المناسبة لنوع معين من الضغط.

ب- لتخصيص الفعل لشيء معين:

في العربية مثلا هناك أصوات خاص لحيوان ما أو حركة معينة له ولا توجد هذه المعلومة إلا بالرجوع إلى كتب فقه اللغة. فترى الباحث أنه من مهمة صانع المعجم العام الإفاد بهذه المعلومة المختصرة. من ذلك مثلا نعيق للغراب نعيم الفيل طنين الذباب والبعوضة، صرير الجندب خوارا التمساء والبقرة، صهيل الفرس، زئير الأسد، قهقاع الدب، ضباع الثعلب، فحيح الأفعي والثعبان.

أثبت الفصحى المعاصرة التمكن اللغوي. وقد أكدت الواقعية أن العربية تضعف بكثرة استعمال الدخيل من الكلمات. ومن الملاحظ أن هذه التلازمات الصوتية مما يجهلها الكثير. ومن الأهمية بمكان للمعجم اللغوي أن يقرب هذه الخصية من الأصوات الطبيعية للمتخصصين وغيرهم؛ وذلك بإيرادها مع صور الكائن المتصف به أو الذي يصدر عنه هذا الصوت بصفته كتاب تربوي.

ج- في أشكال الفعل المتقاربة في الأداء مثل: عفن (rotten, yarn)، وعطش (sneeze)، وسعال أو كحة (فحة) (cough)، قدقد، حوزق (hiccup)، يتجشأ (belch).

المفردات السابقة عرضها من المفردات التي تستعمل يوميا ولها علاقة بالمعيشة، ولكنها بعيدة أيما البعد عن علم الباحثين. ويرى الباحث استعمال المفردات الأجنبية بجهل المفردات، ولو قربتها المعاجم عند تعريف مدخل أحد هذه المعاني بتجسيدها لشفي غليل الباحث كما نرى هذا في المعاجم الأوربية مثل لنجمان وأكسفورد.

د - الجدول: هناك الجداول البيانية تعرض المعلومات النحوية أو اللغوية بصفة عامة، وهي من الأسلوب الأساسية في معاجم الغرب وحتى الاستعمال الخاطئ يمكن أن تعرضها في زاوية الجدول والصحيحة في أخرى عند تقديم التعريف لأحد مداخل اللفظة النحوية.

٣ = الخرائط: لتقريب البعيد ولبيان المجهول، من المتوقع في المعاجم اللغوية معلومات يعتبرها بعض المعجميين بالموسوعة، وهي أهم بكثير للباحثين في شتى التخصصات. وفي الحاضر ينبغي أن يكون للمعاجم العامة نصيب هائل على الإفادة بهذه المعلومات النادرة. وتأتي الخريطة برسم يضم العديد من البلدان المجاورة. فمثلا هناك أسماء أصيلة لبعض بقاعات قد بُدلت في الحاضر أسماؤها لفظا ومعنى، ولا تكاد تجد المعلومات عنها، كما يصعب ربطها باسم الجديد لها؛ فينبغي عرض الخريطة لها مع الاسم القديم. وياحبذا لو اهتدى إلى ذلك معاجمنا اللغوية المعاصرة.

الخاتمة

لا يسع هذا البحث ذكر ما للصورة من أهمية تربوية بل مجرد صفة لواقع المعجم العربي واقتراح للمتوقع. وقد توصلت هذه المقالة إلى الحقائق التالية:

إنّ الواقع في المعاجم اللغوية العربية يوحى بالتقليل من أهمية الصورة وقوتها التربوية؛ فقد حصروا استخدامها في الأسماء دون الأفعال، وفي اللازم لا في الموسوعة؛ كما استهانوا بما يمكن أن تقدمها من التعليم الذاتي للمستهلك. وقد كان للصورة التوضيحية في صناعة المعجم أبعاد بيداغوجي عال جدا مما ينبغي أن تعد وترتقى لها إلى درجة طرق الشرح الأساسية في صناعة المعجم، فكانت تسهل الفهم دون الحاجة للترجمة، وتنمو المفردات البصرية واللغوية معا، وتوضح المعاني التي يصعب شرحها بالكلمات فقط، وتقوم بتمثيل الأفعال والحركات وتزيل الغموض في المعاني المتعددة وتثبتها في الذاكرة كما تساعد على التعلم الذاتي. فيقترح البحث الاهتمام بالصورة ورفع درجتها من الطريقة المساعدة في الشرح إلى الطريقة الأساسية؛ لما لها من قدرات تربوية تفوق التعبيرات الحرفية عند التعريف. فينبغي للمعاجم اللغوية أن تجسد الأفعال وتحقل الأدوات المتشابهة وتزيد في عدد الصورة إلى العدد المعياري؛ مع مراعات الشروط اللازمة خوفا من التضخم.

المراجع والمصادر

- ١- ابن منصور، مُجَدِّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م، ص: ٨٥.
- ٢- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن وكرياء القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ج: ٣، ص: ٣٢٠.
- ٣- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، دار الدعوة، د.ت، ج: ١، ص: ٥٢٩.
- ٤- الزبيدي مُجَدِّد بن مُجَدِّد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت، ج: ١٢، ص: ٣٥٨.

- ^٥ - في سورة الانقطار الآية: ٧، التغابن الآية: ٣، آل عمران الآية: ٦، البقرة الآية: ٢٦٠، الأنعام الآية: ٧٣.
- ^٦ - عمر، مختار (الدكتور)، صناعة المعجم الحديث، كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ط: ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص: ١٤٦ - ١٤٧.
- ^٧ - عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، ط: ١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ج: ٢، ص: ١٣٣٣.
- ^٨ - ينظر: الساعدي، حسن جبال محيسن، المعلم الفعال واستراتيجيات ونماذج تدريسية، مكتبة الشروق للطباعة والنشر، بغداد، ط: ٢، ٢٠٢٠م، ص: ١١٨.
- ^٩ - سليمان، محمد إبراهيم، مدخل إلى مفهوم سيميائية الصورة، قسم الإعلام، كلية الآداب الزاوية، جامعة الزاوية، المجلة الجامعة، العدد السادس عشر، مج: ٢، أبريل ٢٠١٤م، ص: ١٦٦.
- ^{١٠} - ينظر: سماح، سهام، أهمية الصورة التعليمية في نفسية الطفل، مخبر التأويل وتحليل الخطاب، جامعة بجاية، العدد ٢٠٢٠، ٢٠٢٠م، ص: ١٧٧.
- ^{١١} - نفسه، ص: ١٤٨ - ١٤٩.
- ^{١٢} - الودغيري، قضايا المعجم العربي ص: ١٧٧.
- ^{١٣} - ينظر: حلوب سمير، الوسائل التعليمية، دار من المحيط إلى الخليج للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط: ١، ٢٠١٧م، ص: ٥٠.
- ^{١٤} - ينظر: الحمداوي، جميل، الصورة التربوية في الكتب المدرسي المغربي، الصورة والاتصال، مج: ٤، غ ١١، ٢٠١٥م من ص ٣٩ إلى ٤٩.
- ^{١٥} - بنظر: جيلاني، حلام، تقنيات التعريف بالمعاجم العربية امعاصرة، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ١٩٩٨م، ص: ٢٣٧.
- ^{١٦} - ابن عابدين، محمد الأمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط: ٢، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، ص: ٤٠.



الاتجاه الإسلامي في شعر بعض نساء مدينة إلورن: عرض ودراسة

عبد الوهاب أحمد

عضو هيئة التدريس بمدرسة دار العلوم لجهة العلماء والأئمة، إسليكوتو، إلورن

abdulwahabahmad846@gmail.com/07039149948

ملخص

تناولت هذه المقالة الاتجاه الإسلامي في شعر بعض نساء مدينة إلورن من خلال دراسة أعمال الشاعرتين الإلوريتين، مركزة على الجوانب الدينية في أشعارهن، وتتجلى هذه الجوانب في توحيد الله وتعظيمه والدعوة إلى القرآن الكريم، مستندة إلى القرآن المجيد والسنة النبوية الشريفة. وقد بينت الدراسة أن قصائد هؤلاء الشاعرات تأثرت بالملاحم الأخلاقية والدينية، وركزت على الأساليب الفنية المستخدمة في التعبير عن القيم الإسلامية.

وأظهرت النتائج أن الشعر العربي في مدينة إلورن أصبح جزءاً مهماً من الثقافة النسائية الإلوريتية، متأثراً بالشاعرات المتقدّمات، ما يجعل هذه الأشعار جديرة بالدراسة العلمية. كما أكدت المقالة أن الأدب الإسلامي، على الرغم من كونه مصطلحاً حديثاً، يعكس مضامين ثقافية ودينية ثابتة على المستويين الفكري والأسلوبي، وأن معظم أغراض أشعارهنّ موروثية ولم تتغير عن صور الأغراض القديمة.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه الإسلامي، شعر النساء، مدينة إلورن، الأدب الإسلامي، الأسلوب الشعري.

Abstract

This article examines the Islamic orientation in the poetry of some women from the city of Ilorin, focusing on the works of two Ilorin poets. It emphasizes the religious aspects in their poetry, particularly the unity and glorification of Allah and the advocacy of the Qur'an, drawing upon the Holy Qur'an and the Prophetic tradition. The study shows that their poems are influenced by moral and religious values and highlights the stylistic techniques they employ to express Islamic principles.

The findings reveal that Arabic poetry in Ilorin has become an important part of the cultural heritage of Ilorin women, influenced by pioneering female poets, making their works worthy of scholarly study. The article also notes that, although Islamic literature

is a relatively modern term, it reflects stable cultural and religious contents at both the intellectual and stylistic levels, and that most of their poetic purposes are inherited and have not changed from traditional forms.

Keywords: Islamic orientation, women's poetry, Ilorin city, Islamic literature, poetic style.

مقدمة

الاتجاه الإسلامي عند نساء مدينة إلورن له دور ملموس ومكانة رفيعة نحو تطوير مستوى الدين بقضاياها المتنوعة. من حيث أن المرأة الإلورية تسهم في قول الشعر إسهاما لا بأس فيه، وتبذل فيه جهدها المقدر على سبيل الجودة، وفقا لقول الشاعر:

ضصالشعر يحفظ ما أودى الزمان به * والشعر أفخر ما ينبئ عن الكرم

لولا مقال زهير في قصائده * ما كنت تعرف جود كان من هرم^(١)

فهذه المقالة بعنوان: "الاتجاه الإسلامي في شعر بعض نساء مدينة إلورن: عرض ودراسة" تبين للقرء ملامح إسلامية في إنتاجات بعض النساء الإلوريات الشعرية، وظهرت المقالة بجمعها ودراستها في الأغراض الدينية المناسبة التي تلقى فيها القصائد العربية، وتتمحور المقالة على القضايا التي تتعلق بالشعائر الإسلامية من قبل هؤلاء النساء الإلوريات الشاعرات بعرض الأبيات ودراستها.

وتحتوي المقالة على المحاور الآتية بعد الملخص والمقدمة:

- المحور الأول: نبذة تاريخية من مدينة إلورن
- المحور الثاني: مفهوم الأدب الإسلامي.
- المحور الثالث: عرض ودراسة للاتجاه الإسلامي في بعض شعر نساء مدينة إلورن.
- المحور الأخير: الخاتمة والنتائج.

نبذة تاريخية عن مدينة إلورن:

كانت المنطقة التي تعرف اليوم بإلورن واقعة في شمال أويو القديمة (أويو إلي) التي كانت إحدى الإمبراطوريات العظيمة في أفريقيا الغربية،^١ وقد احتلت هذه الإمبراطورية بقعة أرضية واسعة تبلغ خمسة عشر كيلومتر مربعا،^٢ وبلغت أوج مجدها من القوة العسكرية والنمو الاقتصادي حتى عام ١٧٥٤م حين بدأ قائدتها العسكري باشورن غاها (BASORUN GAA)

محاولات انقلاب داخل القصر لتحقيق أطماع شخصية.^(٣) تقع مدينة إلورن على الطريق الرئيس بين لاجوس العاصمة التجارية لنيجيريا - وكودونا - العاصمة السياسية لمنطقة شمال نيجيريا سابقا - وهي منطقة الشمال الوسطي من نيجيريا.

ومدينة إلورن مناطق تقليدية يمكن تقسيمها تقسيما جغرافيا تاليا: منطقة غمبيري بشمال المدينة، ومنطقة أكنمو بالجنوب، ومنطقة فلان بالشرق، ومنطقة أجكوي بالغرب، ومنطقة أزي وهي تحتل الوسطي^(٤)، وقسمها العلامة الإلوري إلى قسمين حسب التقاليد المتبعة لأهل المدينة وهما: الوجه القبلي والوجه الغربي.

الوجه القبلي: فهو الذي يقع شرقا من سوق الأمير وبيته مما يلي القبلة من الجامع الكبير وسمي بالحي الفلاني أو الهوساوي (الغمبيري).

الوجه الغربي: فهو ما يقع غربا من سوق الأمير مما يلي الغرب ويعرف بالحي الملوي أو الحي البرناوي.^(٥)

يفوق عدد سكانها مليون نسمة، تتمتع المدينة بكافة مرافق الحضارة والمدينة اللازمة من المطار الدولي، ومراكز الإذاعة السمعية والمرئية والبنوك المعاصرة والمستشفيات العصرية، والمحاكم الشرعية، والفنادق الفخمة، والشركات والمصانع، وثكنة الجنود، ومراكز الشرطة، وطرق المواصلات المريحة، والمباني العصرية الفاخرة، والأسواق الحديثة، والمؤسسات التعليمية الحكومية والخصوصية بما فيها الجامعات.^(٦)

المحور الثاني: مفهوم الأدب الإسلامي

من المعلوم أن الأدب الإسلامي مصطلح من المصطلحات الحديثة في المجال الأدبي واجتهد كثير من الأدباء ببذل مجهودهم على إبعاله من الأدب مضمونا وشكلا نحو تطور الشعائر الإسلامية الحنيفة في الطاقة الفكرية والمكتوبة العربية، وعرفه محمد قطب في كتابه قائلا: "هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصوّر الإسلام للكون والحياة."^(٧)

وهذا التعريف يشيرنا إلى أن الأدب الذي أثر في الحياة وكل ما فيها وفقا للتصوّر الإسلامي ما يقال بالأدب الإسلامي وعلى ذلك يقول الدكتور نجيب الكيلاني في كتابه: "الأدب

الإسلامي أدب مسؤول، والمسؤولية الإسلامية التزام نابع من قلب المؤمنين وقناعاته التزام تمتدّ أو اصره إلى كتاب الله تعالى الذي جاء بلسان عربي مبين.^(٨)

ويقول كمال أحمد فالخ: "الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون في حدود التصوّر الإسلامي لها".^(٩) ويقول عبد الرحمن رأفت بلسا: "الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب ومشاعره تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق ومخلوقاته ولا يجافي القيم الإسلامية".^(١٠)

يبرز من هذه التعريفات اشتراك التعبير الفني، والفن جمعه الفنون، وهو الآن لفظ يستعمل على عدة أشياء لا سيما الأعمال التي كانت فيها المهارة والنصاعة.^(١١)

ويعني ذلك أن يكون الأديب المسلم مبدعاً بتعابير رائعة ولكن لا يخلو من تعاليم إسلامية، إذ كلمة الأدب منسوبة إلى الإسلام. فمن هنا يقول الدكتور كمال الدين المبارك علي: الجمال الفني والإبداع شرط أساسي في الفن الأدبي فكيف يكون الأمر إذا كان منسوباً إلى الإسلامي نابعا من كتاب الله الذي لم يجعل الله عوجاً ومتأسياً بحديث الرسول الذي لا ينطق عن الهوى وصادرا من التصوّر الإسلامي القديم كما تشترط فيه صفة الهدف؛ لأن أي من أدبي إذ لم يكن له هدف سام إنساني ولم يكن نابعا عن تجربة حقيقية وشعور صادق.^(١٢)

ونتأكد كذلك أن الأدب الإسلامي يختلف عن المصطلحات الأدبية الأخرى كالأدب الاشتراكي وغيره لإظهاره أيديولوجية الأديب الإسلامية، والأيديولوجية جزء لا يتجزأ من الأدب كما لا يمكن تجريد الأدب عنها وبينهما روابط وثيقة.

وتبدأ هذه العلاقة من اللغة التي تشكل سمة الوجود الإنسانية واللغة عمل أيديولوجي والأدب الذي يتخذ اللغة أداة التعبير وهو أيضا فعل أيديولوجي.^(١٣) وهناك أيضا؛ فرق دقيق بين الأدب العربي والأدب الإسلامي حسب مفهومنا من الحديث السابق، ولعل هذا الفاصل يدلنا على الصواب.

فالأدب العربي يصدق على إنتاج أدبي مكتوب باللغة العربية على اختلاف في الفكر والمنهج، وأما الأدب الإسلامي فيشمل كل إنتاج أدبي مكتوب باللغة العربية أو دونها من اللغات شريطة انبثاقه من التصور الإسلامي.^(١٤) والأدب الإسلامي صراحة عمل يلقي أفكارا إسلامية وشعورها إلى أذهان المتلقين عن طريقة النامية الفنية تصورا دينيا.

المحور الثالث: عرض ودراسة للاتجاه الإسلامي في بعض شعر نساء مدينة إلورن.

أ- الاتجاه الديني:

عرض القصيدة الأولى:

- | | | |
|------------------------------|----|----------------------------|
| إن الوليمة دعوة الإسلام | ** | يدعو إليها سيد الأقسام |
| فيها الحلاوى والعلاقة قومنا | ** | وثقافة الأولاد نحو نظام |
| ختم الكتاب قراءة وتلاوة | ** | هدي الرسول وبهجة الأعلام |
| هذا الكتاب هذي ونور نير | ** | للمتقين وعامة الحكام |
| لغة الكتاب لطيفة عربية | ** | يمسي بها القراء في الأعلام |
| لغة بها فهم الأنام رسالة | ** | دنية مرفوعة الأحكام |
| لغة بها ظهرت قواعد ديننا | ** | فتبينت حجج بكل تمام |
| إن القواعد خمسة دون المرا | ** | أولى أخي شهادتنا الإسلام |
| هي كلمة التوحيد قول شهادة | ** | برسالة المختار خير عظام |
| وإقامة الصلوات ثم زكاتنا | ** | وصيامنا والحج في الأعوام |
| الدين مبني على خمس مدى | ** | خذ قولتي بأمانة وسلام |
| صل الصلاة على الذي جاء الورى | ** | بالدين والإيمان حول زمام |

(١٥)

ب- مناسبة القصيدة:

نظمت الشاعرة هذه القصيدة لمناسبة حفلة الوليمة القرآنية التي أقامتها دار التراث للتعليم العربي الإسلامي لمؤسسها الأخ السيد عبد الله عبد الكريم ألسا بقرية أغيلي، يوم الأحد ١/٩/٢٠٢٢م.

ج- التعريف بالشاعرة:

ولدت بلقيس بنت أحمد في مدينة إبادن حيث كان أبوها يزاول أعماله اليومية مع أمها، ثم ساقها الحظ الأسعد إلى مدينة إلورن وهي تناهز ثلاثة من عمرها تحت رعاية خالها الحاج مرتضى عثمان دنكوسن (المفسر)، ثم سافرت إلى مدينة كنور، حيث كانت أمها تتاجر وتسكن.

وبدأت قراءة القرآن الكريم سردا في مدرسة فنية الدين للتعليم العربي الإسلامي سابونغيري كنو، نيجيريا لمؤسسها الشيخ عبد الفتاح سليمان، ومكثت هناك طويلا حتى عادت إلى أرض أبيها مدينة إلورن تحت كنف خالها الحاج مرتضى، والتحقّت بمدرسة دار العلوم لجهة العلماء والأئمة، إسليكوتو إلورن، ولاية كوارا - نيجيريا سنة ٢٠١٩ ميلادية وتخرجت فيها بالمرحلة الإعدادية سنة ٢٠٢٢ - ٢٠٢٣ ميلادية، وأحرست قصب السبق وفازت بالمركز الأول بتقدير الامتياز، ثم مرحلة الدبلوم في كلية متعددة الفنون لولاية كوارا، نيجيريا، (KWARA POLYTECHNIC) في كلية العلوم قسم الإحصائيات بتقدير جيد جدا ما بين ٢٠٢٠ - ٢٠٢٢ ميلادية.

وهي الآن على وشك الانتهاء في القسم التوجيهي بمدرسة دار العلوم إلورن، وطالبة بجامعة إلورن كلية العلوم قسم الإحصائيات في المستوى الأخير، ولها بعض القصائد المخطوطة والمقطوعات الشعرية.^(١٦)

د- بيان مضمون القصيدة:

استهلت الشاعرة بكلمة إن التي كانت إحدى حروف التوكيد لتحقيق حديثها عن الوليمة حيث ترى أنها دعوة الإسلام التي تدعو الناس إليها سيد الأقبام مُحَمَّد ﷺ ثم توجه بياها إلى القوم بمذاقة الحلاوي الطيبة والعلاقة لتبادل الهدايا بينهم وإظهار الحب الصادق وتنظيم ثقافة الأولاد محتفلين بالوليمة عند ختم قراءة القرآن الكريم حيث تشيرنا الشاعرة إلى هذه الوليمة بأنها هدي الرسول، وبهجة للأنام.

ومن ثم تبدي مقصودها بإشارة إلى الكتاب الذي هو القرآن المجيد كما وصفه الله سبحانه وتعالى "هدى" نور مضيء للمتقين وكذلك الذين يحكمون به، وتظهر قيمة اللغة التي أنزلت بها القرآن بأنها اللغة العربية اللطيفة التي فهم الأنام بهم الرسالة الدينية نحو التحكيم، ولم تقف

الشاعرة بلقيس تبرز دور اللغة العربية في تقريب الأذهان إلى تنفيذ قواعد الإسلام بتحديد الأركان خمسة بدون الشك، وتوجه قولتها إلى القارئ ليأخذ المقول منها بأمانة وسلام، ثم اختتمت قصيدتها بالصلاة على محمد الذي جاءنا بالدين والإيمان.

هـ - معاني بعض المفردات الواردة في القصيدة:

- ١- الوليمة: تقصد بها كل طعام صنع لعرس وغيره.^(١٧)
- ٢- الحلوى: جمع حلوى بمعنى كل ما عولج من الطعام بسكر أو عسل، والفاكهة الحلوى^(١٨)
- ٣- العلاقة: تفيد الصداقة والحب اللازم للقلب.^(١٩)
- ٤- بهجة: حسن ونضر ويقال: بهج له، فهو بهج، وبهيج.^(٢٠) وفي التنزيل العزيز: "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج" (سورة الحج آية : آية : ٥).
- ٥- القواعد: جمع للقاعدة من البناء أساسه، والضابط أو الأمر الكلي ينطبق على جزئيات.^(٢١)

و- الاتجاه الديني:

لا ينكر الأثر الذي تركه الإسلام في نفوس العرب والعجم إذا غيّر مجرى حياتهم وكان معينهم في ذلك القرآن الكريم الذي يعد أعظم كتاب أدبي عرفته اللغة العربية إلى جانب اشتماله على نظام دقيق متكامل، إذا جعل الشعراء ينهلون منه في محاكاة الممالك بمرهم إعجازه ببديع أسلوبه وصياغة ألفاظه فرجعوا يقتبسون منه في أشعارهم لفظاً ومعنى.^(٢٢) ونرى أن تعاليم الدين قد أثرت في شخصية الشاعرة الإلورية بحيث تطبّق الحديث النبوي في البيت الأول نقول:

إن الوليمة دعوة الإسلام** يدعو إليها سيد الأقوام

مستشهداً بقوله ﷺ حيث يقول: "فبارك الله لك، أولم ولو بشاة"^(٢٣). ثم استخدمت كلمة "الكتاب" صفة للقرآن الكريم كما وصفه سبحانه وتعالى بالكتاب في درر أقواله قائلاً: "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين". (سورة البقرة آية : ٥).

ولذلك تقول الشاعرة:

هذا الكتاب هدى ونور نير ** للمتقين وعامة الحكام

ومن ثم تطبق كلام الله تعالى من البيت الخامس إلى السابع حيث تتلون أفكارها بالملامح الدينية، وتستنبط قضاياها من القرآن المجيد ويقول الله تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون". (سورة يوسف آية: ٢).

وقوله تعالى: "وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا". (سورة طهر آية: ١١٣). ثم قوله في القرآن العظيم: "قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون". (سورة الزمر، آية: ٢٨).

وهذه الشاعرة تبدي للقارئ أن اللغة التي أنزل بها القرآن هي اللغة العربية وبالتالي تستشهد بمظاهرة توجيهاتها بأن الحديث النبوي الشريف مكتوب باللغة العربية لأن لسان قائله لسان عربي مبين، فالرسول ﷺ يقول: "أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي". (٢٤)

وتقول من البيت الثامن إلى الحادي عشر مبينة عن القواعد الدينية التي بني عليها الإسلام كما في الحديث الشريف، حيث يقول المصطفى: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". (رواه البخاري ومسلم). (٢٥)

وفي البيت الأخير، اختتمت الشاعرة قصيدتها بالصلاة على محمد داعية له بصيغة الأمر تطبيقا لقوله سبحانه وتعالى: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما". (سورة الأحزاب آية: ٥٦).

أخيرا، فهذه هي القضايا الدينية التي اختارها الباحث من خلال القصيدة حسب طاقته وإمكانيته في البحث.

٢- الاتجاه الخلفي:

عرض القصيدة الثانية:

جمال المرء يا قومي حياء ** فبئس المال إن أقبحت شانا

جناح المرء في الخلق السليم ** يطير به إلى الأفق مكينا

ألا هذا الحيا خلق كريم ** كفاك مدى أخي خلقا أمينا
معاذ الله من خلق ذميم ** وأطلب عند حسننا ولينا
وبأس المرء ذو البغي فسادا ** مسيء الحالة خلقا شطونا
وليس المرء من فقد الحياء ** فذا عار عليه كفاه شينا
تعيش ولا تكن عبدا شقيا ** وخير لبسة خلقا مزينا
كساني ربنا برداء خير ** حيائي زاده دنيا وديننا^(٢٦)

ب- مناسبة القصيدة:

هذه القصيدة التي يريد الباحث أن يلقي ضوء البيان فيها هي إلقاء الوعظ والإرشاد في إحدى القصائد التي كتبها وجمعها ونقحتها الشاعرة شكرى بنت سليمان في ديوانها المسماة بـ "الشكريات" من حيث إنها حاولت كل المحاولة لإرشاد عامة الناس إلى خلق الحياء الذي هو جمال الإنسان.

ج- التعريف بالشاعرة:

هي شكرى بت سليمان بن صلاح الدين ولدت بمدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا - نيجيريا، تلقت القرآن الكريم على أبيها فضيلة الشيخ سليمان بن صلاح الدين الإيياوي (AL-EGBAWIY) في مدرسة الجواهر الإسلامية صاميل أودوكن، إلورن (SAWMILL ODOKUN) والتحقّت بعد ذلك بكلية دار الكتاب والسنة غا - أكيني، إلورن، حاصلة على الشهادتين؛ الإعدادية عام ٢٠١٨م والثانوية عام ٢٠٢١م. وقد شحنت أساتذتها ملكتها الشعرية فأصبحت قادرة على الإبداع الشعري، ولها ديوان شعري مطبوع سمته الشكريات وقد ضمن أغراضا مختلفة، ومن أبرزها الوصف والمدح والتهاني والوعظ والإرشاد وغيرها، وهي أكثر إنتاجا شعريا بين النساء في مدينة إلورن،^(٢٧) وهي أيضا طالبة جامعة الأزهر في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، قسم الشريعة الإسلامية.^(٢٨)

د- بيان مضمون القصيدة:

افتتحت الشاعرة قصيدتها وتقول: أن حقيقة الجمال ورأسه في صعيد الحياة الدنيوية هو التجميل والتحلي بالحياء من الله ومن الناس وليس بالتكاثر في الأموال والتفاخر بالجاه ولا بغيره كما يظنه بعض الناس، ثم تعيب المال ذما الذي يقبح الشؤون الإنسانية أحيانا إن ملك صاحبه القيادة له على نفسه، ثم تخبرنا الشاعرة كيف يفتخر الإنسان الذي أصل خلقه ماء وطين، وإنما هو ليس بإنسان حقيقي ما دام ذميم الخلق، إذ إن خلق الحياء من الأخلاق الكريمة الطيبة التي تكسب الإنسان فخرا وجاها، وبه يكون أمينا عند الله وعند الناس.

ثم تقول مبينة أن من يتشدد على الناس بأخلاقه السيئة، ويتطاول على غيره ولم يحسن معاملته مع الناس، ويعيش بغير استحياء، ولم يطبق ما أمر الله به ولا يترك ما نهي عنه مستحييا، وإن مثل هذا الإنسان لمسيئ الخلق وبعيد عن الدين، وكذلك ليس بإنسان حقيقي عاقل من لم يعرف خلق الحياء.

ومن لم يكن مطبوعا على الحياء ولم يتطبع به، قعيب عظيم عليه، ثم انتقلت بنا إلى العمل الذي يصير الناس رفيع الدرجات، ويجعل ميزان الحسنات ثقيلًا وهو التخلق بأخلاق سليمة والتطبع بها، إذا كان الإنسان ملتزم الخلق السليم ويختار الحياء خلقًا ودابًا ويتسلح به فيما يعمل ويحب، فذلك لم يكن عبدا شقيا أبدا، واختتمت الشاعرة قصيدتها سائلة الله أن يعيدها من الخلق المذموم، وتطلب منه لين الجنب.

هـ- معاني بعض المفردات الواردة في القصيدة:

- ١- المرء: فلان مروءة، صار مروءة وإنسانية بمعنى الأنثى، وجمع: نساء أو نسوة. (٢٩)
- ٢- الخلق: المخلوق، والناس وكل شيء مملس وجمع خلوق والخلق: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر ورواية. (٣٠)
- ٣- البأس: بمعنى الشدة في الحرب، والعذاب الشديد، والخوف، يقال: بأسى عليه، ويقال: لا بأس به: لا مانع، ولا بأس فيه: لا حرج. (٣١)

و - غرض القصيدة:

ولكل قصيدة غرضها الأساسي في وضع القريض، فالغرض في هذه القصيدة: الحكمة.

ز - القضايا الأخلاقية في القصيدة:

وأما القيم الأخلاقية التي كانت في هذه القصيدة أولا فهي أن الشاعرة الألورية لم تستعمل أية كلمة من اللعنة والفسوق والضلال والطغيان وغيرها من الكلمات التي تصك الأذان والتي لا ينبغي أن يسمع من أفواه الناس، كما يفعل بعض الشعراء المعاصرين الذين يلعنون أنفسهم في قصائدهم لأجل التعصب الديني والقبلي، وإذا أمعنا النظر إلى هذه القصيدة نجد أن الشاعرة تدعو المتلقي إلى الأخلاق الحميدة التي يفضلها الإسلام كالحياء حيث يقول الله تعالى: "وإنك لعلی خلق عظیم". (سورة القلم آية: ٤).

والرسول الكريم نفسه يحقق القول على أن الحياء خلق كريم ولا بد أن نراه من أخلاق الإنسان الكامل ولذلك يقول ﷺ في رواية مسلم: "الحياء خير كله". (٣٢)

والشاعرة تقول في البيت السادس:

وليس المرء من فقد الحياء ** فذا عار عليه كفاه شيئا

تقف في هذه القصيدة بأن المسلم الحقيقي لا بد أن يتصف بصفة الأمين والمحسن واللين، فهذه الصفات هي التي تقصد وتطلب من الإنسان المسلم الكامل، ثم تشير الشاعرة أيضا إلى أن شر الناس هو ذو البغي والفساد وسوء الحال وغيرها من الأعمال الشيطانية الذميمة، واستعازت الله منها بقولها:

معاذ الله من خلق ذميم * وأطلب عنده حسنا ولينا

ومن بعد، أتت بالنصيحة للقارئ حيث استخدمت صيغتي النهي والأمر، توجه الإنسان بهما إلى ترك خلق الشقاوة الذي هو الفساد بأنواعه، واختيار خلق السعادة الذي هو الحياء وحسن الخلق وما أشبه ذلك من مكارم الأخلاق التي تزين أصحابها في الدنيا والآخرة.

الخاتمة والنتائج:

إن الاتجاه الإسلامي فن طريف متغير عن غيره من فنون الشعر العربي من طلوع نور الإيمان على سماء إلورن باختلاف أحوال الأدباء المسلمين في قبول الأفكار المتميزة وردها. وهذا البحث مركز على الاتجاه الإسلامي في شعر بعض نساء مدينة إلورن باختيار الشاعرتين الإلوريتين، وتناول البحث الاتجاه الديني الممثل في توحيد الله وتعظيمه والدعوة إلى وليمة

- القرآن انبثاقاً من القرآن المجيد والحديث النبوي الرشيد بأسلوب رائع، ويعرض في ضمنه الاتجاه الخلفي من التحلي بالأخلاق الحميدة التي يتلمع نورها من قبل المسلمين.
- وقد يكون من المستحسن توضيح ما توصل إليه هذا البحث في السطور الآتية:
- ظهر هذا العمل أن يسدي إلى المتلقين بعض معلومات عن الشاعرات الإلوريات لم تكن معروفة قبل هذا العمل حسب علم الباحث.
 - وتبين من خلال هذه الدراسة أنهن سلكن مسلك الأدب الإسلامي في تبسيط إنتاجاتهن الأدبية.
 - تبين أيضاً أنهن أخذن الأفكار من القرآن والحديث النبوي الشريف ومن التعاليم الإسلامية.
 - واتضح من خلال هذا الفحص أن هؤلاء الشاعرات أسهمن كثيراً بإنتاجاتهن الشعرية في إصلاح الكون والحياة.

الهوامش والمراجع:

- ١- الإلوري، آدم عبد الله (٢٠١٢م)، لباب الأدب للدراسات التوجيهية في إفريقية الغربية، قسم الشعر، لاغوس نيجيريا، مكتبة النور، د.ط، ص: ١٠.
- ٢- الإلوري، آدم عبد الله (١٩٧١م)، لمحات البلوري في مشاهير علماء إلورن، الطبعة النموذجية، د.ط، ص: ٤.
- ٣- جمبا، مشهود محمود (٢٠١٠م)، أثر الإسلام والأدب العربي في الأدب النيجيري المكتوب، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط: ١، ص: ٩.
- ٤- أحمد أبوبكر عبد الله، (د.ت) المخطوطات العربية الإلورية: تاريخ وثقافة وفن، ناشر معهد العبدلي للثقافات العربية الإسلامية، إلورن، كوارا، ط: ١، ص: ١.
- ٥- أولوين، عبد القادر عبد الحي، (٢٠٠٢م)، دور مدرسة دار العلوم في تطوير اللغة العربية في مدينة إلورن، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة إلورن، نيجيريا، لنيل شهادة الليسانس، ص: ١١.
- ٦- أحمد أبوبكر عبد الله، المرجع السابق، ص: ٣.

- ٧- قطب مُجَدِّد، (١٩٨٠م) منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط: ٤، ص: ٦.
- ٨- الكيلاني، الدكتور نجيب (١٤٠٧هـ)، مدخل إلى الأدب الإسلامي، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، دولة قطر، ط: ١، ص: ٣٢.
- ٩- فالح، كمال الدين أحمد (٢٠٠١م) المقابلة أراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأدب والنقد، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط: ١، ص: ٨٠.
- ١٠- باشا، عبد الرحمن رأفت، (د.ت) مذكرة في منهج الأدب الإسلامي، د.م، ص: ١٤.
- ١١- مرفا، عبد الحكيم صالح (د.ت) الغربال في رؤية أدبية، د.م، د.ط، ص: ١٠.
- ١٢- المبارك، كمال الدين علي، (٢٠١٠م) المدخل إلى المنهج الإسلامي في الفنون الأدبية: الحقائق والخصائص، دار النور، أوتشي، نيجيريا، ط: ١، ص: ٤٥.
- ١٣- الإمام، الدكتور سعيد عبد العزيز، (٢٠١٨م)، الأدب الإسلامي من خلال ديوان الرياض للشاعر عيسى ألبوبكر: دراسة أدبية تحليلية، مطبعة جامعة أحمد بللو زاريا، كدونا، نيجيريا، د.ط، ص: ٢٠-٢١.
- ١٤- الإمام، الدكتور سعيد عبد العزيز، (٢٠١٨م) المرجع السابق، ص: ٢٣.
- ١٥- بلقيس، بنت أحمد، قصيدة ميمية مخطوطة ٢٩/١/٢٠٢٢م، تجد في مكتبة صاحبها.
- ١٦- مقابلة شخصية مع الشاعرة، يوم الإثنين، ١٨/٣/٢٠٢٤م، حوالي الساعة الثانية بالضبط نهارا.
- ١٧- مجمع اللغة العربية، (١٩٧٢م)، المعجم الوسيط، الجزء ١-٢، القاهرة، دار المعارف، د.ط، ص: ١١.
- ١٨- المرجع نفسه، ص: ٢١٧.
- ١٩- المرجع نفسه، ص: ٦٥٣.
- ٢٠- المرجع نفسه، ص: ٩٣.
- ٢١- المرجع نفسه، ص: ٧٨٣.
- ٢٢- الكريطي، حسن حبيب عزر، (د.ت)، الاتجاه الديني في شعر ابن مطروح دراسة المضمون، جامعة كربلاء، كلية التربية، الطبعة الأولى، ص: ٤.

- ٢٣- أبو الفتح، مُحمَّد بن علي بن وهب، (١٩٨٧م)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، الجزء ٢، دون مكانة النشر، الطبعة الثانية، ص: ٥٧.
- ٢٤- النيسابوري، أبو عبد الله مُحمَّد بن عبد الله الحاكم، (١٩٩٠م)، المستدرك على الصحيحين، الجزء ١، دون مكانة النشر والطبعة، ص: ١٤٥.
- ٢٥- شكر، بنت سليمان، (٢٠٢١م)، الشكريات، دون مكانة الشر، الطبعة الأولى، ص: ٣٣.
- ٢٦- الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجم، (٧٥هـ)، جامع العلوم والحكم، الجزء ١، دون مكانة النشر والطبعة، ص: ١٤٥.
- ٢٧- أولنرو، عبد الفتاح عبد الرحيم، (٢٠٢٣م)، حركة المرأة في الشعر العربي بإمارة إلون: تاريخ وعرض ودراسة، ولاية غمبي: مطبعة جامعة كاشيري الفيدرالية، الطبعة الأولى، ص: ٢٠-٢١.
- ٢٨- مقابة هاتفية مع الشاعرة شكرى عبر واسب ١/٠١/٢٠٢٥م.
- ٢٩- مجمع اللغة، المرجع السابق، ص: ٨٩٧.
- ٣٠- المرجع نفسه، ص: ٢٧٥.
- ٣١- المرجع نفسه، ص: ٥٧.
- ٣٢- الجزائري، أبوبكر جابر، (٢٠٠٧م)، منهج المسلم، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الرابعة، ص: ١٤١.



مظاهر التطور الدلالي بين مختار الصحاح والمعجم الوسيط نماذج دلالية معجمية

الدكتور يوسف سليمان أديمي

Yusuf Sulaiman Adeyemi

Sulyem77@gmail.com

Lagos State University of Education

و

الدكتور لقمان ألاوي إسحاق

Lukman Alawi Ishaq

dele0708@gmail.com / Ishaq.l@unilorin.edu.ng

Department of Arabic and Transnational studies

University of Ilorin

ملخص

يعد هذا البحث مقارنة معجمية للتطور الدلالي ودراسة تطبيقية عن مظاهر التطور الدلالي في معجمي مختار الصحاح والمعجم الوسيط، وقد تناول القضية تناولاً نظرياً دلالياً ودرسها دراسة تطبيقية معجمية، وقد حاول الباحثان تتبع دلالة الكلمات المختارة من المعجمين، وإظهار حقيقة التطور الدلالي في مفردات اللغة العربية معتبرين مختار الصحاح كتاباً من الصنف القديم بينما يمثل المعجم الوسيط صنفاً حديثاً من المعاجم العربية، وقد تتابعا معاني الكلمات المختارة وتطورها من المعاني القديمة في مختار الصحاح إلى المعاني الحديثة في المعجم الوسيط، ومن ثم إدراجها في مظهر من مظاهر التطور الدلالي.

Abstract

This research is a lexicographical approach to semantic development and an applied study of the manifestations of semantic development in the dictionaries Mukhtar al-Sahah and al-Mu'jam al-Wasit. It addressed the issue theoretically from a semantic perspective and studied it practically from a lexicographical perspective. The researchers attempted to trace the semantic progression of selected words from the two dictionaries and to demonstrate the reality of semantic development in the vocabulary of the Arabic language.

مقدمة

التطور الدلالي ظاهرة دلالية تطرأ على معنى لفظ في أي لغة من اللغات بنقل الألفاظ من دلالة قديمة إلى دلالة جديدة فيندثر المعنى القديم، وقد يبقى المعنيان على حد سواء في الاستعمال فيكون للكلمة مجالان؛ أحدهما لدلالة قديمة وآخر لدلالة جديدة. وثبتت اللغة ومفرداتها بهذه الظاهرة استطاعتها وقدرتها على المواكبة والتقدم. وبهذا يمكن القول بأن التطور الدلالي هو تغيير دلالة إلى دلالة أخرى بأنواعها المختلفة إما من الدلالة المحسوسة إلى المجردة أو من عمومها إلى خصوصها وانتقالها من مجال إلى آخر، ويقصد بالمظاهر ما يعرف بالأعراض التي تعني التطور الدلالي بالتعميم، والتطور الدلالي بالتخصيص، والتطور الدلالي بالنقل.

وتشكلت هذه الدراسة من المباحث التالية:

- التعريف بمختار الصحاح.
- جدول بالكلمات المختارة من المعجم.
- التعريف بالمعجم الوسيط.
- جدول للكلمات المختارة من المعجم.
- مظاهر التطور الدلالي في الكلمات المدروسة.

مختار الصحاح:

ألفه الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي المتوفى سنة ٧٦٠ هـ رحمه الله. وهدفه من تأليف هذا المعجم هو اختصار معجم تاج اللغة وصحاح العربية الذي ألفه الإمام العالم العلامة أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٤٠٠ هـ) وقد أوضح الرازي ذلك في مقدمة كتابه مشيراً إلى اختصاره لكتاب الجوهري. (الرازي، ١٩٨٧، ص ٢). يقول: "هذا مختصر في علم اللغة جمعناه من كتاب الصحاح للإمام العالم العلامة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري رحمه تعالى لما رأيته أحسن أصول اللغة ترتيباً وأوفرها تهذيباً وأسهلها تناولاً وأكثرها تداولاً وسميته مختار الصحاح وهذا هو سر سبب تسميته للكتاب بمختار الصحاح. (الرازي، ١٩٨٧ ص ٢).

وللمختار الصحاح مميزات مذكورة في النقاط التالية:

أ- العناية بضبط الأسماء وذلك بذكر الموازن المشهورة أو بالنص على حركات الكلمة، وأما الأفعال فذكر أبوابها.

ب - الاختصار في الشرح على ما يزيل غموض الكلمة.

ج - ذكر بعض المصادر التي يذكرها الصحاح.

د - حذف الأمور تخل بإيجازه مثل أقوال اللغويين الكثيرة.

وأما منهجه أي طريقة ترتيبه للمعجم هو ترتيب الكلمات بحسب الحرف الأول والثاني مع مراعاة الحرف الثالث إن كانت الكلمات ثلاثية بعد تجريدتها من الزوائد وإرجاع المقلوب لأصله ورد المحذوف.

وقد طبع الكتاب وتم إعادة طباعته في أواخر سنة ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م بتحقيق وترتيب محمود خاطر المتوفى سنة ١٣٦٧هـ وحمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦هـ، وقد طبع عدة مراتب وأخيرا سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م في مؤسسة الرسالة ودار البصائر بيروت لبنان. (عبد المالك، ١٩٩٨، ص ٤٣).

جدول أهم معاني الكلمات الواردة في باب الجيم

معاني (ج ، ب ، ر)

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
الغنى من الفقر	جبر الله	أجيره	الجبار	الجبر ضد	الشديد	الحبّار	تجبر
وصلح	فلانا سد	على	بمعنى	القدر	التجبر	الذي	الرجل
عظمه	مفاقره	شيئ	الهدر			يقتل على	أي
من كسر		أكرهه	والهلك			الغضب	تكبر

معاني (ج ، ب ، ل)

١	٢	٣	٤
جبله الله أي خلقه	الجبل واحد الجبال	الحبل جماعة من الناس	الجلبة أي الخلقة



معاني (ج ، ح ، د)

١	٢
المجود الأفكار مع المعلم	المجدد: قلة الخير

معاني جدد

١	٢	٣	٤	٥
المجدد: أبو الأب أو أبو الأم	جد ربنا أي عظمة ربنا	المجدد: صد الذل والاجتهاد	المجدد: الطريقة	المجدد: صار جديدا

معاني ج ، د ، ل

١	٢	٣	٤	٥
المجدد: العضو	والأجد بمعنى الصقر	ومجدد أي خاصمه ومجادلة والمجدد شدة الخصومة	المجدد: الحجارة	المجدد: التهر الصغير

معاني (ج ، ذ ، ب)

١	٢	٣
المجدد: المدد	المجدد: البعد	المجدد: حبه على القلب

معاني (ج ، ر ، ب)

١	٢	٣	٤	٥
المجدد: داء الجلدي	والجرب: وعاء الزاد	المجدد: مقدار معلوم من الطعام والأرض	المجدد: قد جربته الأمور واحتكمه	المجدد: جراب: اسم ماء بمكة

معاني (ج ، ر ، د)



١	٢	٣	٤
الجريد: الذي يجرده عنه الحوض	التجريد" هو لتعوية من الثياب	البحر دلتوب انسحق ولان	الجراد اسم جنس والواحدة جرادة

معاني (ج، ز، أ)

١	٢	٣
جزأه تجزئه أي قسمه	وجزأ به اكتفى	أجزأه الشئ كفاه

معاني (ج، م، ع)

١	٢	٣	٤	٥
جمع الشئ المتفرق اجتمع القوم اجتمعوا من هنا وهنا	الجمع اسم لجماعة الناس والمزد لغة	جمع الكف حين تقبضها	الجمعة يوم العروبة والمسجد الجامع	اجمع الأمر إذا عزم إذا عزم عليه ويستجمع السبيل إذا اجتمع من كل موضع

معاني (ج، هـ، ز)

١	٢	٣
اجهز على المحريم أسرع	جهاز العروس والسفر أي المداد	تجهز تهيأ

المعجم الوسيط في التعري

- إن هدف تأليف المعجم الوسيط لا يختلف ولا يخرج عن هدف مجمع اللغة بالقاهرة في الجانب العلمي للمعجم وذلك منذ تأسيسه سنة ١٩٣٢م. ومن أهم أغراضه ما يلي:-
- المحافظة على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقديمها
 - ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر.

- القيام بوضع معجم تاريخي للغة العربية.

وعلى هذا، اقترح الأستاذ مُحَمَّد علوية وزير المعارف على المجمع في دورته الثالثة أن يسعف المجمع العالم العربي بمعجم على أحدث نمط عصري لينتفع به طلاب العلم إذ يجدون أمامهم معجما مصورا سهل التناول ييسر عليهم تحصيل اللغة (عبد المالك وبهذا، أصدر المجمع العربي القرار على هذا الاقتراح نظرا إلى حاجة طلاب التعليم الثانوي، ومن في مرتبتهم وجمهرة المثقفين من أبناء اللغة العربية إلى معجم لغوي وسيط سهل التناول، ميسر الترتيب مصور بحيث يتناول من المصطلحات العلمية الصحيحة ما يتعلق بالأسباب الدائرة بين الناس وألا يقتصر هذا المعجم على طلاب التعليم الثانوي، ومن في مرتبتهم من المثقفين فيرى أن يسمو به حتى يجعله مرجعا واقعيا للكاتب والدارس، واتفق المجمع على أن يسمّى هذا المعجم باسم "المعجم الوسيط" (نصار، ١٩٨٨، ص ٥٦).

ونجحت اللجنة المتكونة من خيرة الأساتذة، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر ومُحَمَّد على النجار وهم الذين قاموا بطبعته الأولى. وأما طبعته الثانية فقد تمت بالدكاترة وهم : الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد الحليم منتصر والدكتور عطية الصوالحي والأستاذ مُحَمَّد خلف الله أحمد. فقد قام كل من هذه اللجان بأعمال مختصرة في النقاط التالية:

- (١) عرض الكلمات المعربة .
- (٢) بيان الصلة بين الكلمات العربية وأخواتها السامية.
- (٣) شرح أسماء الحيوان والنبات شرحا عمليا وموضحا بعضها بالرسوم.
- (٤) رد الكلمات كلها إلى أصولها ما أمكن.
- (٥) ذكر بعض المعلومات عند الأعلام الجغرافيا وما إليها من العلوم الحديثة.
- (٦) إهمال الألفاظ الحوشية الجافية التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها.

منهجه في شرح وترتيب الكلمات

عند شرحها للكلمات والمفردات كان معنيا بالحي والسهل المأنوس من الألفاظ والعبارات خاصة ما يشعر الطالب والمترجم بالحاجة إليه وما أقره المجمع ومؤتمره من ألفاظ حضارية مستحدثة أو مصطلحات جديدة موضوعية، أو منقولة أو معربة في مختلف العلوم والفنون،

وما استقر من ألفاظ الحياة العامة، وكذلك يسير الشرح بإيثار الأساليب الحية على الميته، واكتفى من الشواهد بما تدعو إليه الضرورة واعتمد على الصور والرسوم. (عبد المالك، ١٩٩٦، ١٣).

وأما في الجانب الترتيبي وقد التزم الترتيب الألفبائي المؤلف (الهجائي) باعتبار الحرف الأول من كل كلمة بابا لتلك المفردات التي بدايتها حرف واحد.

وقد صدرت طبعته الأولى بإشراف الدكتور ابراهيم مصطفى ورفاقه وبعد طبعته الأولى، وطبع مرة ثانية سنة ١٩٧٢م والثالثة ١٩٨٥م بإشراف الدكتور إبراهيم أنيس ورفاقه.

ويعد المعجم الوسيط أول قاموس عربي يصدر عن هيئة لغوية علمية ولقي رضى الكثيرين.

جدول لأهم معاني الكلمات الواردة في باب الجيم

معاني (ج ، ب ، ر)

١	٢	٣	٤
جبر جبر وجبورا أي صلح	تجبر فلان إذا تكبر	الجبر الشجاع والجبر مذهب الجيرة	وعلم الجبر فرع علم الرياضة الرموز محل الأعداد المجهولة أو المعدومة
٥			
الجبر أي التسعير الجبر أن تحدد الدولة بما لها من السلطان ثمنًا رسميًا لا يجوز للبائع أن يتعدها وهو منسوب إلى الجبر بمعنى الاكراه.			

معاني (ج ، ب ، ل)

١	٢	٣	٤
جبل الله الخلق جبلا أي خلقهم وطبعه	أجبل صار إلى الجبل	جبله أي قطعه	الجبل الشجر اليابس



٥	٦
الجبل ما علا من سطح الأرض واستطال وجاوز التل ارتفاعا	الجبلة في علم الأحياء مادة شبه زلزالية معقدة التركيب الكيماوي. وتعد الأساس الطبيعي للحيوان والنبات
٧	
الجبلة: هي الحركة التي تحدث بقوة الجبلة الذاتية من حيث قدراتها على الانقباض	

معاني (ج ، ح ، د)

١	٢	٣
جحد أنكره مع علمه به	جحد قل خيره لفقره او بخل	أجحد ذهب ماله وقل خيره

معاني (ج ، د ، ذ)

١	٢	٣	٤	٥	٦
جد أي عظم	جد بالشيء ناله	أجد فلان صار ذا جد واجتهاد	جاده في الأمر أي خاصمه	استجد الشيء صار جديدا	جد الحنطة جنس نبات قريب من القمح من فصيلة النجيليات يظن أنه من القمح حصل من تحول أحد أنواعه ببطء

معاني (ج ، د ، ل)

١	٢	٣	٤	٥	٦
جدله صرعه	اجتدل الغلام قوى ومشى	الجمالة الأرض ذات الرمل	الجدل طريقة في المناقشة والاستدلال صورها الفلاسفة	الجدليون من اشتهر بالجدل كالسفسطائيين بين اليونان والمعتزلة بين	الجدول صفحة يخط فيها خطوط متوازية قد تتقاطع فتكون مربعات



	مع أمه	الدقيق	بصور وعند المسلمين مؤلف	المسلمين	يكتب بينها
--	--------	--------	-------------------------------	----------	------------

معاني (ج ، د ، ب)

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
جاذب	التجاذب	الجاذبة في	وفي علم	الجاذية	الجذب في	الجذبة
الشيء	المغناطيسي	علم	الرياضة	الحالة	اصطلاح	جمارة
حواله	تقارب	النبات	القوة التي	التي	الصوفية حال	النخلة
عن	القطبين	نبات	تؤثر في	يجذب	من أحوال	
موضعه	المغناطيسيين	يستخرج	جسم	بها	النفس يغيب	
	الذين من	منه دهن	متحرك	صاحبها	فيها القلب عن	
	نوعين	عطري	على مسار	غيره	علم يجري من	
	مختلفين	ويعمضغ	وتكسبه		أحوال الخلق	
		ورقه	العجلة			
			العمودية			

معاني (ج ، ر ، ب)

١	٢	٣	٤	٥	٦
جربه	التجربة	الجرب	الجرب في	الجرب	الجرب في علم
تجريباً	اختبار منظم	وعاء	اصطلاح الأطباء	السفينة	الأحياء غمد
اختبره	لظاهرة يراد	يحفظ فيه	شكية مفرزة	الفارغة	على شكل حفرة
مرة بعد	ملاحظتها	الزاد ونحوه	تتصل بغشاء		عميقة في بشرة
أخرى	ملاحظة		مخاطئ على		الحيوان الثديي
	دقيقة		الغالب		يحيط بذر الشعرة
	للكشف عن				
	نتيجة ما				

(٩) معاني (ج ، د ، ذ)

١	٢	٣	٤	٥	٦
جرد جرد	التجريد	التجريدية من	الجريدة	الجريدة دفتر	المجرد ما
خلا	عزل صفة	الناحية الفنية اتجاه	سعة طويلة	أزراق الجيش	يدرك
جسمه	أو علاقة	حديث يقوم على	تقشر من	في الديوان	بالذهن دون
من الشعر	عزلا ذهنيا	تصوير فكرة الفنان	خوصها	وصحسفة	الحواس
فهو أجرد	وقصر	تصويره يعتمد على	والبقية من	يومية تنشر	
	الاعتبار	محاكاه لموضوع	المال وخيل	أخبارا	
	عليها	معين استخدام	لا رجالة	ومقالات	
		الألوان أو الأشكال	فيها		
		الهندسية أو الأنغام			
		الموسيقية			

(١٧) معاني (ج ، م ، ع)

١	٢	٣	٤
المجموع في علم	المجمع: موضع	الاجماع: اتفاق	الاجماع: علم يبحث
الرياضة نتيجة ضم	الاجتماع والجمعة	الخاصة أو العامة	في نشوء الجماعات
الأعداد أو الحدود	والملتقي ومنه مجمع	على أمر من الأمور	الانسانية ونوها .
الجبرية المتشابه	البحرين وهكذا		
٥	٦	٧	٨
الجامعة: مجموعة	الجماعية في الاقتصاد	المجمع في علم	الجمعية طائفة تتألف
معاهد علمية تسمى	السياسي مذهب	الرياضة ضم الأعداد	من أعضاء لفرض
كليات تدرس فيها	اشتراكي يقرر أن	أو الحدود الجبرية	خاص وفكرة مشتركة
الآداب والفنون	أموال الانتاج يجب	المتشابهة	ومنها الجمعية الخيرية
والعلوم	أن تكون للدولة وفي		الإسلامية



		القانون الدولي العام المعاهد الجماعية هي اتفاق بين أكثر من دولتين	
--	--	--	--

(١٩) معاني (ج، هـ، ز)

١
الجهاز جهاز كل شيء ما يحتاج إليه يقال جهاز العروس والمسافر. وفي الحيوان ما يؤدي من أعضائه غرضاً حيويًا خاصاً يقال جهاز التنفس وجهاز الهضم. والأداة تؤدي عملاً معيناً، يقال جهاز التبخير والطائفة من الناس تؤدي عملاً دقيقاً يقال جهاز الجاسوسية.

المقارنة بين الكتابين

ونعني بالمقارنة في هذا المبحث المقارنة بين الكلمات التي عملنا الجدول لها من كل الكتابين حيث نخرج الكلمات التي حصل فيها التغير الدلالي وإهمال التي لم يحصل لها التطور الدلالي ثم ذكر أنواع التغير الدلالي لهذه الكلمات.

الكلمات التي حصل فيها تغير دلالي.

"الجبر".

في مادة (ج ب ر) من حيث كانت بمعنى الإكراه في مختار الصحاح، وأما في المعجم الوسيط وردت بمعنى ما يقوم على إحلال الرموز محل الأعداد المجهولة وذلك في علم الرياضة (أنيس وآخرون مادة ج ب ر). ولم تستعمل كذلك من قبل، وكذلك صيغة التسعير الجبري التي لم تورد في مختار الصحاح، وفي المعجم الوسيط تعني بأن تحدد الدولة بما لها من السلطات ثمة رسمياً لا يجوز للبائع أن يتعداه ولهذا حصل في الكلمة التطور الدلالي بالنقل.

"الجبلة".

في مادة (ج ب ل) والتي تعني الخلقة في مختار الصحاح (الرازي، ١٩٨٧، ص ٩٨) ولم



تورد بمعنى مادة شبه زلالية معقدة التركيب الكيماوي في علم الأحياء، وبمعنى الحركة التي تحدث بالقوة إلا في المعجم الوسيط تطورا دلاليا بالتضييق (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣٠).

"الجد"

تعني في مختار الصحاح معنى أبي الأب والأم، هي بمعنى آخر أي بمعنى جنس نبات قريب من القمح من فصيلة النجيليات في المعجم الوسيط، وذلك إذا قيل؛ جد الحنطة حاصلها فيها التطور الدلالي بالتضييق.

"الجدول"

من الكلمات المتطورة دلاليا لأن معناها لم يورد في مختار الصحاح، وفي القديم إلا بمعنى النهر الصغير، ولكنها في الحديث وذلك في المعجم الوسيط تعني صفحة يخط فيها خطوط متوازية قد تتقاطع فتكون مربعات يكتب بينها، مثل الذي عملناه سابقا وقد حصل في الكلمة التطور الدلالي بالتوسيع (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣٠).

"الجازبة"

من الكلمات التي لم تورد صيغتها في مختار الصحاح، لأن معناها لم يكن لها وجود في القديم إلا في عصرنا هذا، وهي تعني في علم النبات ما يستخرج منه دهن عطري ويمضغ ورقة من النبات، وتعني في علم الرياضة القوة التي تؤثر في جسم متحرك في مسار وتكسبه العجلة العمودية، وذلك في المعجم الوسيط (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣١).

"الجريب والتجربة"

من مادة (جرب) التي تعني في القديم مقدار معلوم من الطعام والأرض في مختار الصحاح والآن تعني في علم الأحياء غمد على شكل حفرة عميقة في بشرة الحيوان الثديي يحيط بجذر الشعرة في المعجم الوسيط. والتجربة التي لم تذكر صيغتها أصلا في مختار الصحاح إلا في المعجم الوسيط التي بمعنى اختيار منظم لظاهرة يراد ملاحظتها ملاحظة دقيقة للكشف عن نتيجة ما (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣١).



"جرد"

من الكلمات التي حصل فيها التطور الدلالي لأنها من مادة (جرد) التي تعني أكثر كلماتها بمعنى العزل والخلو من شيء ما في مختار الصحاح، (الرازي، ١٩٨٧، ص ٩٧) ولم تدل كلمة الجريدة إلا على سعفة طويلة تقشر من خوضها، ثم تطور معناها بأن تدل على البقية من المال ثم بمعنى خيل لا رحالة فيها، ومن ثم تستعمل على دفتر أرزاق الجيش في الديوان إلا أن هذه الكلمة أصبحت المألوفة عند الناس الآن بمعنى صحيفة يومية تنشر أخبار ومقالات على سبيل التطور الدلالي بالتوسيع (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣٢).

"الجزء"

تدل هذه الكلمة في مختار الصحاح على القسم والقطعة من القضيبي، وأما في المعجم الوسيط فيورد معناه عند المتكلمين ألا أنها جوهر ذو وضع لا يقبل الانقسام، ومنها كلمة الجزئية التي لم نر صيغتها أصلاً في مختار الصحاح إلا في المعجم الوسيط التي تعني في علم الكيمياء ما تدل على عدد ذوات كل عنصر من العناصر في جزء مادة ما وعلى حركة جزء من حي منعص في علم الأحياء على سبيل التطور بالنقل (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣٣).

"المجلة"

من مادة (ج ل ل) ولم تكن هذه الصيغة موجودة في مختار الصحاح، ومشتقاتها تعني العظيم والكبير، ولكن هذه الكلمة تعني الصحيفة الكبيرة التي تجمع طرائق المعرفة، وهي اسم لكل صحيفة عامة أو متخصصة في فن من الفنون تظهر في أوقات معينة بخلاف الصحف اليومية"، وهذا هو التطور بالنقل (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣٢).

الاجتماع

في مختار الصحاح تعني اجتماع القوم في هنا أو هناك، وفي المعجم الوسيط تعني علما يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية ونموها كما أن هناك ألفاظاً أخرى اشتقت من هذا الأصل تدل على معانٍ جديدة.

الجامعة

لم تورد صيغتها أصلاً في مختار الصحاح، وفي المعجم الوسيط تعني مجموعة معاهد علمية

تسمى كليات تدرس فيها الآداب والفنون والعلوم، هذا هو التطور بالتوسيع الدلالي (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣٣).

الجماعية:

من الكلمات المتطورة دلاليا التي تعني مذهبا اشتراكيا حيث يقرر أن أموال الإنتاج يجب أن تكون للدولة، والمعاهدة الجماعية تعني اتفاق بين أكثر من دولتين في المعجم الوسيط.

الجمع

في مختار الصحاح بمعنى اسم الجماعة الناس وفي المعجم الوسيط. بمعنى ضم الأعداد أو الحدود الجبرية المتشابهة في علم الرياضة، وكلمة المجموع في علم الرياضة بمعنى نتيجة ضم الأعداد أو الحدود الجبرية المتشابهة (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣٤)

الجمعية والمجتمع

تدل الجمعية على طائفة تتألف من أعضاء لغرض خاص وفكرة مشتركة ومنها الجمعية الخيرية الإسلامية، والمجمع بمعنى موضع الاجتماع، ومنها مجمع البحرين ومجمع اللغة العربية ولم ترد هذه الصيغ في مختار الصحاح (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣٤).

الجواز

الجواز بمعنى العفو والتخفيف في مختار الصحاح وفي المعجم الوسيط بمعنى وثيقة تمنحها الدولة لأحد رعاياها لإثبات شخصيته عند رغبته السفر إلى الخارج ولذلك تضاف الكلمة إلى السفر فيقال: جواز السفر (أنيس وآخرون، ١٩٨٣ ص ١٣٥).

الخاتمة

اتضح في السطور السابقة كيف تطورت الكلمات العربية من المعاني القديمة التي تجلت في معجم مختار الصحاح الممثل للصنف القديم من المعاجم العربية إلى المعاني الجديدة التي أوضحها المعجم الوسيط الذي يمثل الصنف الجديد من المعاجم العربية، ومن خلال هذه السطور استطاع الباحثان إثبات تطور معاني هذه الألفاظ التي تم اختيارها في باب الجيم من كلي الكتابين وأظهرها مدى تغيير هذه الكلمات من معانٍ إلى معانٍ أخرى، وأوجدت هذه الدراسة نوعية التطور الدلالي لهذه الألفاظ وهي تتمثل في المظاهر الدلالية التي هي التطور

بالنقل والتطور بالتعميم والتطور بالتضييق، وبهذا توصلنا إلى أن التطور الدلالي دلالة حية على مواكبة اللغة العربية متطلبات العصر وحاجاته وليست لغة جامدة.

المراجع

- أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية . القاهرة. مصر ١٩٧٢م.
- الداية ، فايز، علم الدلالة العربي، دار الفكر. بيروت . لبنان ١٩٩٦م.
- الرازي، مُحمَّد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح.. ط ١ . دار القبيس بيروت . لبنان. ١٩٨٧م.
- عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، مكتبة الخانجي القاهرة ودار الرفاعي الرياض ١٩٨٣م.
- عبد المالك، عبد الله، قضية التعريف في القواميس العربية الحديثة ، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا (الماجستير) جامعة مُحمَّد الخامس. ١٩٩٨م.
- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب . القاهرة . مصر ١٩٩٦م.
- الكراعين، أحمد، علم الدلالة، مؤسسة الجامعية لنشر بيروت لبنان ١٩٩٣م. .
- لوشن ، نور الهدى ، علم الدلالة، منشورات جامعة قاريونس بنغازي. ليبيا ١٩٩٥م
- نصار، حسين ، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة . مصر. ١٩٨٨م
- وافي، عبد الواحد، علم اللغة ، دار نخضة للطبع والنشر والتوزيع القاهرة ١٩٨٢م.



الحواس وسميائيتها في شعر ابن الونان الشهير بالشمقمقية، دراسة لسانية دلالية

الدكتور عبدالله الرحمن

DR. ABDULLAHI ABDURRAHMAN

Lecture at Department Of Arabic language
Federal University Kashere Gombe State, Nigeria.
draabdurrahman26@gmail.com
08038993304

ملخص

يسعى هذا المقال إلى استكشاف سيميائية الحواس في شعر ابن الونان من خلال قصيدته الشهيرة الشمقمقية، مع اعتماد منظور لساني دلالي. ويتناول النص بوصفه خطاباً شعرياً مكثفاً تتداخل فيه المدركات الحسية وتتفاعل لبناء معانٍ متعددة الطبقات. وتبحث الدراسة في الآليات التي تتحول بها الحواس الخمس - البصر والسمع واللمس والشم والذوق - من مجرد قنوات للإدراك الفيزيائي إلى وحدات سيميائية فاعلة تسهم في إنتاج الدلالة الشعرية. كما تتناول الوظائف الجمالية والبلاغية الناجمة عن هذا التداخل الحسي، ودورها في تشكيل الرؤية الكلية للنص.

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن تواصل الحواس في شعر ابن الونان يمثل استراتيجية سيميائية مقصودة، لا مجرد أداة زخرفية بلاغية، وأن هذه الاستراتيجية تسهم في تشكيل صور مركبة وتجسيد أبعاد وجدانية وتجريبية مثل المعاناة والحب والفروسية والاعتداد بالذات. واعتمد المقال منهجاً وصفيًا تحليليًا مدعومًا بأدوات اللسانيات النصية والسيميائيات الحديثة والتحليل الدلالي، مع اتخاذ نماذج نصية مختارة من شرح الشمقمقية مدونةً للتحليل.

وتخلص الدراسة إلى أن القصيدة تقوم على شبكة حسية مترابطة تتقاطع فيها العلامات البصرية والسمعية واللمسية لتوليد آفاق دلالية جديدة، وهو ما يثري الطاقة التعبيرية للنص ويكشف قدرة الشاعر على تحويل الإحساسات الملموسة إلى تمثيلات رمزية تعكس تجربته



النفسية والثقافية. وتؤكد النتائج مركزية السيميائيات الحسية في فهم الشعر العربي الكلاسيكي، وتبرز إسهام ابن الونان المتميز في تطوير الصورة الحسية داخل التقليد الشعري العربي.

الكلمات المفتاحية: تواصل الحواس، السيميائيات، اللسانيات، الدلالية، الشعر العربي، ابن الونان.

Abstract

This article seeks to explore the semiotics of the senses in the poetry of Ibn al-Wannān through his celebrated poem al-Shamqmaqiyya, adopting a linguistic and semantic perspective. The poem is approached as a dense poetic discourse in which sensory perceptions overlap and interact to construct multilayered meanings. The study investigates the mechanisms through which the five senses—sight, hearing, touch, smell, and taste—are transformed from mere channels of physical perception into dynamic semiotic units that participate in the production of poetic significance. It further examines the aesthetic and rhetorical functions generated by this sensory interaction and their role in shaping the overall vision of the text.

The research is based on the hypothesis that sensory intercommunication in Ibn al-Wannān's poetry constitutes a deliberate semiotic strategy rather than a decorative rhetorical device. This strategy contributes to the formation of complex imagery and to the embodiment of emotional and experiential dimensions such as suffering, love, chivalry, and self-pride. Methodologically, the article employs a descriptive-analytical approach supported by the tools of text linguistics, modern semiotics, and semantic analysis, with selected textual samples from al-Shamqmaqiyya serving as the corpus of investigation.

The study concludes that the poem is structured upon an interconnected sensory network in which visual, auditory, and tactile signs intersect to generate new semantic horizons. This interaction enriches the expressive energy of the text and reveals the poet's ability to convert concrete sensations into symbolic representations reflecting his psychological and cultural experience. The findings emphasize the centrality of sensory semiotics in understanding classical Arabic poetry and highlight Ibn al-Wannān's distinctive contribution to the development of sensory imagery within the Arabic poetic tradition.

Keywords: Sensory intercommunication, semiotics, linguistics, semantics, Arabic.

المقدمة

إن "العمل الفني ليس موضوعاً بسيطاً بل هو تنظيم معقد بدرجة عالية وذو سمة متراكمة مع تعدد في المعاني والعلاقات"، تشكل الحواس إحدى الركائز الأساسية في بناء الخطاب الشعري، إذ تمثل الوسيط الأولي الذي تتحول عبره التجربة الإنسانية إلى لغة. وقد عرف الشعر العربي منذ مراحل الأولى حضوراً مكثفاً للمدرجات الحسية، وقد توصلت

الدراسات السيميائية الحديثة إلى أن الحواس في النصوص اللغوية لا تستثمر بوصفها معطيات حسية مجردة، وإنما تتحول إلى علامات دلالية سياقية مشحونة بالقيم الثقافية والانفعالية. ويكتسب شعر ابن ونان أهمية خاصة في هذا السياق، لما يتسم به من كثافة حسية وتعدد في مستويات الإدراك، حيث تتداخل الرؤية بالسمع، والشم باللمس، والذوق بالبصر، في نسيج لغوي يفتح النص على أبعاد دلالية ورمزية متعددة. وتأتي هذه الدراسة للكشف عن آليات هذا التداخل من منظور سيميائي لساني، يراعي البنية اللغوية للنص ووظائف العلامات الحسية داخله.

وتتمثل إشكالية البحث في التساؤل الآتي: كيف يُوظّف ابن ونان الحواس في شعره؟ وما الآليات اللسانية والسيميائية التي تحكم هذا التوظيف؟ وما أثره في إنتاج المعنى الشعري؟ وتكمن أهمية البحث في إسهامه في إثراء الدراسات التطبيقية في السيميائيات الشعرية، وربط التراث الشعري العربي بالمناهج اللسانية الحديث، ويعتمد البحث على المنهج الوصفي في استخراج الظواهر الحسية السيميائية وتصنيفها وفق الحواس الخمس وتحليل دلالاتها في السياق النصي مع بيان وظائفها السيميائية في بناء معنى جديد. وقد أتت الدراسة موزعة على المحاور التالية:

المحور الأول: تعريف موجز بابن الونان

هو أبو العباس أحمد بن مُحمَّد بن الونان الحميري المملوكي الفاسي التواتي الفاسي المغربي، وقد ذاع صيته بالشعر في عصره وهو من أدباء القرن الثامن عشر الميلادي، وهو صاحب القصيدة الأدبية المعروفة ذات طابع قديم المشهورة بـ "الشمقمقية"، وقد عاصر عهد المولى مُحمَّد بن عبد الله العلوي ويقارن فيه بالعلامة والأديب اللامع أبو علي الحسن اليوسي، وهو ما ظهر في القصيدة/الأرجوزة الشمقمقية، خاصة وأن ابن الونان نظم القصيدة في عصر عرف فيها الأدب العربي انحطاطا ملاحظا سواء في المشرق أو في المغرب، وهو ما أعطى للشمقمقية وصاحبها ابن الونان شهرة كبيرة إلى اليوم^٢.

وعرف عن ابن الونان اعتداده بنفسه ونسبه ونبوغه الأدبي وتمكنه من ناصية اللغة العربية. ورغم شهرة الرجل وشمقمقيته إلا أن المعلومات المتوفرة عنه قليلة جدا، فهو: "الشخص الذي

بقدر ما عُرف جُهل، وكلما ذُكر نُسي، ومعرفته وذكره متأثيان من أرجوزته المعروفة بـ(الشمقمقية) التي نحمد الله على سلامتها من عوامل الفناء"، كما قال صاحب شرح القصيدة وهو العلامة عبد الله كنون^٣.

المحور الثاني: مفهوم السيميائية والعلاقة بينها وبين الدلالة

مصطلح السيميائية من المصطلحات التي استخدمت في مجالات علمية مختلفة حتى دخل في المبحث اللساني واستفاد منه تقنيات وآليات ومفاهيم تحليلية، ويرى بعض العلماء أن لفظ السيمياء هو أحد المعربات الثلاثة السيمولوجيا والسيولتيك، والسيميائية لفظ يوناني، هو (السيميوطيقا) من كلمة (السيمولوجيا) وتعني العلامة، ويعرف بأنه: "علم يدرس العلامة ومنظوماتها (أي اللغات الطبيعية والاصطناعية) كما يدرس الخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها"^٤.

ويمكن القول بأن دي سوسير قد تصور وجود هذا العلم وبين اشتقاقه وأصله، كما حدد موضوعه، ونادى بحقه في الوجود ووصف علاقة هذا العلم الآتي الذي لم يكن قد ولد بعد، بكل من علم النفس الذي هو الأصل الذي ينتمي إليه العلم المبشر به، وبين علم اللسان الذي يكون جزءا منه، كما بيّن وظيفته وأهميته في بيان مدلولات الإشارات ومعرفة قوانينها التي تحكمها^٥.

وقد تزامن هذا التبشير مع ما كان يقوله عالم آخر هو بيرس (١٨٣٩-١٩١٤) من أن النشاط البشري بمجمله نشاط سيميائي. وبطبيعة الحال فإن النشاط اللساني هو نشاط سيميائي لأنه جزء من النشاط البشري، ويقول بيرس عن نفسه: "إنني وحسب علمي الرائد أو بالأحرى أول من ارتاد هذا الموضوع المتمثل في تفسير وكشف ما سمّيته السيميوطيقا أي نظرية الطبيعة الجوهرية والأصناف الأساسية لأي سيميوزيس محتمل. إن هذه السيميوطيقا التي يطلق عليها في موضع آخر المنطق تعرض نفسها كنظرية للدلائل وهذا ما يربطها بمفهوم السيميوزيس الذي يعد على نحو دقيق الخاصية المكونة للدلائل"^٦.

أما مارتينية فيعرفها قائلاً: "السيمولوجيا دراسة جميع السلوكيات والأنظمة التواصلية"^٧. فالسيمولوجيا إذن مرادف للسيمائية، وموضوعهما دراسة أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لغويا أو سننيا أو مؤشريا.

وهكذا تلتقي السيمائية واللسانيات في القول باعتبارية الدليل اللساني، وإن رأى البعض أن هذه العلاقة ينبغي وصفها بأنها ضرورية وليست اعتبارية^٨. والدال هو تلك الصورة الصوتية، والمدلول هو ما تثيره تلك الصورة في ذهن المتلقي.

فقد تطورت السيمائية في القرن العشرين وأصبحت حقلاً معرفياً مستقلاً، قرب المجالات المعرفية التي كانت متباعدة ومعزول بعضها عن بعضها وأعاد تماسكها.

وتسعى السيمائية إلى تحويل العلوم الإنسانية (خصوصاً اللغة والأدب والفن) من مجرد تأملات وانطباعات إلى علوم بالمعنى الدقيق للكلمة، ويتم لها ذلك عند التوصل إلى مستوى من التجرد يسهل معه تصنيف مادة الظاهرة ووصفها، من خلال أنساق من العلاقات تكشف عن الأبنية العميقة التي تنطوي عليها. ويمكنها هذا التجرد من استخلاص القوانين التي تتحكم في هذه المادة.

ويرى موريس: "أن السيمائية لم تكن مجالاً تخصصياً فحسب، بل إنها احتلت فوق ذلك موقعا مركزيا في البحث العلمي بوجه عام، إذ كان عليها مهمة اكتشاف اللغة المشتركة في النظرية العلمية"^٩.

تبحث السيمائية عن المعنى، من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والبنى الدالة. وهي لذلك لا تهتم بالنص ولا بمن قاله، وإنما تحاول الإجابة عن تساؤل وحيد هو كيف قال النص ما قاله؟^{١٠}

ومن حقول استخدامات السيمياء أيضا: علامات الحيوانات، وعلامات الشم، وعلامات الاتصال باللمس، ومفاتيح المذاق، والاتصال البصري، وأنماط الأصوات، والتشخيص الطبي، وأوضاع الجسد، واللغات الصورية والمكتوبة، والإعلان والإشهار، والسينما والقصة المصورة والملصقات، وقراءة اللوحات التشكيلية^{١١}.

وقبل اختتام الكلام عن السيمائية، لا بد من التعرض للعلاقة بينها وبين مفهوم الدلالة لأنه "مفهوم مركزي ينتظم حوله النشاط السيميائي في مجمله، وهي الناتج الصافي للمادة،

وهي وجهها المتحقق أو هي سيرورة إنتاج المعنى، ويرى آخرون أن السيميائية لا تبحث عن دلالات جاهزة أو سابقة على الممارسة، بل هي "بحث في شروط الإنتاج والتداول والاستهلاك"^{١٢}. ومن ثم فإن اللفظة لا تستقر على دلالة واحدة، وإنما تتحدد دلالتها تبعاً لموقعها داخل النسق التركيبي والسياق الذي ترد فيه.

المحور الثالث: مفهوم تراسل الحواس

قد تجاوزت نظرية العلاقات هذه ميدانها في مجال الطبيعة إلى ما يسمى (تراسل الحواس) واختلاطها وتعبير أحدها عن الآخر، فاللمس والشم والسمع والبصر حواس من آخر ووسائل تعبير فني تتجاوز حدودها الطبيعية إلى معان جديدة مبتكرة^{١٣}. وعليه، فإن مفهوم (تراسل الحواس) هو وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة أخرى، فتعطي المسموعات ألواناً، وتصير المشمومات أنغاماً، وتصبح المرئيات عاطرة^{١٤}.

ووظيفة التراسل هي استثمار حاستين أو أكثر من خلال ذكر حاسة واحدة، مما يثري اللغة وينميها لفظاً ومعنى، لأنه يعطي ضمناً نقل مفردات حاسة إلى أخرى، وبذلك تتنوع أساليب التعبير عن الحاسة الواحدة^{١٥}.

وينبغي التعامل مع النص في استقلالية كاملة عن صاحبه فإذا كان النص قد صدر عن الكاتب فهذا ليس دليلاً على أنه ملكه الخاص، كما أن أبناءنا ليسوا ملكنا، والنص في نهاية المطاف ليس هو الكاتب، ويبدو له أن القيام بتحليل حياة الكاتب لدراسة عمله الأدبي هو عمل مماثل للقيام بتحليل نفسي لأم المريض بدل تحليل المريض نفسه^{١٦}.

المحور الرابع: دلالة البصر السيميائي في القصيدة الشمقمقية

تكاد تكون حاسة البصر هي العتبة الأولى للدخول إلى تجربة الشاعر الشعري حين مهد الشاعر قصيدته في المقاطع الأولى على رسم عمدته مشاهد مكانية واسعة عبر فضاءات الصحراء والرحلة، يجيل فيها ذاته الشعرية التي كانت العين طاقته في الإحاطة والامتداد. يظهر ذلك من قول الشاعر في الأبيات الآتية:



ولم تَزَلْ ترمي بها يدُ النَّوى * بكل فجّ وفلاةٍ سَمَلِقِ^{١٧}

ويقول:

مجاهلٌ تحارُّ فيهنَّ القَطَا * لا دِمْنَةٌ لا رَسْمٌ دارٍ قد بقي^{١٨}

ويقول:

واللَّيْل والنَّهار والرِّثَال وال * هيثمٌ مع عِكْرِمَةٍ وخَزْنِقِ^{١٩}

ويقول:

إلَّا وفي خَضْخَاضٍ دَمَعٍ عَيْنِهَا * خَاضَتْ وَعَابَتْ بِسَرَابٍ مُطْبِقِ^{٢٠}

وعند الإمعان لهذه الأبيات يرى أنها تخلق مشهدا بصريا مفتوحا في ألفاظ تدل على الفراغ المكاني والزمني مترامي الأطراف، المتمثل في الوحدات الآتية: "الفج والفلاة والسملق والمجاهل، والليل والنهار والسراب المطبق"، والرؤية في تلك الأبيات لدى الشاعر علامة التيه والحيرة وأما الصحراء فهي علامة الفراغ الوجودي حين يدل لفظ السراب على خداع بصري وأمل كاذب، ومن منظور سيميائي فيمكن أن نقول إن وظيفة العين هي إنتاج دلالة الاغتراب، إذ إن اتساع المشهد يقابله شعور داخلي بالإفْهَاق والانفصال.

ومن خلال قراءة أخرى لبناء الصورة البصرية في قصيدة الشمقمقية، يرى أن الشاعر يعتمد على تقنية التعداد التراكمي الاسمي في بناء معجمه الشعري وذلك حين يقول :

والمرْخِ والعَفَارِ والعِضَاءِ وال * بَشَامِ والأَثَلِ ونبتِ الحَرْبِقِ

والرِّمَثِ والحُلَّةِ والسَّعْدَانِ * والثَّغْرِ وشَرْيِ وسِنَا وسمَسَقِ

وعُشَرٍ ونَشَمٍ وإِسْحَلِ * معَ تَمَامٍ وبَهَارٍ مُونِقِ

والسِّمَعِ واليعقوبِ والقِشَّةِ وَال * سيِّدِ السَّبْنَتِ والقَطَا وجورِقِ

واللَّيْل والنَّهار والرِّثَال وال * هيثمٌ مع عِكْرِمَةٍ وخَزْنِقِ^{٢١}

لقد كثف الشاعر التراكم المعجمي في الأبيات السابقة والذي يسمى "الإشباع البصري"، حيث تتكدس المفردات الدالة على الطبيعة المتمثلة في النباتات والمواضيع والظروف، لتتحول القصيدة إلى لوحة مرئية للصحراء الواسعة القائمة المعبرة عن التيه والحسرة مع اليأس من إدراك المحبوب. وتشكف هذه التقنية عن وظيفة معرفية للرؤية بوصف العين أداة تصنيف وإحاطة بالعالم الطبيعي.

ومن وظائف الدلالة البصرية لدى الشاعر في قصيدته الشمقمقية، أن الدلالة البصرية تتشابه مع معاني العناء والتعب والجهد المرهق حين يقول:

حَتَّى غَدَتْ خُوصاً عِجَافاً ضُمِّراً * أَعْنَاقُهَا تَشْكُو لَغَيْرِ مُشْفِقٍ
قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْمَحَاسِنُ بِإِذْ * مَانَ كُلِّ السُّرَى وَقَلَّةِ التَّرْفِقِ
كَأَنَّهَا لَمْ تَكُ قَبْلُ انْتَحَبَتْ * مِنْ كُلِّ قَرَوَاءٍ رُقُوبٍ فُنُقِ
دَوْسَرَةٍ هَوَّجَاءَ وَجْنَى مَا بِهَا * مِنْنَقَبٍ وَمِنْ وَجَى وَسَلَقِ
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ هُنَيْدَةً غَدَتْ * أَكْثَرَ مِنْ دَوْدٍ وَدُونَ شَنْقِ
وَإِنْ تَمَادَيْتَ عَلَى إِتْعَائِهَا * وَلَمْ تَكُنْ مُنْتَهِيَاً عَنْ رَهَقِ^{٢٢}

فالفحركات الآتية "الخوصاء والعجفاء وضمير الأعناق، وذهاب المحاسن وإدمان السرى وقلة الترفق" أجبرت الأجساد على التغير والذبول حين تتحول الصورة المرئية سميائية إلى خطاب شكائية حيث يسند الفعل الدلالي أيضا إلى الأعناق، في نوع من التشخيص البصري الذي يعبر عن عمق الإحساس بالمعاناة والمأساة.

لقد وظف الشاعر الدلالة البصرية في المقاطع الغزلية حين حولها من الملامح المرئية إلى أدوات سحر وتأثير وذلك في قوله:

تَسْبِي بِثَغْرِ أَشْنَبٍ وَمَرْشَفٍ * قَدْ ارْتَوَى مِنْ قَرْقَفٍ مُعْتَقِ^{٢٣}

ويقول الشاعر:

وَعَقِبَ مُحَجَّجٍ وَمُعْصَمٍ * مُسَوَّرٍ وَعُنُقٍ مُطَوَّقِ
وَمُقَلَّةٍ تَرْمِي بِقَوْسٍ حَاجِبٍ * ثَلَاثَةً مِثْلَ الْأَثَاثِي فِي الرُّقِ^{٢٤}

إن دلالات البصر هنا في الأبيات السابقة تجاوزت موضوع الرؤية إلى أدوات جمال ساحرة تسبي وترمي فريستها بقوة تبني علاقة بين الناظر والمنظور إليه، في استعارة حربية تحمل النظر طاقة إيذاء ولذة في آن.

المحور الخامس: دلالة السمع السيمائية في قصيدة الشمقمقية

يؤدي الحس السمعي في قصيدة الشمقمقية وظيفة إضفاء الحركة على المشهد الشعري، لأن الفضاء الطبيعي المتمثل في وهج الرياح الذي ترسمه الرؤية عبر الصوت، ليغدو فضاء حيا نابضا بالتغير.

مَرَّتْ بِهَا هُوجُ الرِّيحِ فَهِيَ فِي * تَفَرُّقٍ حِيناً وَحِيناً تَلْتَقِي^{٢٥}

إن صوت الرياح في هذا البيت يمثل بؤرة سيمائية على الاضطراب والتحول المتدرج، لأن الريح لا تسمع فحسب بل تدرك بوصفها قوة فاعلة تحدث التفرق والالتقاء، في إحالة دلالية إلى حال القافلة والذات الشاعرة معا.

ومن الدلالة السيمائية للصوت في شعر الشمقمقية ما خلق الإيقاع الداخلي للألفاظ حين يصف السوق العنيف للنوق من خلال التكرار الصوتي لكلمة "سوق" وما فيها من جرس قاس يعكس العنف والقسوة، ليجسد الصوت سيمائيا الألم الخفي الصامت، لا مجرد أداة إيقاعية، وذلك في قول الشاعر:

وَكَمْ بِسَوَاطِيفِ الْبَغْيِ سُقَّتْ سَوْفَهَا * سَوَقَ الْعَنْفِ الَّذِي لَمْ يَتَّقِ^{٢٦}

وفي قول الشاعر:

وَقُلْ لِرَبَّاتِ الْهُوَاجِ الْجَلِي * نَ آمِنَاتٍ فَنَزِعَ وَفَرَّقِ^{٢٧}

وقوله:

وَلَا تَسْلُ عَمَّا أَبُتُّ مِنْ جَوَى * وَمَا تُرِيْقُ مِنْ دُمُوعٍ حَدَقِي^{٢٨}

وقوله:

آهٍ عَلَى ذِكْرِ لَيَالٍ سَلَفَتْ * لِي مَعَهَا كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ^{٢٩}

إن وحدات "الأمان والشكوى والآه" تجسد الحركة الحسية المتمثلة في خطاب طمأنة وصوت شكوى وحسرة وأنين داخلي عنيف الكامن وراء سيمائية دلالية تظهر في أن السمع يعني فضاء الاعتراف بالمعاناة والانتقال من الحماية إلى البوح في أن الآه علامة انخيار داخلي صرف.

وفي قول الشاعر:

سَيْفٌ كَصَمَامَةٍ عَمِرُوا بِاتِّز * لَا يُتَّقَى بَيْلَبٍ وَدَرَقِ^{٣٠}

يلاحظ في البيت السابق حضور السمع بقوة في الصليل والقطع الذي لا يبرح السيف والصمصام حيث يتضمن إيجاءات صوتية، وسيميائيتها القوة والهيمنة مع تعزيز صورة الذات الفروسية.

ويعد النداء والتنبيه من الأدوات السمعية لأن النداء يفعل وظيفة تواصلية مباشرة تبرز البعد الدلالي للصوت، فوحدة "حادي الأنيق" تظهر سميائيا مدى تحول السمع إلى قناة لإنتاج الخطاب الأخلاقي القائم على الرفق، من خلال قول الشاعر:

مَهْلًا عَلَى رِسْلِكَ حَادِي الْإِنْيَقِ * وَلَا تَكْلِفْهَا بِمَا لَمْ تُطِقِ^{٣١}

وقد يتداخل السمع مع البصر والحركة في عدد من النماذج منها:
قول الشاعر:

كَأَنَّمَا رِقَاقُهُ بِحَرْ طَمًا * وَالنُّوقُ أَمْوَاجٌ عَلَيْهِ تَرْتَقِي^{٣٢}

فوحدة "الرقاق" تحيل إلى اللمعان البصري حين يستدعي حثيثا في الوقت نفسه خريبر الماء في تداخل حسي يضاعف الطاقة الدلالية في أداء دور مركزي في بث الحركة والانفعال داخل النص الشعري حين أصبح يمتزج بعلامات الاضطراب والعنف والقوة والتواصل ليتحول السمع من مجرد لوحة مرئية ساكنة إلى مشهد دينامي متحرك، تتكامل فيه الأصوات مع الصور لتشكيل المعنى الكلي للنص.

المحور السادس: وظائف الدلالة اللمسية والحركية في قصيدة الشمقمقية

تمثل حاسة اللمس في قصيدة الشمقمقية العناء الجسدي لأنها تنتقل التجربة من مستوى الرؤية والسمع إلى مستوى الإحساس المباشر بالألم والإرهاق النفسي والجسدي، فاللمس علامة قسوة ومشقة حين يوظفها الشاعر في قوله:

حَتَّى غَدَتْ خَوْصًا عِجَافًا ضُمْرًا * أَعْنَاقُهَا تَشْكُو لِعَيْرٍ مُشْفِقٍ^{٣٣}

فألفاظ "عجاف وضمير" تفهم من خلال تجربة اللمس الجسدية قبل الرؤية، وتتحول الأعناق إلى موضع للألم، فتغدو الشكوى إحساسا جسديا متجسدا لا مجرد حالة نفسية. وقد حول الشاعر وظيفة الجسد في سياقه الشعري من كونه موضوعا للوصف ليصبح فاعلا دلاليا داخل الخطاب حين نرى الجسد "يذهب" عبر آثاره اللمسية كما في قول الشاعر:

قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْمِحَاسِئُ بِإِذْ * مَا نِ كُلِّ الشُّرَى وَقَلَّةِ التَّرْفُقِ^{٣٤}

فالذهاب هنا ليس فعلا مجردا، بل أثر محسوس على الجسد، يمكن لمسه وإدراكه، مما يعمق البعد السيميائي للمس بوصفه لغة غير منطوقة.

ثم أخذ الشاعر في الشمقمقية يربط اللمس بالحركة ليخترع سيميائيا دلاليا في إظهار المعاناة في الاحتكاك الدائم بين الجسد والمكان، يمكن ملاحظة ذلك في قوله:

وَلَمْ تَزَلْ تَقْطَعُ جِلْبَابَ الدُّجَى * بِجِلْمِ الْأَيْدِي وَسَيْفِ الْعُنُقِ

فَمَا اسْتَرَأَحْتُ مِنْ عُبُورِ جَعْفَرٍ * وَمِنْ صُعُودِ بَصْعِيدٍ زَلَقٍ^{٣٥}

إن جو "العُبور والصعود" تماس جسدي مباشرا مع الأرض، و"جلم الأيدي والسيف للجلباب" تماس معنوي وحين إمعان النظر في العُبور والصعود في تكشف التماس في وصف الصعيد الزلق حيث يصبح الانزلاق إحساسا جسديا ملموسا، يحمل سيميائيا دلالة الخطر وعدم الأمان، بينما تسير وحدة "جلم الأيدي والسيف للجلباب" مسلكا إحساسيا جسديا ملموسا للشجاعة والقوة المتشائمة للصمود نحو الخطر.

وكذلك الليل في قول الشاعر:

وَلَمْ تَزَلْ تَقْطَعُ جِلْبَابَ الدُّجَى * بِجِلْمِ الْأَيْدِي وَسَيْفِ الْعُنُقِ^{٣٦}

لا يقدمه بوصفه حالة بصرية فحسب، بل بوصفه فضاء يلامس الجسد، لأنه ثوب يشق في استعارة لطيفة تجمع بين اللمس والحركة، حيث تتحول اليد إلى أداة لاختراق الظلمة بما يحمله ذلك من دلالة الصمود والصبر مع الجراءة.

وفي منظر آخر يستشف من البيت الآتي:

وَكَمْ بِسَوْطِ الْبَغْيِ سُقَّتْ سَوْفَهَا * سَوْقَ الْعَنْفِ الَّذِي لَمْ يَتَّقِ^{٣٧}

ظاهرة اللمس في سيميائية القسوة والعنف حين أصبح السوط أداة لمس قسري عنفي، تتحول إلى علامة على القهر والارحمة، للتعبير عن عدم الرفق والشفقة التي يدعيها الشاعر في مطلع القصيدة. فقد حول الشاعر الجسد عبر اللمس إلى نص مواز، تقرأ عليه علامات الخطر والقسوة والصمود والجراءة، مما يمنح القصيدة عمقا إنسانيا وحسا بالغ التأثير.

المحور السابع: دلالة الشم والذوق السيميائية في قصيدة الشمقمقية:

إن الشاعر استطاع أن يربط - في الغالب - حاسة الشم والذوق في قصيدته بسياقات الجمال والكمال والاصطفاء، فالروائح لم تكن في قصيدته إحساسا عابرا، وإنما تستثمر بوصفها علامات ثقافية لها رصيد سيميائي آخر، والشاعر حين يقول:

وَرَادَ مِسْكُ الْحَالِ وَرَدَ حَدِّهَا * حُسْنًا وَقَدْ عَمَّ بِطِيبٍ عَبَقٍ^{٣٨}

إن "المسك والورد والطيب والعبق" لها دلالات خاصة في قصيدته، لأن المسك هنا يتجاوز الرائحة الفيزيائية إلى رمز النقاء والرفعة، ويكشف اقترانه بالخد عن تفاعل كبير بين الشم والبصر، حيث تتضاعف القيمة الجمالية عبر تأزر الحاستين في البوح بسر ذلك الرمز الدلالي. ووظيفة الرائحة في قصيدته إحالة إلى الذاكرة والانفعال الشعري، لأن الشم أكثر الحواس التصاقا بالتجربة الوجدانية، وفي هذا السياق يصبح الطيب وسيلة لاستحضار صورة المحبوبة كاملة، بما تحمله من أثر نفسي دائم.

يكتف الشاعر من صور مجازية في نقل خصائص التذوق إلى مجالات معنوية في قصيدته الشمقمقية، ومن ذلك قوله:

فَإِنْ مَدَحْتُ فَمَدِيحِي يُشْتَفَى * بِهِ كَمِثْلِ الْعَسَلِ الْمَرْوَقِ^{٣٨}

إن العسل هنا معيار تقويمي لقياس أثر المدح في النفس، ووظيفته السيميائية هي أداة للحكم الجمالي، لا لمجرد الإدراك الحسي المباشر.

فاتصال الذوق باللذة والارتواء يجعل النص قريبا من التجربة العاطفية، لأن التشبيه بالعسل يستبطن دلالة الشفاء والمتعة، في إحالة إلى معجزة الخطاب الشعري في القدرة على التأثير العميق لدى المتلقي.

المحور الثامن: دلالة التراسل الحسي في قصيدة الشمقمقية

التراسل الحسي هو تداخل المدركات الحسية داخل التعبير اللغوي، لخلق معنى نابع عن تجربة حاسة بأدوات حاسة أخرى. ويعد هذا الأسلوب من أبرز مظاهر الشعرية، لما يتيح من تكثيف دلالي وإيجاء جمالي.

وفي قول الشاعر:



كأَنَّمَا رَقْرَاقُهُ بِحَرٍّ طَمًا * وَالنُّوقُ أَمْوَاجٌ عَلَيْهِ تَرْتَقِي^{٤٠}

تتداخل البصرية المتمثلة في "الرقراق"، والحركية الكامنة وراء "الطميان والارتقاء" والسمعية الواردة في "إيجاء الموج" وذلك في صورة واحدة، وينتج هذا التداخل مشهدا سيميائيا يعبر عن قسوة الرحلة واضطرابها.

وفي قول الشاعر:

وَزَادَ مِسْلُكُ الْخَالِ وَرَدَّ حَدَّهَا * حُسْنًا وَقَدْ عَمَّ بِطِيبٍ عَبَقِ^{٤١}

يتجلى التراسل الحسي في وصف المحبوبة حيث تتضافر الرؤية والرائحة واللمس، حين تظهر للمتلقى أن الرائحة - في البيت - ترى، واللون يشم، في انزياح حسي يضعف التأثير الجمالي للبيت الشعري على الخصوص وللقصيدة على العموم. فوظيفة التراسل الحسي الدلالية تظهر في تعميق المعنى إذ يسمح بتكثيف التجربة الشعرية في صورة واحدة مركبة، ويمنح النص قدرة عالية على الإيجاء والانفعال.

وفي قول الشاعر:

تَقْدَحُ نِيرَانَ الْحُبَّاحِبِ حَوَا * فِرُّهُ عِنْدَ حَبِّ وَطَلَّقِ

كَالرَّيْحِ فِي هُبُوبِهِ وَالسَّمْعِ فِي * وَثُوبِهِ وَكَالْمَهْيِ فِي فَشَقِ^{٤٢}

في البيتين السابقين ترأسل قتالي كثيف للحواس حين ترى النار عنصر بصري تقدح من الحركة والسمع يحل محل البصر في الظلام ويكون اللمس "السلاح" يصير لغة القرار، ليجمع بين حركة كل الحواس في لحظة واحدة، ليتسارع بالحواس لخلق صورة أسطورية في الذاكرة، وأن الحيوان شريك في الفعل العشقي القتالي.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى أن قصيدة الشمقمقية لابن الونان تقوم على بناء سيميائي حسي متكامل، وذلك بتفاعل الحواس والتراسل الحسي داخل القصيدة بوصفها علامات دلالية فاعلة أسهمت في بناء المعنى الشعري المؤثر وإثرائه بدقة مع توزيعها توزيعا يني عن براعة الشاعر وقدرته اللغوية في إيصال شعوره للمتلقى، واكتشفت عن وعي لغوي عميق لدى الشاعر ابن الونان.

ويمكن إيجاز أهم نتائج الدراسة في النقاط التالية:

- أن الدراسة السيميائية للنص الشعري قادرة على الكشف عن المعاني العميقة للنص التي لا يمكن تجاهلها عند دراسة الشعر العربي بصرف النظر عن حدوده الزمانية والمكانية.
- إن الحس البصري في الشمقمقية ليس حاسا وصفيا فحسب بل علامة سيميائية مركبة تؤدي وظائف جمالية وعاطفية.
- إن الحس السمعي في الشمقمقية يؤدي دورا كبيرا في بث الحركة والانفعال داخل النص الشعري، ويعمل في تحويل القصيدة من لوحة مرئية ساكنة إلى مشهد دينامي متحرك، لتشكيل المعنى الكلي.
- إن وظيفة اللمس في قصيدة الشمقمقية هي منح القصيدة عمقا إنسانيا وحسيا بالغ التأثير، حين يتحول الجسد عبر اللمس إلى نص مواز، تقرأ عليه آثار التعب والخطر وغيرهما.
- إن الشم والذوق في القصيدة الشمقمقية يؤديان وظائف دلالية متكاملة، حيث يستثمر الشم في بناء صورة الجمال والذاكرة، بينما يوظف الذوق بوصفه أداة تقويم وانفعال مما زاد النص بعدا حسيا رمزيا.
- التراسل الحسي في القصيدة الشمقمقية لا تعمل منعزلة بل ضمن شبكة دلالية متكاملة، تشكل أحد أهم مصادر الشعرية في النص.

الهوامش والمراجع:

- ١- ينظر: نيه وليك وأوستين وارن، نظرية الأدب، تعريب د. عادل سلامة، قسم دراسات أدبية مترجمة، ٢٠٠٨، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص: ١٢٩.
- ٢- ينظر: عبدالله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، ج٢، مركز التراث الثقافي المغربي ودار ابن حزم، ط١، ٢٠١٠، ص ١٣٢٩.
- ٣- ينظر: المصدر السابق نفسه.

- ٤ - إبراهيم صدق: السيميائية اتجاهات وأبعاد ، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيميائية والنص الأدبي ، ص ٧٧.
- ٥ - ينظر: فيردناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبدالقادر قنيني ط ١ ، ١٩٨٧م ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ص ٨٨.
- ٦ - المرجع السابق نفسه.
- ٧ - جميل حمداوي: مدخل إلى المنهج السيميائي، مجلة عالم الفكر الإلكترونية العدد الثالث.
- ٨ - ميشال أريفية وجون كلود جيرو: السيميائية أصولها وقواعدها ترجمة رشيد بن مالك مراجعة وتقديم عزالدين المناصرة ص ٢٨ ، ٢٩٠.
- ٩ - ميكل إيفيتش : اتجاهات البحث اللساني : ترجمة سعد عبدالعزيز مصلوح ، وفاء كامل فايد ، المجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ٢٠٠٠ ، ص ٣٥٢.
- ١٠ - جميل حمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، مجلة عالم المعرفة
- ١١ - عادل فاخوري: تيارات في السيميائية ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٠م ص ٨-١١
- ١٢ - عبدالقاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، المنار ، الطبعة الثانية ، ١٣٧هـ ص ٣٣.
- ١٣ - ينظر: د. سالم أحمد الحمداوي، مذاهب الأدب العربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث، وزارة التعليم العالمي والبحث العلمي، مطبعة التعليم العالي، الموصل، العراق، ١٩٨٩م، ص: ٢٥١.
- ١٤ - ينظر: د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي، ١٩٧٢م، دار الثقافة، بيروت، ص: ٤١٨.
- ١٥ - وجدان عبد الإله الصائغ، الصورة البيانية في شعر عمر أبي ريشة، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل بإشراف الدكتور جليل رشيد فالح، ص: ١٢٢.
- ١٦ - ينظر: دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد ٥، خريف ١٩٩١م، المدير المسؤول: د. محمد العمري، رئيس التحرير، د. حميد الحمدانيص: ٨-٩.
- ١٧ - السيد عبد الله كنون الحسني، شرح الشمقمقية، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٩م، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ودار الكتاب المصري القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص: ١٣.
- ١٨ - المصدر السابق، ص: ١٥.
- ١٩ - المصدر السابق، ص: ١٧.
- ٢٠ - المصدر السابق، ص: ١٨.
- ٢١ - المصدر السابق، ص: ١٦.
- ٢٢ - المصدر السابق، ص: ٢٠.



٢٣ - المصدر السابق، ص: ٣٤.

٢٤ - المصدر السابق نفسه.

٢٥ - عبدالله كنون، شرح الشمقمقية، ص: ١٩.

٢٦ - المصدر السابق: ص: ٢٠.

٢٧ - المصدر السابق: ص: ٣٢.

٢٨ - المصدر السابق: ص: ٣٨.

٢٩ - المصدر السابق: ص: ٣٩.

٣٠ - المصدر السابق: ص: ٤٤.

٣١ - المصدر السابق: ص: ١٢.

٣٢ - المصدر السابق: ص: ١٩.

٣٣ - المصدر السابق: ص: ٢٠.

٣٤ - المصدر السابق: ص: ٢١.

٣٥ - المصدر السابق: ص: ١٨.

٣٦ - المصدر السابق: ص: ١٨.

٣٧ - المصدر السابق: ص: ٢٠.

٣٨ - المصدر السابق: ٣٧.

٣٩ - المصدر السابق: ص: ٥٥.

٤٠ - المصدر السابق: ص: ١٩.

٤١ - المصدر السابق: ص: ٣٧.

٤٢ - المصدر السابق: ص: ٤٦.



الشعر الاجتماعي لدى البردي: قصيدته لتهنئة العاهل السعودي خادم الحرمين الشريفين نموذجاً

الدكتور محمد أولايكي إيكلي

كلية التربية ولاية أوسن، إلي - أورغن، نيجيريا

muholabik@gmail.com

+234 - 8038758183, +234 - 8052259862

و

الدكتور شبيب عمران أيدي

الإمام لمسجد الخلوة الجامع، أوف، ولاية كوارا، نيجيريا

shuaibimran15@gmail.com

+234 - 8066939633, +234 - 8056805646

المقدمة:

كان شعر التّهاني متنوع الألوان منذ العصر العباسي ومنه ما كان سياسياً ودينياً واجتماعياً وغير ذلك كالتّهنة على الشفاء من المرض، وقد عاجلت هذه الورقة التّهنة على الشفاء من المرض وذلك في عودة العاهل السعودي خادم الحرمين الشريفين إلى أرض الوطن بعد رحلة العلاج، وما تتضمنها من إبراز ما بأهل الوطن من البهجة والفرح، وكان الشاعر داود عبد الباقي البردي طالباً بالملكة العربية وقته مع أنّه نيجيري الجنس يورباوي اللسان كانت العاطفة ما زالت تدفعه حتى بدأ بتصوير ما يجري في البلاد بين العباد، فبقيت الحادثة لبقا لشعره عن الحادثة. وعلاوة على ذلك، استخدم الباحثان المنهج التاريخي والتحليلي ويمكن تقسيم هيكل المقالة إلى ما يلي بعد المقدمة:

- مفهوم التّهنة
- عرض القصيدة (التّهنة بالشفاء من المرض)
- مناسبة القصيدة
- شرح مضمون القصيدة

- الألفاظ والمعاني
- العاطفة
- الخيال
- الظواهر البلاغية
- الكلمات المعجمية
- الموسيقى الشعرية

مفهوم التهنئة:

التهنئة: من هنأ، فلاناً بالأمر تهنئة: خاطبه راجياً أن يكون هذا الأمر مبعث سرور له، (شعبان وآخرون ٢٠٠٥، ص: ٩٩٦). يبدو من ذلك أن شعر التهنئة يبعث السرور والفرح في قلب المهنأ. وتعدّ التهنئة بالنجاح من أجمل مشاعر المشاركة الإنسانية والتي تترك أثراً طيباً في نفس الناجح، ومن أجمل ما تقدّمة له هو أبيات شعر التهنئة بالنجاح. (zyadda.com 01/03/2021). كان شعر التهنئة يترك أثراً لا ينسى في قلب الناجح أو غيره إذا هنئ بشعر، ويشير إلى مشاركة الشاعر بمناسبة مجتمعه ويبقي شعره أثراً في نفس المهنأ بعد انقضاء زمن الفرح. قد وضع الشاعر أثراً في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية "وتعتبر التهنئة بمناسبة الشفاء من المرض نمطاً من أنماط الصّلات المتبادلة بين الناس ..."(الخزاعلة ٢٠٠٨م، ص: ٩٣)، وقرض البرديّ شعر التهنئة في العاهل السعوديّ الملك عبد الله بن عبد العزيز في عودته إلى أرض الوطن بعد رحلة العلاج، وأبرز فيه ما كان لازماً في شعر التهنئة من ذكر محاسن المهنأ وإبداء مشاعر الناس وعاطفة الشاعر.

التهنئة بالشفاء من المرض

حمداً لربّ العرش جلّ ثناؤه * حمداً له وتقّدت أسماؤه
وطن السّلام مرّحّب بمليكه * مستبشراً بقدومه أرجاؤه
ملك يسرّ حضوره وشفاءه * وكما يسوء غيابه وعناؤه
ملك يرّحّب إذ يعود لأرضه * ويحبّ حبّاً في القلوب ولاؤه
قد عاد مشفياً فله الثّنا * ليعود للبدن الكريم بهاؤه

أهلاً وسهلاً بالملك ومرحباً * بك خادم الحرمين لاح سناؤه
ملك يحبّ شفاؤه وفعاله * وسماعه وحياته وبقاؤه
يا خادم الحرمين دام لك الشّفا * وجزاك خيراً من أجزى دعاؤه
وجزاك خيراً عن سيامي غدا * مثل السّوى على الإله جزاؤه
وجزاك خيراً عن حزين برّه * يدك الكريمة كي يزول بكاؤه
وعن الوفود بصرحك العلمي في * وطن يفرّش للضيوف رداؤه
وجزاك عن كلّ البلاد ومن بها * خيراً ونعم ثوابه وجزاؤه
بشراك أمتنا بعودة خادم الـ * حرمين نالك خيريه ووفاءه
بشراك يا شعب السّعودي الوفي * بقدوم من ملأ القلوب ولاؤه

مناسبة القصيدة:

عودة خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى أرض الوطن بعد رحلة العلاج سبب لتبادل الجميع التّهنئة والابتهاج لأنّه ملك القلوب وبعودته عمت الفرحة كلفة بنات وأبناء الوطن.

شرح مضمون القصيدة:

استهلّ الشّاعر قصيدته بالحمد والثناء على الله الجليل، ثم ذكر الشّاعر ابتهاج الوطنيّين بعودة هذا الملك، كما ذاقوا عناء وآلاماً بغيابه. وأثنى على الله أيضاً بهذه العودة كما يرجي له الشّفاء التّام.

لم يزل الشّاعر مرحباً بخادم الحرمين ويبيدي فرحته ومشاعره الأنيقة، وذكر من محاسن الملك التي أدّت إلى اهتمام المواطنين بعودته، فمدحه الشّاعر بالأعمال النّادرة الطّيبة التي قدّمها الملك خدمة لأهل الوطن خاصّة وما فعله من عملية جراحية في التّوأمن التصقاً من بطن الأم، وفعل الملك عبد الله هذه المساعدة مجاناً، وهذا مما فعله خدمة وإنسانية عامّة، ويشير إلى ذلك ما يلي: - "ووزع مدير المستشفى الهدايا والحلوي على المرضى، وتبادل الجميع التّهنئة بعودة خادم الحرمين إلى أرض الوطن، وعبر المرضى عن سعادتهم البالغة بعودة الملك وتمنّوا له دوام الصّحة والعافية مشيرين إلى أنّ الفرحة بعودة خادم الحرمين أنستهم آلامهم".

الألفاظ والمعاني:

هذه القصيدة سليمة اللغة، وموافقة للقواعد النحوية والصرفية، فالشاعر أتى فيها بتراكيب لغوية واضحة وكلمات سلسلة، والباحث يرى أن تسلط الضوء مهم لزيادة الوضوح:

أ- ضبط بعض ألفاظ النص لتصح قراءته فيستقيم فهمه على سبيل المثال: كلمة يرحب بفتح الحاء لتكون الفعل مبنيًا للمفعول، لأنه إذا قرئ بكسر الحاء يغير المعنى إلى أن الملك هو الذي يرحب بإنسان آخر لكن الناس هم الذين يرحبون به وكذلك في عجز البيت الرابع في كلمة يحب بفتح الحاء أيضًا وهو بذلك محبوبًا لدى الجميع.

ب- تفسير بعض الكلمات تفسيرًا مستمدًا من السياق: والشاعر يقصد في البيت العاشر ذكر محاسن الملك في رفع البلاد من المحزونين وليس أنه يقصد شخصًا معينًا في برّ الملك بل فعل لكثير من الناس خيرًا وأزال البكاء من الداني والقاصي، إذ تولى علاج بعض من أنواع المرض مجانًا للناس كافة، ولذلك فرح المرضى عند رجوعه حتى مدير مستشفى "ووزع مدير مستشفى الهدايا والحلوى على المرضى وتبادل الجميع التهنية بعودة خادم الحرمين إلى أرض الوطن" وعبر المرضى عن سعادتهم البالغة بعودة الملك، وتمنوا له دوام الصحة والعافية مشيرين إلى أن الفرح بعودة خادم الحرمين أنستهم آلامهم.

وفي البيت الحادي عشر: يذكر الشاعر أن الملك بنى صرحًا علميًا للوفود الذين خرجوا من ديارهم راغبين في العلم، فالمدح للملك اهتمامًا عاليًا وإسهامًا عاليًا بالطلاب وجعل يمدح الوطن كناية عن أهله بتفريش الرداء للضيوف وذلك في منتهى الضيافة الذي في قائد الوطن لأنه يقال: عادات السادات، سعادات العادات" www.addustour.com/article-11.

11-2020

العاطفة:

في هذه القصيدة عاطفة صادقة لأنّ الأبيات تنبعث عن سبب صحيح وهي موقظة للمشاعر ومحركة للخواطر، إذ أن أهل الوطن جميعًا في بحجة لعودة الملك مشفيًا.

ولاحظ الباحث أنّ في القصيدة تنوع العاطفة: المقصود بهذا المقياس قدرة الأديب على أن يحرك فينا كثيرًا من العواطف بدرجة واضحة قوية، وأعظم الأدباء من يستطيع أن يملأ

نفسك بالحبّ والحماسة والإعجاب والإجلال والشفقة والحزن والسرور وغير ذلك، لأنّ ذلك معناه أنّ الأديب خبير بالنفس البشريّة عليم بأسرارها ومخبئاتها، ومعنى هذا الكلام أنا لا نتوقع مطلقاً من كلّ شاعر أن يجيد ويبرع في كلّ غرض، ولكننا نعد الشاعر ممتازاً وبارعاً إن استطاع أو يحرك فينا أكثر من انفعال وأن يثير فينا أكثر من عاطفة في مجموع شعره. (أربي ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص: ١١٣)

ويرى الباحث أنّ العاطفة في القصيدة متنوعة فهي تنبعث عن سبب صحيح، وهو شفاء الملك وذلك صدق العاطفة وفيها أيضاً قوّة العاطفة إذ توقظ نفس القارئ والسماع كما بدا فيها ثبات العاطفة وهي التي تحرك الخواطر وتوقظ المشاعر، فيها عودة الملك وشفاءه، كما بدا في القصيدة محاسنه وإنفاقه على الناس ومساعدته على الضيوف والطلاب والمرضى.

الخيال:

لقد صوّر الشاعر البرديّ المملكة العربيّة بسكانها فذكر وطن السّلام، ولها اسمها المعروفة لدى الجميع لكن الشاعر فعل ذلك لراحة وطمأنينة وأمن فيها، وصور البلاد بأهلها لانتشار البهجة والسرور في البلاد في رجوع الملك بعد زمن طويل في طلب الشفاء من خارج المملكة، ثمّ ذكر أنّ سبب ترحيبه أمران في الفرح، وأمران من ضده؛ أما في الفرح الأوّل فهو حضور الملك، والثاني فهو شفاؤه. وأما الأمران في غير ذلك فهما غيابه وعناؤهم، وذلك أنّ أهل الوطن في غاية السرور من أجل عودته وشفائه كما أنّ اضطرابه وعدم وجوده في الوطن يؤس لهم وألم.

الظواهر البلاغية:

والبلاغة: هي تأدية المعنى الجليل بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كلّ كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون. (الجازم، غير مؤرخ، ص: ٨)

قد بانّت الملامح البلاغية في قصيدة البرديّ، منها أنّ الشّاهر استخدم في وصف حال النّاس عند رجوع الملك كناية عن صفة، فقال وطن السّلام ويعنى بذلك أنّ المملكة العربيّة يعيش أهلها في سلام وطمأنينة وأمن، وأنّه يرتب بمليكه مستبشراً بقدومه، إذ قد كمن في تلك

الصفّة غاية السرور ومن العادة أنّ الناس لا يفرجون بمن كان مسيئاً إذا قدم إليهم أو كان رئيساً مسيئاً إلى أهله، لكن الملك قد ملأ القلوب إحسانه فهم عند غيابه في أعناء وأزمة، وعند قدومه رخاء ورحمة. وقد ظهر أيضاً في القيدة الخبر، والأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين:

١- إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمّي ذلك فائدة الخبر، نحو: حروب المستقبل جويّة.

٢- إفادة المخاطب أنّ المتكلّم عالم بهذا الحكم، ويسمّي ذلك لازم الفائدة:

ربّ إني لا أستطيع اصطباراً* فاعف عني يا من يقبل العثارا

(المرامي، ٢٠٠٩م، ص: ٤)

ويوجد مثله في البيت الخامس بل يلقي لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام، منها: الاسترحام والاستعطاف نحو:

ربّ إني لا أستطيع اصطباراً* فاعف عني يا من يقتل العثارا (نفس المرجع والصفحة)

وقال الشاعر:

قد عاد مشفياً فله الثنا* ليعود للبدن الكريم شفاؤه

يا خادم الحرمين دام لك الشفا* وجزاك خيراً من أجزير دعاؤه

فالشاعر في البيتين يذكر عودة الملك ويثني على الله في ذلك كما يطلب الشفاء والجزاء من الله القريب الذي يجيب دعوة من دعاه.

ومنها إظهار الفرح كما يقال: من نجح في الامتحان - لمن يعرف ذلك - (فزت في الامتحان) (نفس المرجع، ص: ٤١)

والشاعر يقول في البيت الثالث:

ملك يسر حضوره وشفاؤه* وكما يسوء غيابه وعناؤه

ملك يرحّب إذ يعود لأرضه* ويحبّ حبّاً في القلوب ولاؤه

وفي حضور الملك سرور لقومه عامّة وللشاعر خاصّة وإبداء هذا السرور واضح في القصيدة أنّ الوطن وجد في غيابه وفي حضوره سرورا وضياء وأنّ وجوده ليس كالعدم.

ومنها التّشيط وتحريك الهمة لنيل ما يلزم تحصيله، نحو: النَّاس يشكرون المحسن (نفس المرجع، ص: ٤١) ويقول البرديّ:

أهلا وسهلا بالمليك ومرحبًا * بك خادم الحرمين لاح سناؤه

بشارك أمتنا بعودة خادم الـ * حرمين نالك خير ووفاءه

بشارك يا شعب السّعودي الوفي * بقدوم من ملأ القلوب ولاؤه

وفي الأبيات المذكورة نشعر التّشاط الذي ملأ القلوب والبهجة التي عمّت الأفواه عند عودة الملك وانتشار البشارة بين النَّاس كلّهم حتّى المرضى:

وجزاك خيرًا عن حزين برّه * يدك الكريمة كي يزول بكاؤه

وفي هذا البيت ذكر اليد الكريمة للملك كأنّ الشّاعر وأراد به شخصيته وجوده في مساعدة الآخرين والإحسان إليهم. وفي البيت أيضًا ذكر البعض وإرادة الكلّ وفيه ذكر الشّاعر حزينًا كأنّ الملك لم يعن أكثر من واحد، لكنه كثير الخير والجود والمساعدة للآخرين.

والقصيدة محسّنة بالبدعيات كالطّباق: وهو الجمع بين المتضادين (أكنبي ٢٠٠٥، ص: ١٠٦) وقد يكون كطابقة بلفظين من نوع واحد سواء أكانا اسمين نحو: (وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود) (الكهف: الآية ١٨) أم فعلين نحو: (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء...) (المراغي ٢٠٠٩م، ص: ٢٦٩). وقال البرديّ:

ملك يسرّ حضوره وشفأؤه **** وكما يسوء غيابه وعناؤه

وقد ظهرت المطابقة بلفظين فعلين، هما: يسرّ ويسوء، كما ظهرت أيضًا في اسمين، هما: حضوره وغيابه، وقد بان في كلّ من فعلين واسمين التّضاد. "يسرّ ويسوء" كما ظهر فيه "حضوره وغيابه"، فالشّاعر ذكر أنّ الملك حضوره يكون سرورًا وفرحة لأهل الوطن وغيابه حين ترك البلاد للعلاج سوءً وعناءً لهم.

الكلمات المعجميّة:

"المعجميّة فرع من فروع علم اللغة، يقوم بدراسة وتحديد مفردات أيّ لغة، ودراسة معناها، ودلالاتها المعجميّة بوجه خاصّ، وتصنيف هذه الألفاظ؛ استعدادًا لعمل المعجم، فالمعجميّة

علم نظري يدرس المعنى المعجمي وما يتصل به من قضايا دلالة" -www.alukah.net.literature-language : 20-11-2020

يدرس الباحث في القصيدة كلمتين الآتيتين: السيامي - ليفرش الأولى: السيامي، ويقال: التّوأم السّيامي (ويقال: توأمان سياميّان (توأمان ملتصقان).

سبب تسمية "سيامي" على التّوأم المتلاصقين - يعود إطلاق مصطلح سيامي على التّوأم المتلاصقين إلى توأمين متلاصقين ولدا في عام ١٨١١ في تايلاند، التي كانت تعرف فيما مضى باسم سيام، ومن ذلك المكان أتى مصطلح التّوأم السّيامي بعد أن ازداد شهرتهما في العالم، بسبب عملهما في العروض المسرحيّة فأطلق عليهما اسم التّوأم السّيامي. <https://www.almsal.com/post/637201>, 21-11-2020 وهذه الكلمة، التّوأم السّيامي: هو مصطلح يستخدم كمترادف لمصطلح التّوائم المتلصقة، وهي عبارة عن حالة طبيّة تحدث عندما يولد توأم لم ينفصلا تمامًا عن بعضها البعض، بسبب عدم اكتمال تقسيم البويضة المخصبة، ويتم تصنيف التّوائم المتلصقة على حسب موقع الالتصاق. (المرجع نفسه)

واستخدام الشّاعر لهذه الكلمة في هذا الموضع المناسب إشارة إلى ثقافته العميقة واهتمام الملك بأحوال الآخرين في المملكة العربيّة السّعوديّة خاصّة وخارجها عامّة، إذ فتح باب المساعدة في أمر السّيامي لجميع المحتاجين إلى عملية الجراحية في داخل المملكة وخارجها. ونشعر أنّ الملك تمسّك بكتاب الله تعالى إذ يقول: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾ (سورة آل عمران: الآية ١١٠) يعني خير النّاس للنّاس، وأنّهم خير الأمم وأنفع النّاس للنّاس، (ابن كثير ٢٠١٠م، ص: ٥٨٤).

الموسيقى الشّعريّة:

بين الشّعر والموسيقى علاقة قرابة منذ القديم لا تنمحي، فقد ارتبط الشّعر عند العرب في بحر العصور الغابرة بالغناء، حتّى غدا "الغناء ميزان الشّعر"، فالموسيقى في الشّعر نوعان: الخارجيّة والداخلية.

أ- الموسيقى الخارجيّة وهي الوزن والقافية، فالقصيدة من بحر الكامل، وقيل:

كامل الأمان فلا عدو يخيفنا * أبدًا ولا أحزاننا تتجدّد



التقطيع:

كَمَلَلْ أَمَّا	نَفَلَا عَدُو	وَيَخِيفُنَا	أَبْدَنَ وَلَا	أَحْزَانُنَا	تَتَجَدَّدُو
٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١
متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن

التحليل والاستنتاج

تأمل الباحث البيت السابق ولاحظ ما يلي:

أ- أنه مبدوء بكلمة "كمل" مما ينبهك على أنه منظوم على بحر الكامل.

ب- أنه مقطّع على تفاعيل هذا البحر الواقعة تحته، وهذا وزنه في دائرته:

متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن
٥١١٥١١	٥١١٥١١	٥١١٥١١	٥١١٥١١	٥١١٥١١	٥١١٥١١
١	١	١	١	١	١

(العاكوب ١٩٩٧، ص: ٩٢)

ويرى الباحث أنّ إبراز ما في القصيدة من الزخافات والعلل أمر ضروري، وذكر ما يعتريها من الزخافات والعلل منها:

وطن السّلام مرحب بمليكه * مستبشراً بقدومه أرجاؤه

ملك يسرّ حضوره وشفأؤه * وكما يسوء غيابه وعناؤه

وطن سسلا	ممرحبن	بمليكهي	مستبشرن	بقدومهي	أرجاؤهو
٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١
متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن

ملكن يسر	رحضورهو	وشفا وّهو	وكما يسو	ءغيابهو	وعنا وّهو
٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١	٥١١٥١١١
متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن	متفاعِلن

فالبيت الأوّل عروضه صحيحة وضربه تام صحيح إلّا أنّ حشوه في العجز كان مضمراً، والإضمار في "متفاعلن" بتسكين التاء فيها فتعدو "متفاعلن" (العاكوب ١٩٩٧، ص: ٩٢)، والبيت الثاني عروضه تامّة صحيحة وضربه تام صحيح.

القافية:

هي في اللغة مؤخر العنق وآخر كلّ شيء. (شعبان وآخرون ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص: ٧٥٢) ويفهم من جملة أقوال العروضيين في تعريفها أنّها اسم لمجموعة من الأحرف والحركات يلتزمها الشّاعر في نهايات أبيات قصيدته، وسميت مجموعة الأحرف والحركات هذه قافية؛ لأنّ الشّاعر يقفون؛ أي يتّبعها فتكون قافية بمعنى مقفوة، كما قالوا: عيشة راضية بمعنى مرضية؛ أو لأنّها تقفو ما قبلها، أي تجئ في آخره، فهي اسم فاعل. (المرجع نفسه، ص: ١٧٩) وفي تحديد القافية قولان:

أ- القول الأوّل: الكلمة الأخيرة من البيت على زعم "الأخفش" كلفظة (موعد) في قول زهير:-

نزود إلى يوم الممات فإنّه * ولو كرهته النفس آخر موعد

ب- القول الثاني: هي من آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرّك الذي قبله وعليه تكون القافية.

١- إما كلمة - كلفظة (موعد) في بيت زهير السابق فإنّه آخر ساكنها في البيت "الباء" في (موعدي) وأقرب ساكن يليه المتحرّك "الواو" يسبقها الميم.

٢- أو أكثر من كلمة - مثل (لم تنم) في قول الشّاعر:

لكلّ ما يؤذي وإن قلّ ألم * ما أطول الليل على من لم ينم

٣- أو بعض كلمة - مثل (لا) من (زلالا) في قول بعضهم:

ومن يك ذا فم مرّ مريض * يجد مرّاً به الماء الزّلالا

(الهاشمي غير مؤرّخ: ص ١١٢)

يُرى أنّ الميل إلى الكلمة الأخيرة في القصيدة أفضل له كما ذكر الأخفش، والشّاعر البرديّ يقول في البيت الأوّل من القصيدة

حمداً لربّ العرش جلّ ثناؤه * حمداً له وتقّدت أسماؤه

والرّوي: هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، فتنسب إليه فيقال قصيدة لامية أو ميمية أو نونية إن كان حرفها الأخير لامًا - أو ميمًا - أو نونًا، ولا يكون هذا الحرف مدّ ولا هاء. والباحث يرى أنّ الرّوي في هذه القصيدة همزة كما أنّ العروضيين لا ينسب القصيدة إلى هاء بل حرف قبله كما في الأمثلة الآتية:

وبيضاء لا تنحاش منّا وأمّها * إذا ما رأتنا زيل منّا زويلها

اللام رويّ، والهاء وصل. ففي قصيدة الشاعر البرديّ همزة قبل الهاء، ومنها:

بشارك يا شعب السّعودي الوفي * بقدم من ملأ القلوب ولاؤه

ولما أشار إليه الباحث جاز انتساب القصيدة إلى الهمزة فنقول القصيدة الهمزيّة في تهنئة ملك المملكة العربيّة السّعوديّة.

الخاتمة:

استطعنا في هذه الورقة إبداء شاعرية داود عبد الباقي محمّد البرديّ ومدى حسن تنسيق قصيدته في تهنئته للعاهل السّعوديّ وخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله عبد العزيز في عودته إلى أرض الوطن بعد رحلة العلاج، وحاولنا من خلال إظهار قيمة القصيدة ودرسناها دراسة فنيّة بإبراز الألفاظ والمعاني والعاطفة والخيال والظواهر البلاغيّة والكلمات المعجميّة والموسيقى الشّعريّة.

المراجع:

- ١- أربي، عبد الواحد جمعة (١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م) معايير النّقد الأدبي والشيخ آدم عبد الله الإلوريّ، ط: ١، المطبعة غير مذكورة.
- ٢- أكنبي، عثمان عبد السلام (٢٠٠٥م ١٤٢٦هـ) دراسات علوم البلاغة، ط: ١، المطبعة: مركز المضيف للكمبيوتر والانتاجات الطّباعة، إلورن.
- ٣- البرديّ، داود عبد الباقي محمّد (١٤٣٩هـ ٢٠١٧م) ديوان البرديّ، ط: ١، المطبعة غير مذكورة.

- ٤- الثّقافيّ، الدّكتور عثمان عبد السّلام محمّد، (٢٠٠٨م) تاريخ الأدب العربيّ في مدينة إلورن من العصر الإسلاميّ إلى عصر ما بعد الاستقلال ط:٢، من منشورات شركة العرب الدّولية للطّبع والنّشر شارع عابدين - القاهرة - مصر
- ٥- الجازم، علي مصطفى أمين (غير مؤرخ) البلاغة الواضحة الطّبعة والمطبوعة غير المذكورين.
- ٦- الخزاعلة، أحمد محمّد خالد (١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م) شعر التّهاني في العصر العبّاسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع الهجري، المطبعة غير مذكورة
- ٧- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل (١٤٣١هـ ٢٠١٠م) ط:٢، م: دار الفجر للثّراث - القاهرة.
- ٨- شعبان وآخرون (١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م) المعجم الوسيط، ط: ٤، مكتبة الشّروق الدّولية ٩ شارع السّعادة، أبراج عثمان، روكسى - القاهرة.
- ٩- العاكوب، الدّكتور عيسى علي (١٩٩٧م) موسيقا الشّعر العربيّ، ط:١، المطبعة: دار الفكر، دمشق، سورية
- ١٠- الهاشميّ، السيّد أحمد (غير مؤرخ) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب. مطبعة: مكتبة الله اللطيف الإسلاميّة، إبادن.



الحركة الشعرية وبعض رموزها في مدينة أيدي ١٩٧٠م إلى ٢٠١٠م

الدكتور أديوجو قاسم عبد الكريم

Department of Arabic and Islamic studies, Unilesa

gasim-adepoju@unilesa.edu.ng

07064733059

ملخص:

يتضح جلياً من خلال ما تناوله هذا المقال بالدراسة، أنّ منطقة أيدي تعدّ من المدن الإسلامية في بلاد يوربا، وهذا من حيث الاتجاه والثقافة والسكان، إذ الشاعر الأيديوي باللغة العربية يُعبّر عمّا يختلج في وجدانه بأسلوب عربيّ مبين، مستمداً رصيده الفكري من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وقد جمع هذا المقال بين دفتيه عدداً من النصوص الشعرية المنتجة في مدينة أيدي، ثمّ قام بدراستها من حيث المعاني والأساليب والصّور البلاغية، واستخدم الكاتب المنهج الوصفي والتاريخي في دراسة النصوص.

ABSTRACT

It is clearly evident from what this article has examined, that the city of Ede is regarded as one of the Islamic cities in Yoruba land in terms of orientation, culture and population. The Ede poet, writing in the Arabic language, expresses what stirs within his inner self in clear and eloquent Arabic, drawing his intellectual inspiration from the Noble Qur'an and the Prophetic Sunnah. The article brings together a number of poetic texts belonging to the city of Ede and analyzes them in terms of meaning, styles and rhetorical imagery. The author adopts the descriptive and historical approaches in the study of these texts.

مقدمة:

الشعر، كما هو معروف، قسمٌ هامٌّ لا يُستهان به في أدب كلّ أمة، والأدب، كما يُقال ابن بيئته، وصدىٌ لمجتمعٍ يُعبّر عنه الأديب. والشعر العربي في مدينة أيدي في مستهلّ الطريق لالتحاق بالركب، وفي محاولة الانضمام بمصاف المدن التي تقول الشعر العربي بمعناه الحقيقي، إذ المدينة التي هي محور دراستنا كسائر بلاد العجم التي تختلف تماماً عن بلاد العرب في قوّة التّضجّع العلمي وبخصوص قواعد اللغة ومحفوظات الشعر، ومن المسلّم به جدلاً أنّ التّنتاج

الأدبي غاية يستحيل إتيانها عن فراغ، بل يتطلب النضوج العلمي والعكوف التدوّقي الطّويل، وقد تكون هذه الغاية بحاجة إلى أكثر جهدٍ من الذي شَبَّ على لبان الأعجميّة وارتضعها حتّى بلغ الأشدّ من عمره.

وبغية هذه الورقة الملخّصة إلقاء نظرة عامة للشّعر العربي في مدينة أيدي وبيان وظيفته في المجتمع الأيدوي إضافة إلى نظرة عابرة وصفيّة لهذا الشّعر بالمدينة.

مدينة أيدي وثقافتها الإسلامية والعربيّة

قرر مؤرخو نيجيريا منذ أمد بعيد أن أكثر بلادها الحاضرة قامت مرتين أو ثلاث مرات على أنقاض سابقتها المدرسة (الإلوري، ١٩٦٥، ص ٤١)، وطبيعة واقع أيدي الحاضرة تؤرّر ما ذهبوا إليه، غير أنّ هذا المبحث بريء كلّ البراءة من أساطير أيدي المدرسة، إذ الصّفحات التاريخية لمدينة أيدي مليئة بما تشدّد بها بسطاء المدينة من خرافات وأقاويل تفوق التصور. تعني الثقافة "التمكّن من العلوم والفنون والآداب" (لويس معلوف اليسوعي، ١٩٧٣، ص ٧١)، وفي الاصطلاح الحديث عبارة عن نضوج الفكر في الشؤون كلّها؛ الدّينية والآدابية والاجتماعية ونحو ذلك" (الإلوري، ١٩٦٥، ص ١٠٠).

إنّ العامل القويّ وراء انتشار اللغة العربية هو الإسلام، والإسلام بطبيعته عقائد وأعمال، وبالتالي يؤدّي كلاهما على الوجه الصّحيح باللغة العربية، الأمر الذي جعل الإمام بها أمرا ضروريّا على كل مسلم، فلم تعد العربية لغة إقليمية محصورة، وإنما هي لغة عالمية بفضل الله الذي أنزل بها القرآن الكريم الذي يؤمن به ويقدّسه كل مسلم حيثما كان.

وبما أنّ مدينة أيدي تحسب في عداد بلاد يوربا، يتحتمّ صعوبة تحديد تاريخ دخول الثقافة الإسلامية والعربية إليها للغموض الذي يعتري تاريخ دخول الإسلام واللغة العربيّة إلى بلاد يوربا ويمكن إرجاع وجود الثقافة العربيّة والإسلاميّة في المدينة إلى أصول ثلاثة استمدّ ساكنو المدينة من كلّ منها قدرا واضحا وهي على النّحو التّالي:

١- **الأصل الإسلامي:** تعتبر مدينة أيدي إحدى المدن اليوروبويّة التي عرفت الإسلام مبكرا، فحاول مسلمو المدينة تطهير دينهم الجديد من الخرافات المتعلقة به من آثار الوثنية قدر الفهم، ولكن الغريب الذي يتجلّى للمتوقف على الحقائق والوثائق المدونة حول الإسلام في تلك المدينة، هو أنه يجد نفسه مندهشا إزاء غموض كثير، فأساطير وأقاويل متنوعة، بعضها

هادفة والبعض منها مقصودة، ولا نشكّ في كون ادّعاء الأسرة الإسلام إلى نفسها مرجع تلك الأساطير، وذلك حين يُحاول أسرة ما إرجاع فضل إسلام المدينة برمّتها إلى أسرته فتعارضها الأخرى باستحالة الأمر، فتقع الأسر والعيائل في تنافس كبير.

وكل يدّعي وصلاً بليلي * وليلى لا تقرر لهم بذاك

إذا اشتبكت دموع في جفون * تبين من بكى ممن تباكى

ولا غرو في ذلك، إذ هو شأن تاريخ كلّ بلد في المبدأ يشوبه الغثّ والسّمين، فيختلط الحابل بالنابل، ومن ثمّ يؤدي إلى وقوع القراء في حيصّ يبصّ، وليس هنا محلّ سرد تلك الأساطير، (Adeoye, 1965). وحسبنا أنّنا تغاضينا الطّرف عن كلّ حقيقة أو وثيقة تُوحي الكذب والخرافة، فوقع اختيارنا على أقرب هذه الحقائق إلى الصّواب. دخل الإسلام مدينة أيدي قبل سقوط امبراطوريّة أويو القديمة في عهد الملك الثّاني لمدينة أيدي الحديثة Timi Bamigbaye 1816-1841 حينما نشب الحرب أوزارها بين مدينتي أيدي وإبادن، ولقد تفتّظ ملك أيدي - مع قوة عضده المشهورة في تاريخ ملوك يوربا - إلى أن يتعاون مع إبراهيم Owanlarogo من مدينة نوّفي، لما بلغه عن هجماته القاسية وعن بطشه الإسلاميّ الشديد دون أية محاربة صراعية ومباشرة سيفية، والحاصل أن الله كلّل مساعيه بالنجاح والتوفيق، وبهذا وجد إبراهيم الفرصة سانحة لممارسة العملية التعليمية والدعوية.

ومع ذلك لم يزل أمر الإسلام غريباً في المدينة، حتى قيّض الله له ملكاً اسمه حبيب الله أولاغنجو (Olagunju) نبش الإسلام عن سترته الحالكة وعن رقدته الطويلة، وذلك عن طريق إحضار شريك له - أيام الدراسة في مدينة بيّدا - إلى المدينة اسمه نوح بن حسين المشهور أخيراً بأديكليكن (Adekilekun) أحضره بعد توليته منصب الملك، فولاه إماماً لجامع المدينة وفاء لصداقة مضت عليها فترة من الزمن، وعرفانا لجميله، ثمّ توجّج ذاك العرفان بتزويجه ابنته الحسناء (Adekilekun, 1983).

نلحّص في السّطور التّالية جهود هذا الملك في إرساخ قدم الثقافة العربية في المدينة وما جاورها:

أ- بنى أول جامع في المدينة قبل توليته للملك لكن الجامع انهار لنفاوته من المدينة.

ب- زيارته لملك إيوو (Iwo) وقتئذ لمويي (Lamuye) وذلك بعد توليته منصب الملك لغرض الإرشاد والوعظ، وبفضل الله اعتنق الملك الإسلام، وشاوره ببناء الجامع الأول في مدينة Iwo، ولكن الجامع هدم أخيراً لسبب الطريق المشيد عليه.

ج- يعتبر حبيب الله أولاغنجو (Olagunju) أول ملك حكم بالشريعة الإسلامية في مدينته قبل سائر مدن بلاد يوربا جمعاء بدليل كون أكثر الملوك زمنئذ كافرين، وتطبيقه للحدود الشرعية أدى إلى تأمر المشركين وتكالبهم عليه لإخراجه من المدينة، وفعلاً حققوا هدفهم بإخراجه ولم يعد إلى المدينة حتى وافته المنية عام ١٩٠٠م أو ١٩٠٢م على خلاف بين المؤرخين (أكنديلي، ١٩٨٨، ص ٣١-٣٦).

٢- **الأصل التعليمي:** يأتي بعد الأصل الإسلامي ينبوع ثان أقل منه شأنًا بطبيعة الحال، ولكنّه ذو أثر كبير في بناء ثقافتنا الإسلامية والعربية في المدينة، إذ المعروف أنّ الإسلام التزم العربية كلّ الالتزام، فكما كان للعربية تاريخ متصل بالإسلام فكذلك كان للإسلام جذور عميقة في العربية، ولعلّ ذلك سرّ حتمية الإمام بها كي يساعد المسلم على فهم الإسلام فهما لا تشويه فيه، يقول الإلوري: "هي لغة القرآن المقدسة لدى المسلمين جميعاً في أنحاء العالم، فلا يكاد الإسلام يدخل في أمة حتى يسارعوا إلى درس القرآن والفقه والحديث وبالتالي ينافسون إلى درس العربية وقواعدها ليتم لهم معاني القرآن والحديث اللذين هما عماد الدين الإسلامي" (الإلوري، ص ١٢٦).

والحاصل أن تعلّم القدر اليسير من اللغة العربية أصبح لزاماً على المسلم الأيديوي من أجل أداء شعائره الدينية على نمط خاص، ولا شك أن الغرض الأساسي الدافع المسلم الأيديوي إلى تعلم اللغة العربية هو الغرض الديني، إذ امتزج العربية بالدين الإسلامي امتزاج الروح بالجسد، أضف إلى ذلك كون العربية لغة القرآن الكريم والحديث النبوي، بالإضافة إلى أغراض ثانوية سوف يقتضي المقام تفصيل الكلام حولها إن شاء الله في حينها.

٣- **الأصل التثقيفي:** يلي ينبوع التعليم أصل ثالث أقل من الثاني شأنًا، غير أن باعه ملموس بشكل كبير في إرساخ قدم ثقافة العربية في مدينة أيدي، فلقد حاول عدد قليل من الأيديويين إشباع رغبتهم في اللغة العربية لكونها لغة حية ذات ثقافة خالدة عريقة في التاريخ، وبالتالي معرفتها نافعة ومفيدة في المجتمع، فالعلاقات الشائبة -مثلاً- التي تمارسها نيجيريا مع معظم

البلدان العربية المجاورة تقتضي أن يتقن النيجيريون - بما فيهم الأيديون - اللغة العربية إتقاناً لا تشوبه شائبة ولا كدر، الأمر الذي يؤهلهم إلى التوظيف ومن ثم يتيح لهم فرص العمل في المؤسسات الحكومية كالوزارات الخارجية وإلقاء المحاضرات في الجامعات وغيرها.

الشعر العربي ووظيفته في المجتمع الأيديوي:

كان الشعر العربي قبل الإسلام ديوان العرب، وعلمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه، وكانوا يقيمون الأفراح إذا برز من أبنائهم شاعر مبدع. فالشعر يرفع من شأن القبيلة الجاهلية كما يحظّ كذلك من قيمة القبيلة الأخرى. ولقد تطوّر الشعر العربي حسب تطوّر الشعوب العربية والإسلامية، وعلى نهج هذا التطوّر سار متعاطو الشعر العربيّ في أفريقيا عموماً وفي نيجيريا خصوصاً. وكان لهذا الشعر دور بارز في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والأدبية. وأما وظيفة الشعر العربي في المجتمع الأيديوي في نقى وظائف المذاهب الأدبية الحديثة وفي اتّجاه معاكس لغايات كلّ من الاتباعية والإبداعية والواقعية والطبيعية وغيرها من المذاهب اللادينية، فوظيفة الشعر بمدينة أيدي وظيفة روحية تعليمية تربوية إصلاحية وأخلاقية، وفي الحين نفسه يقوم الشعر في المجتمع الأيديوي بوظيفة التسلية والإمتاع. وخلاصة القول، إنّ الشعر العربي في مجتمع أيدي يقوم بدور تهذيب الأخلاق والدعوة إلى الله وقد قال ستالين عن الأدباء والشعراء: "إنهم مهندسو البشرية" (الباشا، ١٩٩٨، ص ١٠٤)

أعلام الشعر العربي بمدينة أيدي:

يحسب الشعر المتحلي بالجمال والروعة في عداد فنون القول، والفن القولي الخالي من القيمة الأدبية خارج عن نطاق دراستنا هذه، وبما أن الفن القولي الشعري بحاجة إلى موهبة أصيلة، وثقافة رفيعة، وتفكير حصيف، وحس مرهف، وخيال مبدع، ولغة سليمة، وعبرة رشيقة، تحيّرنا أمام شعر مدينة أيدي نفس تحيّرنا تجاه شعرائها، إذ وجدنا أنفسنا إزاء مفترق الطرق لا ندري أين نتجه. هل ننتهج منهج المدارس ونستقصي ما فيها من أدباء؟ أم نسلّك مسلك المساجد ونحصي ما فيها من قارّضين؟ أم نسير على اختيار شعراء الأسر والعيائل؟ وأخيراً فضلنا الاختيار الأخير لقلة جودة أشعار المدينة ولأجل ضالة مستوى معظمها، وبالتأكيد فإنّ الذين وقع اختيارنا على أشعارهم لمن عرّفهم كثرة تعاطي الشعر من أين تؤكل الكتف،

الأمر الذي جعل بعضهم في مصاف منافسي أبناء العرب في الإبداع الشعري من أبناء العجم.

تجدر الإشارة إلى أننا اكتفينا بأشعار شخص واحد من كل ثلاث أسر تم اختيارنا على أشعاهم علماً بوجود كوكبة من الشعراء في الأسر نفسها.

١- * الشاعر: هو الدكتور داؤد أحمد (أديكيلين)، ولد بمدينة أيدي عام ١٩٤٢م في أسرة علم ودين (أديكيلين)، تولى جدّه الرابع نوح بن حسين إمامة جامع أيدي الأكبر بطلب الملك حبيب الله أولاغنجو (Olagunju) قبل عام ١٨٦٠م، أخذ مبادئ علومه الإسلامية من عمّه جمعة عبد القادر أديكيلين بعد تخرّجه من المدرسة الابتدائية الحكومية مدرسة تاج الدين ١٩٥٧م، ولقد انخرط في سلك التدريس بالمدارس الابتدائية منذ عام ١٩٦٠-١٩٧٨م قبل أن يلتحق بجامعة إبادن حيث نال الإجازة العالية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية عام ١٩٨٠م، فلما جيسّير عام ١٩٨٣م، والدكتوراه عام ١٩٩١م. عمل الدكتور داؤد أديكيلين محاضراً في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة إبادن حيث أصبح رئيس القسم لعامين، ولم يزل خطيب المسجد الجامعي وإمامه حتى وافته المنية يوم الأربعاء في شهر نوفمبر عام ٢٠٠٦م. ألّف المترجم له كتيّبات عن الطريقة التيجانية باللغة الإنجليزية والمحليّة، وله كتبٌ مدرسيّة باللّغة الإنجليزية والمحليّة في الدّراسات الإسلاميّة، كما كانت له كُتب مترجمة من العربية إلى الإنجليزية أو المحليّة مثل "الموارث في الشريعة الإسلامية" للصابوني و"مختصر الأخضر" لعبد الرحمن بن مُحمّد الأخضر، وله كتاب أسماء بفوات الفواكه اقتفى فيه آثار "الفواكه الساقطة" لمؤلفه آدم عبد الله الألوري في جمع المقتطفات الأدبية المشهورة لدى رجال ونساء هذه الديار، أضف إلى ذلك ما له من قصائد متنوّعة في شتى الأغراض، وله قدم راسخ في الطريقة التّجانية، التحق بالرفيق الأعلى عام ٢٠٠٦م ودفن في مسقط رأسه تغمدّه الله برحمته. (أديوجو، ٢٠١٤، ص: ٦١-٦٢).

٢- الأستاذ نور الدين يحيى (بوكيكي)، ولد بمدينة أيدي عام ١٩٥٦م في أسرة (بوكيكي) أخذ مبادئ علومه من والده ثم من الشيخ أدنفي في إلي أوي Ile Oye، قبل أن يلتحق بمدرسة إلي إمالي Ilemanle عام ١٩٦٥م، ثم مدرسة تاج الدين الابتدائية حيث حصل على الشهادة الابتدائية الحكومية عام ١٩٧٣م، ومن ثم واصل سيره قدماً نحو إلورن بغية

الالتحاق بمدرسة دار العلوم لجهة العلماء والأئمة إلورن حيث تخرج منها حاصلًا على الشهادة الإعدادية عام ١٩٧٨م، ثم التحق بمركز الأم بأغيغي حيث حصل على الشهادة التوجيهية عام ١٩٨١م.

درّس الأستاذ نور الدين في مدارس عربية تابعة لأشخاص معينة منها مدرسة جمعية الأحمديّة Sabongeri "كنو" حوالي ١٩٨١م، المعهد العربي النيجيري Elekuro "إبادن" حوالي ١٩٨٢م، مدرسة العربية السنوسية Odeomu حوالي ١٩٨٣م ثم مدرسة دار العلوم لجهة العلماء والأئمة إلورن من 1986- 1991 كما كان الأستاذ إماما لجوامع شتى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: جامع جمعية الأحمديّة موشن Mushin Odeolowo ١٩٨٣م، جامع Ijo Saga لاغوس ١٩٨٤م، ثم جامع Lafenwa أيكوتا، ولما ألقى عصا ترحاله التعليمي والدعوي رجع إلى مسقط رأسه فأسس مدرسته "مدرسة دار العلوم إيدي" وهو الآن عضو فعال من أعضاء الائمة لجامع مدينة إيدي (المترجم له، ٢٠١٣).

٣- *الشاعر: الدكتور المحامي رضوان الله إبراهيم (أولانججو)، ولد بمدينة أيدي عام ١٩٧٢م في أسرة ملك وعلم ودين (أولانججو)، أخذ مبادئ علومه الإسلامية من ابن عمه يوسف المقدم أولندي Olaide ثم من الشيخ بشير الإمام الحالي لجامع الأكبر بمدينة إلورن، تكفل أخو المحامي رضوان الله الدكتور حامد إبراهيم أولانججو بعد عودته من القاهرة منذ ١٩٧٨م بتربيته، حيث خطط له مراحل حياته التعليمية والتربوية والثقافية والأكاديمية تخطيطًا منظمًا، وإليه يرجع فضل نجابة المحامي لما تصدى له من القيام بالمسؤولية على الوجه الأكمل، ولقد شاء المولى أن يتثقف المحامي بثقافة مزدوجة حيث فاز بشهادتين ثانويتين -عربيتها وغربيتها- بتقديرين متفوقين، أضف إلى ذلك ثقافته القانونية الوضعية والشرعية فله في تلك خبرة خمس سنوات دراسية في كلية الشريعة والقانون بجامعة عبد الله بايرو "كنو"، إضافة إلى سنة دراسية بمدرسة القانون أبوجا، الأمر الذي أدى به إلى أن يشتغل بعملية المحاماة في إحدى المكاتب القانونية بمدينة إلورن، إضافة إلى مزاولته مهنة المحاضرة في قسم الشريعة الإسلامية كلية القانون بجامعة إلورن، تبوأ المحامي مناصب شتى أيام طلبه للعلم مثل النقابة العامة في دار العلوم لجهة العلماء والأئمة إلورن، ورئاسة لجنة المسرحية القانونية في كليته بجامعة عبد الله بايرو

"كنو"، ورئاسة لجنة التحرير في مدرسة القانون بأبوجا، ورئاسة جمعية المسلمين القائمين بمشروعية خدمة الوطن في ولاية سوكونو عام ١٩٩٩م.

للمحامي قصائد في شتى الأغراض أغلبها تتمثل في قصائد المناسبات وقد قال يسيرا في الموضوعات المعاصرة مثل ما قال في العولمة، وصحوته ضد الحرب العراقية وغيرها.

(أديوجو، ٢٠١٤، ص: ٦٤-٦٥)

أغراض الشعر العربي البارزة بمدينة أيدي:

بما أننا حديث العهد بشعر مدينة أيدي -وبخصوص الأشعار العربيّة- تحتم علينا أن نقصّ من الجزم بالقول إنّنا أحطنا بكل الأغراض التي تناولوه، ولعلّ أبرز الأغراض الشعريّة عندهم - حسب استقراءنا المتواضع للقصائد المحصولة عليها- هي على النحو التالي: المدح، والتهنئة، والرتاء، والفخر، والوصف، والشعر الاجتماعي، والشعر السياسي، وشعر التضرّع والابتهاال أو الشكوى والتوسل، والوعظ والإرشاد، والزهد والمدائح النبوية، إضافة إلى بعض موضوعات معاصرة عند بعضهم مثل العولمة ورتاء المحروق والصحوّة ضد الحرب العراقيّة وغيرها، وفيما يلي أمثلة لبعض الأغراض الشعرية البارزة بالمدينة:

أ- المدح: يصدر غرض المدح غالبا من شعراء المدينة طلبا من الممدوح أو إعجابا له، لا بغية التّكسب كما هو الحال عند شعراء العرب في العصور الغابرة، وبطبيعة الحال شغل هذا الغرض مساحة كبيرة في شعر المدينة، فقلّما نعثر على قصيدة من قصائدهم إلا وللمدح فيه قسط كبير، ولعلّ ذلك راجع إلى كونهم شعراء المناسبات شأن سواد الأعظم من شعراء نيجيريا، لأنّهم يتعاطون المدح طلبا - للترحيب أو شيء من هذا القبيل - وليس حبّا في قول المدح إلا القليل النّادر، وبالتأكيد هذا يقلّل من شأن الشعر يقول الدكتور داؤد أحمد أديكيلين:

طوبى لقوم وفدوا إلينا * من كانوا من ميدوغري كستينا

طوبى لهم قوما كراما كانوا * فاختارهم خالقهم سبحانه

يجاهدون في سبيل الله * صاروا جميعا كلهم إخوانا

ب- التهنئة: نكاد الجزم - إن لم يخننا التعبير - بأن معظم أشعار نيجيريا يدفعها دافع التهنئة، وذلك لكون أغلب شعر يلقي في المناسبات ينصب موضوعه على تهنئة المحتفل بما حاز من

الفضائل، يقول المحامي رضوان الله مهنتا الأستاذ الدكتور أولويدي في حفلة توليته منصب رئاسة جامعة إلورن:

حق لمن نال الوطر * تشريفه بين الزمر
لاسيما إن نال ما * يهواه أكياس البشر
المرء مطبوع على * حب المقامات الكبير
يسعى لكي يحظى بها * وعزمه عزم قهر
بشرى رئيس الجامعة * أولويدي عالي السير
شخصية في وصفه * شد بأوساط البشر

ج- الرثاء: من الأغراض التي أكثر شعراء مدينة أيدي القول فيه، وأشد مراثي المدينة - في نظرنا المتواضع - إعجابا وتقديرا، هو ما قاله المرحوم الدكتور داؤد أحمد أديكيلين في رثاء الشيخ آدم عبد الله الألوري، حيث أظهر تفجعه وحسرتة في صدق عاطفي وحزن دفين تجاه موت هذا الشيخ يقول فيه:

ما لهذا الفتى يطول بكاه * ما له لا يزال يفتح فاه
وضع اليد تحت ذقن حزينا * ثم صارت كجمرة مقلته
يمسح الدمع مرة بعد أخرى * يضرب الأرض دائما قدماه
ملا الحزن قلبه ولهذا * تتحرك دأبما شفاته
كان ينوي كتمان ما كان من * همّ وغمّ وما به من أساه
قال دعني أبكي لفقد إمام * حبه قوت روحنا وهواه
وقد تلقيت هاتفا قيل فيه * إن آدم مات وا أسفاه
شيخنا آدم ابن عبد الإله * قد مضى إن ربّه قد دعاه

د- الفخر: قلّ من يفتخر - بصفة عامة - بين الشعراء الأفريقيين بالبيان وبالفصاحة في أشعارهم، وذلك لإسلامية شعرهم، والقرآن المعروف بالدستور الأوّل والأخير للأدب الإسلامي يذمّ الفخر في مواضع كثيرة، فيرى الكثير أنّ الفخر بمعناه الواسع خروج عن المبادئ الدّينية إلا القلة منهم الذين وجدناهم يفتخرون ببرايعهم في ميدان التّضال، ومن الغريب أن

نجد شاعرنا الأيدوي الدكتور المحامي رضوان الله إبراهيم أولاغنجو ينضم إلى تلك الشّردمة القليلة بشعره مفتخرا ببيانه قائلاً:

شعر التّهانئ في الزواج أجيده * للأهل والأصحاب والأخبار
فمــتى تدبّره أخ متزوج * يلق الحقائق فيه في استقرار
حيــنا أملئه بشرة خبرتي * وأصوغه طورا بما هو جار
أضع القضايا فيه وفق حدوثها * دون افتراض عائد بعوار
لا أستطيع تصنعنا في نظمه * إن التصنع آفة الأشعار
شعري بمنة ذي الجلال حياكه * يأتي ويصدر خالصا من عار
متعدد شعري لأن حياكه * يمتاز بالإمداد من أفكار

هـ- الوصف: هذا الغرض من الفراغات التي لم تملأ بعد من قبل شعراء أفريقيا عموما ناهيك من شعراء نيجيريا فمدينة أيدي، فقلّما تجد وصفا حيّا للبيئة النيجيرية، أو ظاهرا للبيئة في الشعر الوصفي النيجيري، أضف إلى ذلك عدم شموليّة ذلك الوصف على عناصر البيئة النيجيرية وطبيعتها، غير ما لمسناه في القصيدة الوصفية للدكتور داؤد أحمد أديكيليكن، والقصيدة بالحقيقة نالت إعجابنا وتقديرنا أكثر فأكثر لتوفر أساسيات الوصف فيها سوف نوردها إن شاء الله في حينها، وهاك الأستاذ نور الدين يحيى بوكيكي يصف مدرسة دار العلوم لجهة العلماء والأئمة بالورن في حفلة مرور ثلاثين عاما من تأسيسها، غير أن ضالة التصوير والخيال كانت طابعا غالبا على ذاك الوصف، وبالتالي لم يكشف الوصف عن شكل وعن حقيقة تلك المدرسة، ولعل ذلك راجع إلى كونه عروضيا قبل أن يكون شاعرا يقول فيه:

فدار العلــــوم هي دارنا * ومذهبها إنهم يقبلون
أرى أصلها ثابتا مسبلا * يجرّر أذيالها الناقدون
علمت إذا كنت من أهلها * كتبت وتقرأ للـحـاكمين
وإن كنت فيها أمنت شكوكا * وصرت فقيها من المبصرين
أرى نورها شاملا يا أخي * بلغت ثلاثين للـعـالمين
وعمرك ما قد مضى عبرة * بما فزت كنت من الشاهدين

و- **الشعر الاجتماعي**: تناول مثقفو شعراء المدينة شيئا من التحليل والتفصيل حول موضوع انحلال أخلاق أفراد المجتمع نتيجة الاتصال بالثقافة الغربية اللادينية، ومن ثمّ حثوا على إصلاحها من خلال نشر الوعي الإسلامي في المجتمع فهناك الدكتور داؤد أديكليكن يشنّ حملة صارمة ضدّ بعض العادات الممقوتة، والأخلاق الشنيعة المخالفة لشريعة الإسلام الغراء، والفاشية في مجتمع اليوربا عموما وفي مجتمع الشاعر خصوصا، ألا وهي إقامة حفلة تأبين للمتوفين من الكبار من خلال ضرب الدفوف، والرقص، وتقاليد الشّركيّة، فيتشخصّ الشاعر بشخصية والده ماتت عن أولاد أغنياء فلم يحسنوا إليها عند ما كانت على قيد الحياة، وبالتالي أهملوها أثناء المرض حتى أصبحت جثة لا حركة لها، ولم يمض نصف ساعة من وفاتها حتى أخذوا بإسراف المال وتبذيره في دفن المسكينة، ومن ثم أقاموا مأدبة كبيرة في اليوم الثامن والأربعين من وفاتها، وفي ذلك يقول متأثرا بصدر بيت حارثة بن بدر الغداني الأموي "لا ألفينك بعد الموت تندبني"

لا ألفينك بعد الموت ——— تندبني * إذ كنت بالجوع قبل الموت تقتلني
ففي الطفولة شحا كنت تأكلني * أكلا وأنت الذي كالماء تشربني
أنفقت كل نفــــيس كي تشرفني * إذ كنت أرجوك أن تسعى لترحمي
قد كنت أدعو إلهي أن يبارك فيـ * لك وكي يعافيك أنت الآن تلعني
علمتك الخير دينا كي تعاملني * باللفظ لكن أراك الآن تهجري
قد كنت أسعى لترقى كي تفرحني * ها أنت بعد علو كنت تؤلمني
قد كنت أرجوك وقت الضعف تنصرتني * فجئت بابك كان الكلب ينبحني
فيــــوم جئتك محتاجا لتسعدني * أعرضت عني كأن لم تك تعرفني
نســــيتني في حياتي كيف تذكرني * بعد الممات أهذا الذكر ينفعني
أراك مســــتهزئا بي حين تذكرني * بعد الممات فهذا الذكر يغضبني
أراك تصــــنع للأقوام مأدبة * بها تبذر تبذيرا لترضيني
فاعــــلم بأنك بالإسراف تؤلمني * وفي الندامة والإتعاب تنزلي

ز- **الشعر السياسي**: امتدادا لما نكب غرب إفريقيا بما فيها نيجيريا التي تقع تحتها مدينة أيدي باستعمار غاشم، فامتص خيراتها وتركها في فقر مدقع مما أدى إلى ظهور الوعي القومي

كرد فعل ضد موجة الاستعمار الظالم، ولما كان الشعر لسان الشعراء لجأ شعراء مدينة أيدي إلى الشعر السياسي فعبروا عن خلجات ضمائر الشعب، ومن الذين انبروا وتصدوا بشعرهم ضد الحكومة النيجيرية الظالمة - التي تعد ولا تفي، وتجوّر ولا تعدل - الدكتور داؤد أحمد أديكيلين والمحامي رضوان الله إبراهيم أولاغنجو. يقول الدكتور داؤد في قصيدته "حكومة صماء":

حكومة لا تعرف العدالة * حكومة لا تعرف الصفاء
حكومة في الأرض كانت تفسد * ولم تخف عاقبة الأشياء
حكومة تعامل الأحرار * فكأنها تعامل الإماء
تفرق البنين والبنات * وتفترق الآباء بالأبناء
فأرضنا الخصبية المعسولة * قد صيرتها جربة جرداء
مستشفيات قطرنا تراها * بلا طبيب وبلا دواء
تدعو عليها أو لها سيّان * لا تعرف اللعن ولا الدعاء
فإنها كمثل كلب ضال * لا تسمع الوعظ ولا النداء

أما الشعر التّضرع والابتهاال أو الشكوى والتّوسل، فالسّود الأعظم من المتعاطين للقصائد بغرب إفريقيا عموماً صوفيون أو متصوفون، وقد جرت العادة على أن ينظّموا شعراً بقصد التّوسل به إلى مولاها، فيتداول ذلك الشعر بين مريديهم إن كانوا من مشايخ الطرق أو بين طلبتهم إن كانوا من المعلمين (غلابنشي، ٢٠٠٨، ص ١٧٤). وقد أشرنا إلى كون أغلب الشعراء المذكورين في المدينة ينتمون إلى إحدى الطرق الصّوفية إما قادرية أو تجانية، فللدكتور داؤد أحمد أديكيلين ديوان بعنوان "القصيدة الدّالية الزّهدية وبيان فضل التعلّق برجال الصّوفية"، وآخر بعنوان "حصول المأمول بمناجاة الرسول لمن قصده بابا للوصول"، كما كان للمحامي رضوان الله إبراهيم أولاغنجو قصيدة في المناجاة، تأثر فيها كثيراً بالشيخ آدم عبد الله الألوري في مناجاته، وبالشيخ داؤد عبد الحميد الفنلا في قصيدته الدعوية "يا رب يسر ولا تعسر" وذاك التأثير متمثل في الشكل والمضمون فكأنه ينخت من صخرهما، والواقف على القصائد المشيرة إليها يجد أنها مشتملة على الزهديات والمدائح النبوية والأدعية الشرعية، ولولا خوف الإطالة لأوردناها هنا.

ملاحظة عامة حول الشعر العربي بمدينة أيدي:

طبيعة شعرهم: تعود شعراء مدينة أيدي أن ينطلقوا من منطق تصوّر الإسلام للكون والإنسان والحياة في شعرهم، فيستخدمون ألفاظا تنطوي على معان تدعو إلى قيم دينية وخلقية وفكرية، ومرجع كل ذلك ثقافتهم الإسلامية ولذلك نجزم بإسلامية شعرهم.

أسلوبهم في قول الشعر: يلمس في أسلوبهم الأسلوب المنطقي، ونعني به الوحدة الموضوعية حيث يقدمون للموضوع تمهيدا ينصّ على أهمية الموضوع، ثم ينتقلون بحسن تخلص إلى صميم الموضوع ثم يختتمون الموضوع بحسن اختتام، أضف إلى ذلك ما تتضمنه تلك القصائد من وعظ وإرشاد وحكم محلية أو عربية.

خاتمة:

- بعد جولات سريعة في بقاع مدينة أيدي وبخصوص في مرابع الأدب وظلاله الوافرة ينتهي بنا المطاف إلى النقاط الآتية:
- يعتبر مدينة أيدي من المدن الإسلامية ببلاد يوربا.
 - يحسب مدينة أيدي في المدن اليوربوية التي اعتنت باللغة العربية.
 - الثقافة العربية والإسلامية بالمدينة في التزايد رغم المعوقات الغربية الحائلة نتيجة الإقبال على تعلّم لغة القرآن الكريم.
 - بلغ شعر مدينة أيدي إلى مرحلة لا بأس بها.
 - لما يزل في المدينة نتاجات أدبية عربية مخطوطة تحتاج إلى الدراسة.
 - استمد أهل مدينة أيدي ثقافتهم العربية من أصول ثلاث هن: الأصل الإسلامي، الأصل التعليمي، والأصل الثقيفي.
 - إنّ شعر هؤلاء الأعلام شعر إسلامي، يستمد غذاءه الفكري من القرآن الكريم والحديث النبوي.

قائمة المراجع والمصادر:

- آدم عبد الله (الألوري) موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة-بيروت، بدون عدد الطبع، ١٩٦٥م.
- آدم عبد الله (الألوري) نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ط ٣، تاريخ النشر غير مذكور.
- أحمد سعيد غلادنشي (الدكتور) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط ٣ ٢٠٠٨م.
- داؤد أحمد أديكليكن (الدكتور) حصول المأمول بمناجاة الرسول لمن قصده بابا للوصول، محل النشر (غير مذكور) ٢٠٠٨م.
- عبد اللطيف أحمد (أديكليكن) آثار الشيخ اللبيب تاج الأدب وكبار تلاميذه شعرا ونثرا، بدون محل النشر، ط ٢ ٢٠٠٦م.
- لويس معلوف اليسوعي، المنجد في اللغة، دار الشرق-بيروت، ط ٢١ ١٩٧٣م.
- Adeoye O. Ede A short history, Ibadan General publication section, Ministry of Education 1965.
- Adekilekun A. Ilu Ede ati bi Islam se rinibe, Ilorin Hammed press Nig Ltd 1983.
- سليمان أكنديلي سعيد، منزلة اللغة العربية في مدينة إيدي نيجيريا ١٩٨٧-١٩٠٠
- بحث لنيل درجة بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغات النيجيرية والإفريقية جامعة أحمد بلو زاريا ١٩٨٨م.
- المقابلة الشخصية الجارية بين الباحث والأستاذ نور الدين بوكيكي في مدرسته "مدرسة دار العلوم إيدي" بتاريخ ٢٠١٣-١٢-١٣ الساعة الرابعة والنصف مساء.



أساليب الخبر في المديح النبوي لحامد محمود إبراهيم الهجري: دراسة بلاغية.

عبد الفتاح أبوبكر

طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن

و

والدكتورة حسنة فنمبلايو أبوبكر حامد

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن

abubakar.fh@unilorin.edu.ng

08035136137

ملخص البحث

هذا الموضوع عبارة عن دراسة فصل من فصول علم البلاغة وهو علم المعاني الذي يشمل الأساليب والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والذكر والحذف والتأكيد وعدمه والقصر وعدمه والفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة، وبه تعرف أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضي الحال، بالإضافة إلى كونه وسيلة بلاغية، تتضح مراميها في سياق الكلام. فهذا البحث يتناول الجملة الاسمية والفعلية والأسلوب الخبري وأغراضه في شعر المديح النبوي لحامد محمود إبراهيم الهجري، لتتعرف على الأساليب الخبرية في شعره. وبه نستطيع التعرف على مطابقة الكلام مقتضي الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له. وانتهج البحث منهجين - المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، فإن الباحث وظف المنهج التاريخي عند سرد نبذة تاريخية عن حياة الشاعر حامد محمود إبراهيم الهجري بينما يستعين بالمنهج الوصفي عند تحليل النصوص المختارة تحليلًا بلاغيًا وإبراز ما فيها من الأساليب الخبرية الواردة في القصيدة.

المقدمة

من الحقيقة المعترف بها أنّ علم المعاني شعبة من شعب علم البلاغة العربية الثلاث، وهي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع. فهذه الورقة عبارة عن دراسة علم المعاني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني في المديح النبوي لحامد محمود إبراهيم الهجري.

المديح النبوي عبارة عن الشعر الذي مدح به رسول الإسلام محمد بن عبد الله، بتعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارته والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعراً والإشادة بغزواته وصفاته والصلاة عليه تقديرًا وتعظيمًا وغالبًا ما يتداخل المديح النبوي مع قصائد التصوف وقصائد المولد النبوي.

وكان العلماء اليهوديون يقرضون شعر المدح ولكنهم لا يمدحون لكسب الأرزاق وجلب العطاء من الممدوح. وإنّما يمدحون لإعجابهم بالممدوح، ولهذا أعظم من يمدحون شيوخهم الذين تلقوا منهم العلم وهكذا يقرضون في مدح الرسول والأولياء.

فهذه المقالة تتناول دراسة الأساليب الخبرية في قصائد المديح النبوي لحامد الهجري لتعرف على الظاهرة البلاغية والأساليب الخبرية في قصائد المديح النبوي للهجري، لأنّ الشاعر اكتسب قصيدته هذه روعةً وجمالاً بأنواع أساليب المعاني، وانتهج الباحث في هذا العمل منهجين لتوثيق الحقائق المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي.

وأما المنهج التاريخي فإن الباحث استخدمه عند سرد نبذة تاريخية عن حياة الشاعر حامد محمود إبراهيم الهجري في جميع مراحل التعليم والتعلمية بينما يستعين بالمنهج الوصفي التحليلي لتحليل النصوص المختارة تحليلًا بلاغيًا.

وإبراز ما فيها من الأساليب الخبرية الواردة في القصيدة، واكتفى البحث بخمسة

مباحث:

- المبحث الأول: ترجمة الشاعر وآثاره الأدبية.

- المبحث الثاني: الجملة الاسمية والفعلية في النماذج المختارة.

- المبحث الثالث: الخبر وأغراضه في النماذج المختارة.

واختتم البحث بالخاتمة والمصادر والمراجع.



المبحث الأول: ترجمة الشاعر وآثاره الأدبية

حامد محمود إبراهيم الهجري:

شهد حامد محمود إبراهيم نور الحياة يوم الجمعة التاسع من شهر مايو سنة ألف وتسعمائه وستة وسبعين الميلادي (١٩٧٦/٥/٩م) بقرية تسمى أَيْعَوْرُو إحدى قرى في ضواحي مدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا بشمال نيجيريا الاتحادية. (إمام، ٢٠١٦م، ص: ١١)

قرأ الهجري القرآن الكريم على يد الشيخ بابا في قريته، وقد أكمل قراءته في نهاية عام ١٩٨٩م. وهو ابن ثلاثة عشر من عمره، ثم رأى والده أنه لا يرضى عنه إلا إذا واصل دراسته العربية على الرغم من أن الهجري تفوق في المدرسة الابتدائية الإنجليزية حتى أصبح أساتذته فيها يشجعون أباه على أن يواصل ابنه بالدراسة الإنجليزية، لكن أباه رفض رفضاً تاماً بحجة أنها للدنيا فقط أما الدراسة الدينية فهي للدنيا والآخرة معا. (إمام، ٢٠١٦م، ص: ١٢).

التحق الشاعر بالمدرسة الابتدائية الحكومية عام ١٩٨١م وهو في ذلك الوقت ابن خمس سنين، وبعد الدراسة الابتدائية أصر أبوه على المواصلة في الدراسات الدينية فذهب به إلى الجدة في مدينة إلورن، فواصل بدراسته الدينية والعربية بمدرسة دار العلوم لجهة العلماء والأئمة، وكان في السنة الثانية الإعدادية حين حدثت حادثة لم تسمح له بإتمام دراسته بهذه المدرسة وأدى به إلى الالتحاق بدار الهجرة للدراسات العربية والإسلامية بمدينة كنو- نيجيريا، حيث حصل على الشهادتين الإعدادية والثانوية ما بين ١٩٩٣م- و١٩٩٨م. (إمام، ٢٠١٦م، ص: ١٢).

وفي عام ١٩٩٩م التحق بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجمهورية تشاد أحد فروع كلية الدعوة الإسلامية بالجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى فتحصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية عام ٢٠٠٣م. (إمام، ٢٠١٦م، ص: ١٢)

وواصل دراسته العليا بكلية الدعوة الإسلامية بالجمهورية العربية العظمى حيث نال شهادة الدبلوم العالي في شعبة اللغة العربية وآدابها عام ٢٠٠٤م.

ثم سجل لمرحلة الماجستير في نفس الكلية وتمّت مناقشة رسالة الماجستير تحت عنوان **الاتجاه الإسلامي في روايات نجيب الكيلاني** في شهر أبريل عام ٢٠٠٧م بدرجة الشرف الأولى ثمّ رجع الشاعر إلى بلاده وخدم الوطن في ولاية غوبي محاضرًا بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية قسم الأديان جامعة ولاية غومي ما بين ٢٠٠٨م-٢٠٠٩م. (الهجري، ٢٠٢٢م، ص: ٧) ثم واصل دراسة الدكتوراه بجامعة التضامن الفرنسية العربية بجمهورية النيجر عام ٢٠١٧م/٢٠١٨م. وتمّت مناقشة أطروحة الدكتوراه بعنوان "النزعة الاجتماعية في القصص العربية النيجيرية: دراسة وصفية تحليلية" صباح يوم الخميس التاسع من شهر يوليو عام ألفين والعشرين الميلادي (٢٠٢٠/٧/٩م).

آثاره العلميّة:

للهجري عدد من المؤلفات المنشورة والمخطوطة

أ- مؤلفاته المنشورة:

- ١- خادم الوطن، رواية فنية في الخدمة الوطنية،
 - ٢- مع المتنبي في عتاب سيف الدولة، عام ٢٠٠٩م.
 - ٣- الموصولات وأسرارها ٢٠٠٧م.
 - ٤- السيد الرئيس، رواية فنية سياسية نيجيرية، سنة ٢٠١٠م.
 - ٥- الحديقة الغناء، "ديوان شعري" ٢٠١٠م.
 - ٦- مأساة الحب، رواية فنية أدبية، ٢٠١٣م.
- (إمام، ٢٠١٦م، ص: ١٩)

المبحث الثاني : الجملة الاسميّة والفعليّة

مما تمسّ الحاجة إلى معرفة الفرق بين الجملة الاسميّة والفعليّة في الاستعمال لدقّة الصُّنع فيه فكثيرًا ما كانت مزلّقة لذوي الفصاحة والبيان، فأخطؤوا في استعمالهما على الوجه الصحيح وبيان ذلك أن الجملة قسمان :

١ - الجملة الاسمية: تفيد بحسب وضعها ثبوت الحكم فقط بلا نظر إلى تجدد ولا استمرار، فإذا قلنا: الأرض متحركة - الشمس ثابتة، استُفيدَ من الجملة الأولى ثبوت الحركة للأرض ومن الثانية الثبات للشمس دون ملاحظة تجدد ذلك ولا حدوثه، (اللاذقي، ٢٠١١م: ٢٦) ولكن قد تحيط بها قرائن أخرى تُستفاد من سياق الكلام كأن يكون في معرض مدح، فتفيد الدوام والاستمرار، كقول الهجري رحمته الله:

فَأَنْتَ نُورٌ وَبَحْرٌ لَيْسَ يَنْضُبُ بَلْ * أَنْتَ الْمُحِيطَاتُ لِلْخَيْرَاتِ فَيَضَانَا

فسياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار في (فأنت نور) لأن نور محمد صلى الله عليه وسلم يهدى به في الظلمات الشرك والشك لأهل السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون، قال جرير: "وأنت لنا نور وغيث وعصمة" (الصابوني، د.ت، ص: ٣٤).

والناس يقولون: فلان نور البلد وشمس العصر وقمره فيجوز أن يقال: محمد نور على جهة المدح.

٢ - فعلية: وتدل بأصل وضعها على التجدد في زمن معين مع الاختصار (اللاذقي، ٢٠١١م، ص: ٢٦) لقول الهجري:

كَفَاكَ رَبُّكَ يَا مُحْتَارُ عُدْوَانًا * مِنَ الْخَنَازِيرِ أَهْلِ الْكُفْرِ حَذَلَانَا

فلا يستفاد من ذلك سوى ثبوت كفاية الله تعالى لمحمد في حياته وبعد رحاله إلى جوار ربه على عدوه في الزمن الماضي. وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجديدي شيئاً فشيئاً بمعونة القرائن إذا كان الفعل مضارعاً كقول الهجري:

تبكي السماء بأمطار الهلاك على * جسمانكم إن عصر الذل قدحانا

(الهجري ٢٠٢٠م، ص: ١)

إذ قرينة المدح تدل على أنّ السماء لا تزال تبكي على هلاك المتمردين الكافرين لرسالة محمد

رحمته الله



تأليف الجمل

المسند والمسند إليه

لكلّ جملة من جمل الخبر والإنشاء ركنان أساسيان لا بدّ منهما في تكوينها وهما: (المُسْنَدُ إِلَيْهِ) و (المُسْنَدُ) (اللاذقي، ٢٠١١م، ص: ٢٩) مثل قول الهجري:

شَلَّتْ يَدَاكَ وَغَلَّتْ كُلُّ مَا مَلَكَتْ * وَقَدْ مَحَا اللَّهُ مَا أُعْطِيتَ سُرْعَانَا

(الهجري، ٢٠٢٠م، ص: ١)

وإذا تأملت هذا البيت تجد كلمة (شَلَّتْ) و(غَلَّتْ) فعلا ماضيا للمؤنث، وهو (المسند) ويسمى المحكوم به أو المخبر به، ويسمى كل من "يداك" و "كلّ ما ملكت" مسندا إليه أو محدثا عنه وهو يسمى أيضا المحكوم عليه أو المخبر عنه (عودة، ٢٠١٠م، ص: ١٦٥) وتسمى النسبة بين المسند إليه والمسند "إسنادا".

كقوله أيضا:

أَحْيَا بِكَ اللَّهُ أَهْلَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً * شَرْقًا وَغَرْبًا وَأَعْجَامًا وَغَرْبَانَا

(الهجري، ٢٠٢٠م، ص: ٢)

وبالتأمل هذا البيت تجد المسند والمسند إليه في جملة (أحيا بك الله)، وفي كلمة (أحيا) وهو الفعل، وكان من مواضع المسند وهنا كلمة (أحيا) هو (المسند) و (الله) هنا وهو فاعل قد أسند إليه الإحياء ولهذا فهو المسند إليه .

ومن مواضع المسند إليه والمسند، المبتدأ والخبر، مثل قول الهجري

فَأَنْتَ نَوْرٌ وَبَحْرٌ لَيْسَ يَنْضُبُ بَل * أَنْتَ الْمُحِيطَاتُ لِلْخَيْرَاتِ فَيَضَانَا،

(الهجري، ٢٠٢٠م، ص: ٢)

في هذا البيت تجد المبتدأ في كلمة (أنت) وهو المسند إليه إذ هو المحكوم عليه والمخبر عنه، وفي كلمة (نور) خبر المبتدأ وهو المسند، والمحكوم به، وتسمى هذه النسبة بين المسند إليه والمسند "إسنادا".

ومن مواضع : المسند والمسند إليه اسم كان وأخواتها وخبر كان وأخواتها مثل قول الهجري:

إِنْ كَانَ رَسْمُ حَبِيبِ الْخَلْقِ فِي خِزْيٍ * فَنَّا، سَيُصْبِحُ ذَاكَ الْقَنْ نَيْرَانَا

(الهجري، ٢٠٢٠م، ص: ١)

وإنَّك إذا تأملت في هذا البيت لوجدت أن كلمة (رسم) اسم كان وهو المسند إليه و كلمة (فنا) خبر كان وهو المسند وهكذا تجد (ذاك الفن).

وهو اسم يصبح وأصبح من أخوات كان ويسمى المسند إليه وكلمة (نيرانا) وهو خبر أصبح ويسمى مسندا.

المبحث الثالث : الخبر وأغراضه

والخبر هو القول الذي يوصف بالصدق إن طابق الواقع ويوصف بالكذب إن خالف (أيمن، ٢٠١١م، ص: ٢٢٩)

وهو قول يراد إفادة السامع فائدة ما، وهو كل ما يحتمل الصدق والكذب لذاته وحصر البلاغيون أغراض الخبر في مقصدين أساسيين حيث قالوا: إن قصد المُخَبِّر بخبره، إمّا إفادة المخاطب أو السامع مضمون بالخبر ونفس الحكم، لقوله: جاء عمر، وزيد ناجح لمن لا يعلم مجيئ عمر ونجاح زيد ويسمى هذا "فائدة الخبر" (فيود، ٢٠١٣م، ص: ٤٤) وفي هذا قال الهجري:

كُلُّ الْمُحِبَّةِ مِنْ دُونِ الْحَبِيبِ سُدى * فَمَنْ أَحَبَّكَ يَبْقَى الدَّهْرَ سُلْطَانًا
هَوَاكَ خَمْرٌ حَلَالٌ كُنْتُ أَكْرَعُهَا * لَيْلًا نَهَارًا كَضَيْفٍ بَاتَ حِيرَانًا
وَلَيْسَ حَيٍّ كَأَمٍّ عِنْدَ مُرْضِعِهَا * إِنْ نَامَ تَتَرَكُهُ لَوْ كَانَ جَوْعَانًا
أَحْبُّ طَهَ وَلَوْ مَا أَلْتَقِيَهُ فَقَدْ * كَلِفْتُ بِالْحُبِّ فِي الْأَعْمَاقِ جَذَلَانًا
إِنْ لَاحَ طَيْفٌ حَبِيبِي فِي الْمَنَامِ بَدَتْ * عَيْنِي بِجُودِ دُمُوعِ الشَّوْقِ سَيْلَانًا

وإذا تأملت هذه الأبيات تجد كلها خبراً قصد الشاعر المخبر بخبره وبشعره إفادة المخاطب السامع مضمون الخبر بمحمد ﷺ وبأملك هذه الأبيات، تجد أخبار الشاعر لا تصف بأنها كاذبة بل هي صادقة لأنّ "الحب" علاقة قلب المحب بالمحبوب، وقيل: المحبة عبارة عن الميل إلى ما يوافق غرض المحبوب، والحب مأخوذ من حبة القلب وهي حبة سوداء في وسط القلب يخرج منها شبه الدخان ومنه تنبعث الحياة لسائر الجوارح والأعضاء، فمتى اشتد ذلك اختلت صحة الإنسان، (الحسني، ٢٠١١م، ص: ٣٠) لذلك قال الهجري :

إِنْ لَاحَ طَيْفٌ حَبِيبِي فِي الْمَنَامِ بَدَتْ * عَيْنِي بِجُودِ دُمُوعِ الشَّوْقِ سَيْلَانًا

وأعلن بحاله سرى بي طيف خيال المحبوب فكنت متلذذاً بوصله مجموع الشّمل بقره ثمّ أسرع الذّهاب فاستيقظت، فلم أر شيئاً فأسفت عليه وأعملت الفكرة فيه فكان سبب بكائي وانتفاء النوم عني وتنغيص العيش علي هذا هو الشوق إليه .

وإما إفادة المخاطب أنه أي: المتكلم عالم بالحكم بمضمون الخبر الذي يعلمه المخاطب وذلك عندما يكون المخاطب عالماً بمضمون الخبر ولكنه يجهل معرفة المتكلم به كقوله لمن ظهرت نتيجة اختبار ووقف على نبأ نجاحه "أنت نجحت"، وكقوله لمن اسمه محمد: "اسمك محمد" فالمخاطب "يعلم نبأ نجاحه ولا يجهل اسمه، ولكن المتكلم يريد إفادة أنه هو الآخر عالم بالحكم ومضمون الخبر ويسمى هذا الخبر "لازم الفائدة" وهو المقصد الثاني من الأسلوب الخبر (فيود، ٢٠١٣م، ص: ٤٥).

كذلك قول الهجري في الممدوح:

أَحْيَاكَ اللَّهُ أَهْلَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً * شَرْقًا وَعَرْبًا وَأَعْجَامًا وَعَرْبَانًا
بِكَ السَّعَادَةُ وَالْخَيْرَاتُ نَازِلَةٌ * لِلْخَلْقِ أَصْبَحَتْ لِلْبَرَكَاتِ بُيُوتَانًا

وإذا تأملت هذين البيتين تجد الشاعر عالماً بالحكم ومضمون الخبر الذي يعلمه المخاطب أي الممدوح، لأنّه لا يجهل بما أحيا به الله أهل الأرض قاطبة من المشرق والمغرب ومن العرب والعجم، وبين الإنس والجنّ ويعلمه بسعادته وخيراته وبركاته لخلق الله جميعاً لأنّه رحمة للعالمين وهذا الخبر يسمى "لازم الفائدة".

أضرب الخبر

وبالنظر إلى حالات المخاطب حينما يتلقى الخبر قسم البلاغيّون الخبر إلى ثلاث حالات يعني ينقسم الخبر إلى ثلاثة أضرب:

١- إذا كان المخاطب خالي الذّهن من حكم الخبر كان الخبر له خالياً من التّوكيد نحو: "ابراهيم عالمٌ" و يسمى الخبر على مثل هذا الحال "ابتدائياً" (الإلوري، د.ت، ص: ١٠) على هذا يقول الهجري:

حَلَاوَةُ الْعِشْقِ فِي ذِكْرِكَ يَأْسُرُنِي * وَكُنْتُ فِي مَدْحِ خَيْرِ الْخَلْقِ سُكْرَانًا
(الهجري ، ٢٠٢٠م، ص: ٢)

وفي هذا البيت تجد أن المخاطب يجهل الخبر الذي يريد الشاعر إخباره به، فعندئذٍ يلقي إليه الكلام خاليًا من أدوات التوكيد، كما ترى في هذا البيت ويسمى هذا النوع "الخبر الابتدائي"، فالمخاطب هنا خالي الذهن من الخبر، جاهل بمضمونه، والكلام خالٍ من التوكيد مثل قوله أيضًا:

فَالْمِيمُ مِنْكَ مَمَاتُ فِي الْمَمَاتِ أَيَا * مَكْرُوءُ مَنْ مَاتَ قَبْلَ الْمَوْتِ أَزْمَانَا
وَالْكَافُ كَلْبُ حَوَى لِلْمَجْدِ فَارْتَعَدَتْ * أَنْفَاسُهُ مِنْ رُغُودِ الْكُفْرِ عَرْفَانَا
وَالرَّاءُ وَيْلٌ مِنَ الْأُمْلَاكِ أَنْزَلَهُ * رَبُّ الْبَرِّيَّةِ فِي مَسْعَاكِ حُسْرَانَا
(الهجري ، ٢٠٢٠م، ص: ١)

إذا نظرنا إلى الأبيات الثلاثة السابقة نجد أنها خالية من أدوات التوكيد فالخبر في جميعها خبر ابتدائي.

٢- وإن كان مترددًا فيه طالبًا معرفته ، حسن توكيده، و يسمى هذا الضرب: طلبيا ، مثل :
قد يفسد الاستبداد الأخلاق ، فالمخاطب هنا متردد شاك في الخبر ، يريد الوقوف على حقيقته، متطلع إلى ما يزيل تردده ، والكلام مؤكد بأداة توكيد واحدة (النقراط، ٢٠١٩م، ص: ٢٣) كقول الهجري:

شَلَّتْ يَدَاكَ وَغَلَّتْ كُلُّ مَا مَلَكَتْ * وَقَدْ نَحَا اللَّهُ مَا أُعْطِيتَ سُرْعَانَا
حُرُوفُ مَجْدِكَ فِي الْعُلْيَاءِ نَاطِقَةٌ * أَنَّ الْعُلَا مِنْكَ لِلْأَبْطَالِ مِعْوَانَا
فَإِنَّهُ كَانَ رُوحِي لَنْ أَعِيشَ بِلَا * مَحَبَّةِ الْمُصْطَفَى سِرًّا وَإِعْلَانَا
وَمَا لَكُمْ أَمَلٌ فِي جَمْعِهِ أَبَدًا * قَدْ جَاءَهُ صَرْصَرُ بَحْتَارِ أَوْطَانَا
(الهجري، ٢٠٢٠م، ص: ١)

إذا نظرنا إلى هذه الأبيات الأربعة السابقة نرى أن الشاعر أكد كل واحد منها بمؤكدٍ فكأنه توهم أن المخاطب له إلمام قليل بالحكم، لكنه يعاوزه قليل من الشك، فأراد الشاعر أن يزيل ذلك الشك من قلب المخاطب ويقوّي قوله بمؤكدٍ واحدٍ كما نرى في البيت الأول الذي أكد الخبر فيه (بقد) التي هي حرف توكيد، ويسمى هذا النوع "طلبيا".

وفي البيت الثاني نرى أن الشاعر أكد قوله بـ(أن) التي هي حرف توكيد ويسمى هذا النوع "خبرًا طلبيًا".

وكما نرى في البيت الثالث الذي أكّد الخبر فسه ب(أن) التي هي حرف توكيد ويسمى هذا النوع "طلبياً".

ثم نرى في البيت الرابع الذي أكّد الشاعر الخبر فيه ب(قد) التي هي حرف توكيد، ويسمى هذا النوع أيضاً "خبراً طلبياً".

٣- وإن كان منكرًا وجب توكيده بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر حسب درجة الإنكار، ويسمى هذا الضرب: إنكارياً، مثل: إن أخاك لقادم، أو والله إنه لقادم، فالمخاطب هنا منكر للخبر، والكلام مؤكد بأداتي توكيد أو أكثر على حسب إنكاره. (النقراط، ٢٠١٩م، ص: ٢٣٠) مثال ذلك قول الهجري:

تَبْكِي السَّمَاءُ بِأَمْطَارِ الْهَلَاكِ عَلَى * جِسْمَا نِكْمٍ إِنَّ عَصَرَ الدُّلِّ قَدْ حَانَ
وَاللَّهُ: تَالله: مَا فِي الْأَرْضِ قَاطِبَةً * أَحْبَبْتُهُ مِثْلَمَا أَحْبَبْتُ مَوْلَانَا
شَلَّتْ يَدَاكَ وَغَلَّتْ كُلُّ مَامَلَكْتَ * وَقَدْ مَحَا اللهُ مَا أُعْطِيتَ سُرْعَانَا
(الهجري، ٢٠٢٠م، ص: ١)

إذا نظرنا إلى هذه الأبيات الثلاثة السابقة نرى أن الشاعر أكّد كل واحد بمؤكدات، فكأنه توهم أن المخاطب منكر للخبر أو مستغرب إيّاه عند ذلك يجب عليه أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره قوّة وضعفًا، فتأتي بمؤكدين أو أكثر حسب درجة الإنكار، كما نرى في البيت الأول، فقد أكّد الخبر بمؤكدين وهما (إن و قد) ويسمى هذا النوع "إنكارياً".

ثم نرى في البيت الثاني فقد أكّد الخبر بمؤكدين وهما (واو القسم و تاء القسم) في قوله (والله تالله) ويسمى هذا النوع أيضاً "خبراً إنكارياً".

وكما نرى في البيت الثالث فقد أكّد الهجري قوله بالوعد والوعيد مقتضياً لتوكيده وتثبيت معناه فهي في مثل قوله:

شَلَّتْ يَدَاكَ وَغَلَّتْ كُلُّ مَامَلَكْتَ * وَقَدْ مَحَا اللهُ مَا أُعْطِيتَ سُرْعَانَا

مفيدة وجود الخسران لا محالة، كقوله تعالى في القرآن الكريم: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سِوَالِ نَارٍ ذَاتِ لَهَبٍ" (المسد ٣-١) تؤكد حصول فعل الوعيد الذي دخل عليه وتُثَبِّتُ معناه بأنه كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين (النقراط، ٢٠١٩م، ص: ٢٣١)

ثم يأتي "بقد" يقوّي خبره ويسمى هذا النوع (خبراً إنكارياً)

الخاتمة

إنّ علم المعاني يزوّد الأديب بثروة كثيرة من أساليب القول، ويرشده إلى مواطن القوّة والضعف في التّصوص الأدبية، وبذلك يستطيع أن يعلم كيف تتركب الجملة العربية لنصيب بها الغرض المعنوي الذي نريد على اختلاف الظروف والأحوال لأنّه يساعد على إبراز ما في الأبيات الشعريّة سواء من ناحية مقاصده ومعانيه أو من ناحية أساليب أدائها والتعبير عنها. لقد قام الباحثان في هذه المقالة بدراسة أساليب خبرية في القصيدة لحامد محمود إبراهيم الهجري، وقد افتتحا المقالة بتعريف الشاعر وشاعريته وأساليبه وعاطفته في الشعر، كما تناولوا بعض جهود الهجري في استخدام بعض الأساليب الخبرية، فقد استخرجت بعض الأساليب الخبرية من شعره من الجملة الاسميّة والفعليّة وأغراض الخبر وأضرب الخبر وتأسيساً على ما سبق من الدّراسة يمكن القول بأن الشاعر الهجري متميز بالتّعبير العربي الصّحيح، وحسن التزيين، وأنّه ماهر بليغ، يتميز شعره بأساليب بلاغية جذابة بدون تصنع.

ثبت المراجع

- ١- الإلوري، آدم عبد الله، (د.ت.)، دروس البلاغة العربية، نيجيريا - أجيبي، مطبعة الثقافة الإسلامية.
- ٢- إمام، إبراهيم عبدالله، قضايا الاتساق في رواية "السيد الرئيس" للروائي حامد محمود إبراهيم الهجري "دراسة لسانية نصية رسالة مقدمة تكملة لنيل درجة التخصّص العالي "الماجستير" في اللغة العربية وفي التخصّص "اللسانيات".
- ٣- أكنبي، عثمان عبدالسلام، (٢٠١٦م)، المبسوط في دراسات علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع الطّبعة الأولى مطبعة مركز الهدى.
- ٤- البخاري، عبد الله مُحمّد إسماعيل، (د.ت.)، صحيح البخاري، المنصورة - دار الغد الجديد.

- ٥- الحسني، سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة، (٢٠١١م)، العمدة في شرح البردة، ط: ١، بيروت-دار الكتب العلمية.
- ٦- الحراني، تقي الدين أحمد بن تيمية، (٢٠٠٦م)، مجموعة الفتاوى، ج. ١٩، القاهرة - دار الحديث.
- ٧- عبد الغني، أيمن أمين، (٢٠١١م)، الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني ط: ١، القاهرة، دار التوفيقية للتراث.
- ٨- عتيق، عبد العزيز، (٢٠٠٦م)، علم المعاني ط: ١، القاهرة، دار الآفاق.
- ٩- العقاد، عباس محمود، (٢٠١٦م)، مجموعة العبقريات الإسلامية ط: ١، القاهرة - مكتبة الصفا.
- ١٠- عباس، فضل حسن، (٢٠٠٩م)، إلبلاغة فنونها وأفناها علم المعاني، ط: ١٢، الأردن- دار النفائس.
- ١١- عودة، هدى أحمد، (٢٠١٠م)، الكافي في التعبير مباحث في تقنيات القراءة والإنشاء والتحليل، ط: ١، - بيروت - لبنان الدار النموذجية.
- ١٢- الصّابوني، محمد علي، (د.ت.ط)، صفوة التفاسير المجلد الثاني، مدينة نصر-القاهرة، دار الصّابوني.
- ١٣- فيود، عبدالفتاح بسيوني، (٢٠١١م)، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ط: ٣، القاهرة - مدينة نصر - مؤسسة المختار.
- ١٤- الفوزان، صالح بن فوزان، (الدكتور)، (٢٠٠٦م)، حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، ط: ١٠، الرياض مكتبة، الملك فهد الوطنية.
- ١٥- قطب، سيد، (د.ت.)، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الفكر العربي، (د.ط.ت.).
- ١٦- اللادقي، محمد طاهر، (٢٠١١م)، المبسط في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع نماذج تطبيقية ، بيروت - لبنان، المطبعة العصرية.

- ١٧- محمود، علي عبد الحليم، (١٩٨٢م)، النصوص الأدبية تحليلها ونقدها، جدّة - شركة مكتبات عكاظ.
- ١٨- النقراط، عبد الله محمّد، (٢٠١٩م)، الشامل في اللغة العربية لطلبة الجامعات والمعاهد العليا غير المتخصصين، بنغازي - ليبيا - دار الكتب الوطنية.
- ١٩- الهجري، حامد محمود إبراهيم، (٢٠١٠م)، ديوان الحديقة الغناء، إلورن، مطبعة كيؤدميلولا.
- ٢٠- الهجري، حامد محمود إبراهيم، (٢٠٢٢م)، خادم الوطن، ط: ١، القاهرة، - مدينة نصر، دار الفكر العربي.
- ٢١- الهجري، حامد محمود إبراهيم، (٢٠٢٠م)، حبيبي رسول الله ﷺ، مخطوطة.
- ٢٢- الهاشمي، السيد أحمد، (٢٠١٠م)، جواهر البلاغة علم المعاني والبيان والبدیع، ط: ١، القاهرة - دار ابن الجوزي.



الصور البلاغية في قصيدة "دار العلوم..." للأستاذ الدكتور عيسى ألبوكر

شيخ إبراهيم صالح

قسم اللغة العربية، كلية التربية الفدرالية، أوكيني

08035136812

sheik.ibrahim2232@fcoekene.edu.ng

sheikhibrahim629@gmail.com

الملخص:

يعتبر الشعر من الفنون السائدة في الأدب العربي النيجيري حيث تفتن فيه الشعراء المبدعون وصوروا فيه جميل مشاعرهم وعواطفهم، ويعتد الأستاذ الدكتور عيسى ألبوكر من زعماء هذا الفن الأدبي في نيجيريا بل هو أميرهم، لأنه أسهم فيه أكثر من غيره جودة وإعجاباً، فاستخدم أغراضه خير استخدام من مدح ووصف ورثاء وزهد وشكوى وحماسة وغزل وغيرها من الأغراض. فقصيدته "دار العلوم..." التي يحاول الباحث دراستها في هذه الورقة، لا تخلو من التعبيرات البلاغية التي ألبسها بها صاحبها أجمل ثوب تتضح من خلاله الأفكار الكامنة فيها، ويقرب خلالها المعاني إلى أذهان القراء. الأمر الذي جذب انتباه الباحث إلى القيام بهذا البحث. وعليه يهدف البحث إلى تسليط الضوء على ملكة تصرف الشاعر في وضع مشاعره وأحاسيسه بأفصح التعبير وأبلغ التصوير وأحسن التبديع في القصيدة من أدق المعاني وأوضح البيان وأجمل البديع. هذا، وقد استخدم الباحث المنهجين: التاريخي والوصفي. استخدم الباحث المنهج التاريخي في كشف اللثام عن حياة الشاعر، والمنهج الوصفي في تحليل الصور البلاغية في القصيدة على أن الباحث تصرف بين الأجناس البلاغية فيها ثم توصل إلى نتائج البحث في الخاتمة.

الكلمات المفتاحية: الصور البلاغية، دار العلوم، الأستاذ الدكتور عيسى ألبوكر ألبوكر.

Abstract:

Arabic poetry is considered one of the dominant arts in Nigerian Arabic literature, where creative poets have graciously explored it to beautifully portray their feelings and emotions. Professor Isa Abubakar is regarded as one of the leaders of this literary



art; in fact, he is the prince of creative poets, as he contributed to it more than others in terms of quality and excellence. He employed its various purposes effectively, including praise, description, elegy, asceticism, complaint, enthusiasm, love poetry, and other themes. His poem "Daarul 'Uluum", which the researcher attempts to study in this paper, is rich with rhetorical expressions that adorn it like a beautiful garment, through which the underlying ideas become clear and the meanings draw closer to the minds of readers. This is what attracted the researcher's attention to undertake this study. Accordingly, the research aims to shed light on the poet's ability to express his feelings and emotions with the highest level of eloquence, the most refined imagery, and the best artistic creativity in the poem, characterized by precise meanings, clear expression, and beautiful innovation. The researcher adopted two methods: the historical and the descriptive. The historical method was used to provide a complete overview of the poet's life, while the descriptive method was used to analyze the rhetorical images in the poem. The study concluded with the results reached by the researcher.

Keywords: Rhetorical imagery, Daarul 'Uluum, Professor Isa Abubakar.

المقدمة:

غير خاف أنّ الشاعر عيسى ألبوكر سيّد أعلام الشعر العربي في نيجيريا لجودة قوله في شتى الأغراض الشعرية. وقد نالت أشعاره في مختلف الأغراض إعجاب الباحثين لما احتوت في طيّها من الخصائص الفنيّة والأساليب اللغويّة والآلي الثقافية، فتناولوها بالدراسة. ولقد اختار الباحث من بين قصائده، قصيدته التي ألقاها بمناسبة الاحتفال بمرور أربعين عاما من تأسيس دار العلوم لجهة العلماء والأئمة، إلورن - نيجيريا يوم الجمعة ٥/٩/٢٠٠٣م، وهي من أروع إنتاجاته الأدبيّة لمميّزاتها الفنيّة، ومن هذه المميّزات، التصوير البلاغي الذي استخدمه لتوضيح الأفكار والمعاني بطرق مختلفة. وقد أثر هذا البحث النظر في الطرق المختلفة التي سلكها الشاعر لتصوير ما يخطر في ضميره. على هذا الأساس، تبّنى الباحث دراسة الصور البلاغية في القصيدة. ويشمل هذا البحث عرض القصيدة ونبذة يسيرة عن حياة الشاعر، ودراسة الصور البلاغية التي استخدمها الشاعر، قبل الخاتمة التي تحتوي على خلاصة ما توصّل إليه الباحث من نتائج البحث.

عرض القصيدة:

قدم الشاعر ألبو هذه القصيدة بمناسبة الاحتفال بمرور أربعين عاما من تأسيس دار العلوم لجهة العلماء والأئمة، إلورن - نيجيريا يوم الجمعة ٥/٩/٢٠٠٣م، وهذا المهرجان أُقيمت من

ضمن فعالياته المسابقة الشعرية التي جذبت أفواه كثير من دارسي اللغة العربية المهتمين بالشعر العربي حيث شاركوا في المسابقة بتقديم أشعارهم للتحكيم، وكان الأستاذ الدكتور عيسى ألي رئيس لجنة التحكيم، فنال الجائزة الأولى لعبد العزيز بن محمد بن سلمان الذي حالياً دكتور يحضر في القسم العربي بالجامعة الفدرالية، لافيا - نصرأوى، بقصيدته التي مطلعها:

ذكراك ليلي أيا ابن الدين والأدب ** ترسيك إن دمتها في شاطئ الكرب

أبدل بها أمة طابت منابتهم ** كم شيدوا بالتقى مجدا ومن يرب

(عبد العزيز، ٢٠٠٣م)

والشاعر الذي نال الجائزة الثانية هو عبد الحميد يوسف الذي حالياً أستاذ مشارك في قسم الأديان بجامعة إلورن - إلورن، نيجيريا. ومطلع قصيدته:

نفسى تحبك مصدر الأجيال ** وتجلي لك منتدى الأبطال

منك العلوم بأسرها تندقق ** تروي الضما في الحل والترحال

وفي الوقت كان الشاعر عبد الحميد طالبا في المستوى الثاني بقسم الأديان، جامعة إلورن. (عبد الحميد، ٢٠٠٣م).

فهاك نص القصيدة:

أعلى الأماكن مجلس الحكماء ** خير الهدايا تحفة الشعراء

شعراء هذا الجيل قوموا فانشروا ** لمفاخر الآباء كلّ الثناء

نشروا بذور الخير في الأرض التي ** ترعى البذور فتحتطي بنماء

أكرم بآباء نباهي دهرنا ** بفعالهم هم أشرف الآباء

أعناق قوم تشرئب تجلّة ** ليروا مآثرهم بكلّ ولاء

العلم والخلق العظيم نصيبهم ** وثمار ما غرسوا غلا الأبناء

رفعوا البلاد بما يقدم عقلهم ** وتفوقوا بنوادر الحكماء

والله ما نضبت ينابيع الحجى ** من قولهم وتجلّوا برؤاء

وشذا الدّمائة والنبالة فائح ** من رُدّهم هم صفوة القدماء

ما حظّ من بذل النفائس قاصدا ** شأو الرجال وينضني بعناء؟

دار العلوم سترفعين لوائهم ** من دون ما كلل إلى الأرجاء
قد طار ذكرك في المدائن كلها ** كالبارز حلق في عنان سماء
وبنوك أعيان البلاد بفضلهم ** هل بدّهم أحد من النظراء؟
فيهم عمّالقة القضاء بعدلهم ** يستصرفون مكاره الأعداء
وأئمة عرف البلاد صلاحهم ** أتري لهم في العلم من أكفاء؟
فازوا بأرباب الفصاحة والنهى ** بهّروا الأنام بحكمة وذكاء
صنعوا أعاجيب الزمان بعلمهم ** يستفتحون مغالق الأشياء
هم في الإدارة لا يُشقُّ غبارهم ** فيما يرون إنارة الآراء
وبهم تفتحت العيون وأدركت ** أنّ المهارة منّة النجباء
من جاء يقصد أن يُنقص فضلهم ** حقداً يُعرّض نفسه لبلاء
أفلا يرى ما يستفيد بلادنا ** من خيرهم يُسدّونه بصفاء؟
العلم والعمل المحبب والتقى ** من حازه قد نال كلّ عطاء
سنّ البلوغ الأربعون فمن تكن ** من حظّه أضحي من الكرماء

دار التجارب والتعاليم اسمعي ** لحن الهوى يأتي من الحوباء
شعرٌ تُنمّقه المهارة مثلما ** نظم الصنيع قلائد الحسناء
جعل البيان دليلاً وشعاره ** فبدا كوجه الباسم الوضاء
إني شكرت الحظّ حين اختارني ** شيخي وهيّا لي ذرى العلياء
فعملتُ فيك مدرّسا وموجّها ** ونظارتني تمّت بكلّ وفاء
ما تلکم الأيام إلاّ صفحة ** بيضاء في عمري بغير مرأ
فالانتماء إليك عزٌّ ** جاعلٌ من ناله حتما من الشرفاء
يارب صل على النبي محمدٍ ** مادامت الأبراج في الخضراء

(عيسى، ٢٠٠٥م، ص: ٩٨ - ٩٩)

خلفية تاريخية عن الشاعر:

مولده ونشأته:

شهد الأستاذ الدكتور عيسى ألي بن أبي بكر بن جمعة الإلوري نور الحياة بمدينة كماسي — غانا عام ١٩٥٣م (الحقيقي، ٢٠٢٣م، ص: ٨٥). ومنذ صغره يتلقى الرعاية من لدن والديه على أحسن تربية، وأفضل توجيه، وأجمل تقويم، ثم تعلّم القرآن الكريم على يدي الشيخ الحاج مُحمّد بن عيسى الغمبيري عام ١٩٦٢م، وذلك بعد عودتهم من جمهورية غانا للاستقرار في مدينة إلورن (شعيب، ٢٠٠٥م، ص: ١). واصل التعليم العربي والإسلامي بالتحاقه بمركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي لمؤسسه العلامة الشيخ آدم عبد الله الإلوري، حيث حصل فيه على الشهادتين؛ الإعدادية والتوجيهية (الثانوية)، ما بين ١٩٦٥ و ١٩٧١م.

أشار مرشده العلامة الإلوري إلى تعيينه ناظرا لأحد فروع المركز الأم بمدينة أيجيو، إلاّ أنّه لم يمكث هناك طويلا حتى غادر المكان إلى مدينة لاغوس عام ١٩٧٣م لتحقيق أمنية، فما وهن وما استكان حتى طار الخبر إلى مسمع مرشده الإلوري عن تصرفاته العجيبة، ومن ثمّ استحضره الإلوري وكلفه مهمّة النظارة الأخرى ببعثته إلى مدرسة دار العلوم لجهة العلماء والأئمة، إلورن مدرّسا وناظرا (الحقيقي، م ن، ص: ٨٥).

وفي عام ١٩٧٧م قدّر الله القبول للشاعر ألي في جامعة بايرو كنو، حيث درس الدبلوم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية ولغة هوسا، وبعد إتمامه برنامج الدبلوم عاد إلى إلورن لمواصلة المرحلة الجامعية في جامعة إلورن، قسم الأديان شعبة العربية، حيث حصل على شهادة الليسانس عام ١٩٨٤م، وتمّ توظيفه في العام نفسه محاضرا بكلية التربية في مدينة أورو ولاية كوارا، قضى بها شهرا دون تسلّم راتب معتمد (شعيب، ٢٠٠٥م، ص: ٢)، حين تمّ له توظيف آخر في جامعة عثمان بن فودي بصكتو معيدا، ثم عاد إلى كنو عام ١٩٨٥م لتحضير الماجستير في اللغة العربية بجامعة بايرو، فأتمهاها عام ١٩٨٨م. قضى سنة دراسية في جامعة الملك سعود للحصول على شهادة الدبلوم العالي كفاءة تربوية مرجوة في مهنة التدريس، وذلك في عام ١٩٩٠م قبل أن يرجع إلى جامعة عثمان بن فودي — بعد إتمام الدراسة — لمواصلة عمله إلى عام ١٩٩٤م، العام الذي ساقته فيه

الأقدار من صكتو إلى إلورن مرة أخرى موفقا بالتوظيف في جامعة إلورن الفدرالية، حيث اشتغل محاضرا بها، واستغل هذه الفرصة الذهبية لتحضير الدكتوراه في الجامعة نفسه، وقد نوقشت رسالته عام ٢٠٠٠م وكُتب له النجاح فيها. (الحقيقي، م. س، ص: ٨٨).
كان الأستاذ الدكتور عيسى ألي ولا يزال يواصل جهوده الدؤوب في تطويع إبداعه الأدبي ليواكب روح العصر المتجدد، ففي عام ٢٠١٨م ترقى سعادته إلى درجة الأستاذية في قسم اللغة العربية بجامعة إلورن، ثم تقاعد عام ٢٠٢٣م ولا يبرح يتحلف بإبداعه في سماء الشعر العربي إضافة إلى مزاولته شغل المحاضرة والكتابة والبحث والتنقيب، إذ هو مباشرة بعد التقاعد الرسمي عيّن أستاذا زائرا في جامعة ولاية كوارا - مليتي.

عوامل تكوينه:

البيئة:

لقد تأثرت في تكوين شخصية ألي بيئات عدّة، منها بيئة جمهورية غانا، فعلى الرغم من أنّ مكوثه هناك لا يجاوز ست سنوات، استطاعت أن تخلق في الشاعر عاملا لسانيا أسفر عنه فكرة تبناها بعد مرور أعوام على إقامته ببنجيريا، حيث ألي إلا أن يضيف الثقافة الانجليزية إلى أصالته العربية إثباتا أنّ البيئة الغانية، عُرِف أبنائها بهضم هذه اللغة وإتقانها على وجهها الصحيح بين أبناء الدول الأفريقية الغربية.

والبيئة الإلورية التي تشجّع دائما على الحب الشديد بالثقافة العربية، إثر ما صنع رؤاها الأعراء. فمنذ نزول الشاعر ألي بإلورن لأول مرة تعزّزت موافقه التعليمية على ساق الجد والاجتهاد، وفي هذه البيئة الإلورية تُوجد دوافع توهّج منها شاعريته، وتسعفه على الإنتاج المستمر. ومنطقة لاغوس التي غدّت ذكاء ابن أبي بكر وبصّرتة على أملح الحياة، وأنخلته أنفى الموارد الثقافية الشهيرة، خاصة في جوّ المركز البقعة المباركة التي قضى فيها ما يقرب عقدا من الزمن تحت رعاية المؤسس المرحوم الإلوري الذي لم يرض عليه بتوجيهات سديدة وهي بيئة مهيئة لتنافس الشعراء، عامرة بالشباب النابغين النشطين المتأثرين بتوجيه الإلوري (عيسى، ٢٠٠٨م، ص: ١) ولا ينسى الشاعر هذه ولا سيما تفعيلها الإيجابي في توقد ذهنه وتفجّر شاعريته، وتخريجه شاعرا مغوارا يخوض عباب الفن مع زملائه، وبيادي الشعراء الفحول في إبداعه.

لقد تعاقب الأستاذ الدكتور ألي البيئة الكنوية مرتين للأخذ والتّحصيل، ومن الجدير بالذكر أنّه في جامعة بايرو أساطين الثقافة العربية الذين قد تلقى الشاعر منهم توجيهات اهتدى بها لمواجهة الظروف العلمية والمواقف المعرفية. ثم بيئة صكتو التي قضى فيها عشر سنين محاضرا في جامعة عثمان بن فودي، حيث تعايش مع أعلام الثقافة العربية تعايش الزمالة، أمثال الأستاذ الدكتور الإمام عبد الباقي شعيب أغاك وغيره. ونذكر أخيرا رحلته التي قام بها إلى الرياض للدبلوم العالي في التربية، حيث اطلع على أعمال غيره من الشعراء العرب، وسنحت له فرصة المنافسة والمعارضة أخذا وردا، مما زاد في محصوله الشعري حتى نال الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التي نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض ضمن فعاليات أسبوع التوعية حول مضار التدخين عام ١٩٩١م. (الحقيقي، ٢٠٢٣، م س، ص: ١٠١ - ١٠٢).

الصورة العامة في فنية القصيدة

لقد أشار الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب إلى أن الشاعر ألي مارس القيم الفنية لما وعاه من علوم وأصول عربية حملت جمالية تعبيره صورا واضحة لحرصه الشديد على تطبيق الفنون البيانية على نحو ما قوي أدائه في شتى الأغراض التي تعاطاها في عالم الشعر (أغاك، ٢٠٠٥م، ص: ٦٦ - ٦٧). وبناء على ذلك فإنّ الشاعر ألي في هذه القصيدة، قد اقتبس نماذج بلاغية لدى العرب مقتديا بأعرافهم، ومحتذيا سننهم، واعيا أنّ البليغ إذا أراد أن ينشئ إبداعا فنيا فكّر في أجزائه، ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفّها على السمع، وأكثرها اتصالا بموضوعه، ثم قواه أثرا في نفوس سامعيه وأروعه جمالا. فجاء بصور بلاغية مختلفة يعتمد عليها لإفصاح غرضه وإبلاغ رسالته إلى المتلقين. ويرجو الباحث دراسة تلك الصور على النحو التالي:

فنية الأسلوب

تعتبر فنية الأسلوب في هذا الشعر الصور التي استخدمها الكاتب للإبانة عما في نفسه وقلبه إلى المتلقين، وتتضمن أساليب معانية كدلالة الألفاظ من دقة وطرافة وإيجاء، ودلالة التراكيب

كجمل فعلية واسمية وإنشائية وخبرية. وأساليب بيانية من تشبيه واستعارة ومجاز مرسل ومجاز عقلي وكناية. ومحسنات بديعية من جناس وسجع واقتباس وطباق ومقابلة. ثم ظواهر إيقاعية.

أساليب المعاني:

الألفاظ

وتتجلى قدرة الكاتب في استطاعته على حسن اختيار الألفاظ التي تناسب المقاصد مبنى ومعنى،

أ - الدقة

هي اختيار الألفاظ المناسبة في أماكنها اللائقة في النص الأدبي، وحسن استخدامها، وهي تثبت ملكة الأديب في اختيار الألفاظ ومطابقتها للغرض الذي أراد بثّه نحو القراء والمتلقين، وبالدقة، يعرف المبدع التشابه بين المفردات لا يوحي بالترادف والتساوي في المعاني والأغراض، ويقوم الأديب في هذه الحالة باختيار الألفاظ دون غيرها المشابهة لها في المعاني والأغراض في الأماكن المختلفة في إنتاجه الأدبي (أكبيدي، ٢٠١٧م، ص: ١٧٤). ومن دقة الألفاظ ما استخدمه الشاعر في قوله:

العلم والخلق العظيم نصيبهم ** وثمار ما غرسوا غُلا الأبناء

رفعوا البلاد بما يقدّم عقلهم ** وتفوّقوا بنوادر الحكماء

والله ما نضبت ينابيع الحجى ** من قولهم وتحمّلوا برّواء

استخدم الكاتب هنا كلمة (العلم، والخلق، والحجى، والتفوّق وغيرها) وهذه الكلمات لا تستعمل إلا للجد والتقديس، وقد اختارها دون غيرها موافقة لمرامه حيث إنه يريد إثبات عناية المؤسسين والأساتذة.

ب - الإيحاء

يعتبر الإيحاء توظيف كلمة أو فعل معين لإعطاء معلومة معينة بشكل غير مباشر، أو بث المعلومات مستعينا بقوة الخيال عند المتلقين (أكبيدي، ٢٠١٧م، م ن، ص: ١٨٣). ومن جانب الفن الذي تمتاز به ألفاظ الكاتب ألبى ظاهرة الإيحاء التي تثري النص الأدبي، وتفتح أمام النفس أودية الانفعالات، والعواطف إلى جانب ما تحمله من أفكار ومعان. ومن أبرز ما يجلى هذه الشفافية الروحية ما يقول ألبى:

هم في الإدارة لا يُشَقُّ غبارُهم** فيما يَرونُ إنارةَ الآراء
أول ما يلفت الأنظار لفظ (غبار)، ولكن جاءت قبلها كلمة (يُشَقُّ) توحى إلى أنهم لا مثيل
لهم. وجاء الشاعر بقرينة أخرى التي أفصحت عن حالهم وهي (فيما يرون إنارة الآراء) ومن
هنا نفهم أنه يثبت تسابقهم الرجال.

التركيب:

أ – الجملة الفعلية: هي الجملة المبدوءة بالفعل حقيقة أو حكماً. فالجملة الفعلية تأتي في
الكلام لأغراض مختلفة من مدح وتوجيه، وإرشاد وإثبات، وغيرها (الأنصاري، د. ت، ص:
١٤١). وقد استخدم الشاعر الجملة الفعلية لأغراض متنوعة، ومن هذه الأغراض: الإثبات
في قوله:

نثروا بذور الخير في الأرض التي** ترقى البذور فتحتظي بنماء
ولغرض المدح يقول:

رفعوا البلاد بما يقدم عقلهم** وتفوقوا بنوادر الحكماء
فازوا بأرباب الفصاحة والنهى** بهروا الأنام بحكمة وذكاء
صنعوا أعاجيب الزمان بعلمهم** يستفتحون معالق الأشياء
وكذلك لغرض الإخبار، في قوله:

فعملتُ فيك مدرّساً وموجّهاً** ونظارتني تمتّ بكلّ وفاء
جعل البيانَ دليلاً وشعاره** فبدا كوجه الباسم الوضاء
استخدم ألي الجملة الفعلية في غرض الفخر في البيت التالي:
أكرم بآباء نباهي دهرنا** بفعالهم هم أشرف الآباء

ب – الجملة الاسمية

أما الجملة الاسمية لدى الكاتب، فقد اعتمدها أسلوب إقناع على ما ترويه للمتلقين وبرهان
وإثبات ما يدعيه من الأفكار. ومن ذلك قوله:

دار العلوم سترفعين لوائهم** من دون ما كلل إلى الأرجاء
قد طار ذكرك في المدائن كلها** كالبارز حلق في عنان سماء
استخدم ألي الجملة الاسمية في غرض الفخر

أعناق قوم تشرب تَجَلَّةً ** ليروا مآثرهم بكلّ ولاء
العلم والخلق العظيم نصيبهم ** وثمار ما غرسوا عُلا الأبناء.

في غرض المدح يقول:

دار العلوم سترفعين لوائهم ** من دون ما كلل إلى الأرجاء
قد طار ذكرك في المدائن كلها ** كالباز حلّق في عنان سماء
وبنوك أعيان البلاد بفضلهم ** هل بدّهم أحد من النُّظراء؟
فيهم عَمَالِقَةُ القضاء بعدلهم ** يستصرفون مكاره الأعداء

ج - الجملة الإنشائية

هي جملة لا تحمل الصدق والكذب وهي إنشاء المعاني وصوغها ابتداء ليطلب فيها مطلوباً معيناً (بسيوني، ٢٠٠٤م، ص: ٢٨٣ - ٢٨٢). وللجملة الإنشائية أساليب منها:
= الأمر: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام أو طلب القيام بشيء أو تنفيذه من الأعلى إلى الأدنى إلا لغرض بلاغي (عتيق، ٢٠٠٦م، ص: ٥٨). وللأمر دوره في إظهار المعاني المقصودة إلى المتلقين، جاء الأمر في القصيدة لإبراز قصد الشاعر عن تكريم الأئمة والعلماء الذين أسسوا مدرسة دار العلوم إلورن، وذلك في قوله:

أكرم بآباء نباهي دهرنا ** بفعالهم هم أشرف الآباء

= النداء: هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب كلمة (أدعو) والغاية منه أن يصغي من ينادي إلى أمر ذي بال. والنداء من الأساليب الإنشائية التي يستخدمها الأديب لكسب انتباه المخاطب حتى يصغي إليه قلبه، ويكون في الاستعداد لتلقي منه ما يريده. والنداء في القصيدة استخدمه الشاعر لأغراض منها: الدعاء في قوله:

يارب صل على النبي محمدٍ ** مادامت الأبراج في الخضراء

استخدم الشاعر (يا) النداء للدعاء، لأن المنادي جاء بهذا الأسلوب ليسأل الله سبحانه وتعالى إرسال صلواته على النبي محمد على الدوام.
ومنه قوله:

شعراء هذا الجيل قوموا فانثروا ** لمفاخر الآباء كلّ الشاء

النداء هنا لغرض الإصغاء لأن المناادي قصد لفت أنظار الجيل وقيامهم على الاعتراف بالجميل المصنوع إليهم.

= الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل أو معلوم وقصد تقريره، وله أدوات كثيرة منها الهمزة وهل وغيرها. ولقد استخدم الشاعر ألي هذا الفن البلاغي لإبراز المعاني المقصودة في بعض أبياته في القصيدة وجاءت تلكم الأبيات لتقرير المعنى المقصود:

وبنوك أعيان البلاد بفضلهم ** هل بذهم أحد من النظراء؟ (استفهام للنفي)
وأئمة عرف البلاد صلاحهم ** أترى لهم في العلم من أكفاء؟ (استفهام للنفي)
(والتعظيم)

أفلا يرى ما يستفيد بلادنا ** من خيرهم يُسدونه بصفاء؟

د - الجملة الخبرية

هي جملة ينبغي أن تحمل الصدق أو الكذب، ولها أغراض تفهم غالبا من السياق، كإظهار التحسّر والحثّ على السّعي والجد والفخر ونحوها (الجارم، ١٩٩٩م، ص: ١٤٧). استخدم الشاعر الأسلوب الخبري التوكيدي في أبياته:

إني شكرت الحظّ حين اختارني ** شيخي وهياً لي ذرى العلياء
فعملتُ فيك مدرّسا وموجّها ** ونظارتني ممّت بكلّ وفاء
ما تلکم الأيام إلاّ صفحة ** بيضاء في عمري بغير مرء
فالانتماء إليك عزٌّ ** جاعلٌ من ناله حتما من الشرفاء

والغرض هنا فائدة الخبر لأن الشاعر أفاد المتلقين الحكم الذي تضمنته الأبيات.

هـ - التقديم والتأخير:

تقديم "أعلى الأماكن" للتخصيص والاهتمام. وتقديم "بآباء نباهي" للتأكيد على الفخر بالأصل.



أساليب البيان:

التشبيه:

لون الشاعر إبداعه بالتشبيه، وهو المقارنة بين شيئين متّحدين في صفة ولكن هذه الصفة أظهر وأوضح في أحدهما من الآخر، فالتشبيه يُستخدم لتقريب الشيء البعيد إلى المخاطبين، ولتوضيحه لهم (عباس، ١٩٨٥م، ص: ١٨ - ١٩).

ومن أمثلة التشبيه الواردة في القصيدة:

"كوجه الباسم الوضاح " تشبيه وضوح البيان بوجه الإنسان المبتسم المشرق.

"كالباز حلّق في عنان سماء " تشبيه تخليق الذكر بطيران الباز الصقر، وهذا التشبيه بليغ مفصل.

"بيضاء في عمري بغير مرء " تشبيه ضمني للأيام بالصفحات البيضاء النقية.

الاستعارة:

اعتمد ألي ألوان الاستعارة في إبداعه صبغا فنيّة، والاستعارة تُعنى بحمل آيات واضحة عن قوّة الانفعال وهي استخدام الكلمات على غير ما وضع لها في اللغة، مع وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لهذه الكلمات (عتيق، ٢٠٠٦م، م س، ص: ١١٦ - ١١٥). وهي مجاز علاقتها المشابهة. ففي التالي بعض استعارات استخدمها الشاعر في القصيدة:

"نثروا بذور الخير في الأرض " استعارة مكنية تصور الخير كبذور تُزرع وتنمو

"التي ترقى البذور فتتحظى بنماء " تشخيص للبذور وكأنها تصعد وترتقي

"دار التجارب والتعاليم اسمعي " تشخيص الدار وكأنها تتكلم وتنادي

"لحن الهوى يأتي من الحوبام " تصوير الهوى كلحن موسيقي يُسمع

"شعر تفقه المهارة " تشخيص الشعر وكأنه يتفقه ويتعلم

"جعل البيان دليله وشعاره " تصوير البيان كدليل مادي يُحمل

"صنعوا أعاجيب الزمان " تصوير الإنجازات كأشياء مادية تُصنع

"يستفتحون مغالق الأشياء " تصوير المعرفة كأبواب مغلقة تُفتح

"تفتحت العيون " استعارة عن الإدراك والفهم

"وبنوك أعيان البلاد بفضلهم " تصوير الأبناء كأعيان وشخصيات مهمة

الكناية:

والكناية أن تريد المعنى وتعبر عنه بغير لفظه، كأن تريد الكرم للإنسان ما، ولكنك تعبر عنه بغير اللفظ الموضوع له، فتقول مثلاً "كثير الرماد" ولا شك أن كثرة الرماد لم توضع لمعنى الكرم (عباس، ١٩٨٥م، م س، ص: ٢٤٣).

ومن أمثلة الكناية في القصيدة:

"أعلى الأماكن " كناية عن الشرف والمكانة الرفيعة

"أشرف الآباء " كناية عن النسب العريق والأصل الكريم

"عُلا الأبناء " كناية عن ارتفاع قيمتهم ومكانتهم

" نظم الصنّيع قلائد الحسناء " كناية عن الإبداع والجمال الفني

"شيخى فهياً لي ذرى العلياء " كناية عن بلوغ أعلى المراتب

"ونظارتي تمت بكل وفاء " كناية عن الإخلاص وإتمام أداء الواجبات بالتوفيق والسداد

"المهارة منة النجباء " كناية عن التفوق والنبوغ المخصوصتين للنجباء

"يستصرفون مكاره الأعداء " كناية عن الشجاعة والحكمة

الخاتمة

خلال الجولة القصيرة، أدرك الباحث أنّ الأستاذ الدكتور ألي انتهر فرصة قرضه للقصيدة لإفصاح ما يعجبه حول دار العلوم، المدرسة التي عمل فيها مدرّساً وناظراً وصرّح ذلك في هذا البيت:

فعملتُ فيك مدرّساً وموجّهاً* ونظارتي تمتّ بكلّ وفاء

والورقة بين أيدي القراء الكرام، درست الصور البلاغية في القصيدة. ولاحظ الباحث أن الشاعر تميّز في أسلوبه بالتصويرات البلاغية الرائعة التي أفصحت عن كونها طاقة عقلية واعية تبرز مواهب صانعها ومدى تضلعه في الفنون اللغوية والأدبية. وكان حسن اختيار ألي الألفاظ وجدير التراكيب والتصوير مرآة شفافية تفصح ماله من رؤية حسيّة في الفن الشعري إبداعاً وأسلوباً. وصلى الله على النبي الكريم.



قائمة المصادر والمراجع

الكتب المطبوعة:

- أبو موسى، مُجَدُّ مُجَدِّ. (١٩٨٨م). البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية. الطبعة الثانية، الأزهر - مصر: مكتبة وهبة.
- أغاكا، عبد الباقي شعيب. (٢٠٠٥م). أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي. الطبعة الثانية، إلورن - نيجيريا: مركز المضيف لخدمات الكمبيوتر والطباعة والنشر.
- أغاكا، عبد الباقي شعيب. (٢٠١٢م). الأدب الإسلامي في ديوان إلوري. الطبعة الثالثة، إلورن - نيجيريا: مركز نشر المخطوطات العربية.
- بسيوني، عبد الفتاح فيود، (٢٠١٣م). علم البيان دراسة بلاغية ونقدية لمسائل البيان. الطبعة الثالثة، الإدارة: ٦ شرع مدينة نصر - القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
- الجارم، علي ومصطفى، أمين (١٩٩٩م). البلاغة الواضحة. القاهرة: دار المعارف.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (١٩٩٢م). دلائل الإعجاز في علم المعاني. تعليق محمود مُجَدُّ شاكِر، الطبعة الثالثة، بيروت - لبنان: دار المعرفة.
- الجندي، علي. (١٩٥٢م). فن التشبيه: بلاغة، أدب، نقد. مصر: مكتبة نهضة.
- الحقيقي، مرتضى بن عبد السلام (٢٠٢٣م). الشعر السياسي في رياض ألي: دراسة أدبية تحليلية، ط ١، إلورن، مطبعة الهدى.
- الصابوني، مُجَدُّ ضياء الدين (٢٠٠٩م). الموجز في البلاغة والعروض، سيدا - بيروت: المكتبة العصرية.
- عباس، فضل حسن (١٩٨٥م). البلاغة فنونها وأفنائها: علم البيان والبديع. الطبعة الأولى، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع - عمان.

- العثيمين، محمد بن صالح (٢٠٠٥م). شرح دروس البلاغة. مكتبة: الهدى المحمدي - مصر.
- عز الدين، إسماعيل (٢٠١٣م). الأدب وفنونه دراسة ونقد، مدينة نصر القاهرة، دار الفكر العربي.
- العسكري، أبو هلال الحسن (د. ت). الصناعتين الكتابة والشعر، الطبعة الثانية، الأزهر - مصر، مطبعة محمد علي صبيح.
- عيسى، ألي أبوبكر (٢٠٠٥م). الرياض ديوان عيسى ألي أبوبكر، إلورن، مطبعة ألي بشارع الوغن جمبا.
- عيسى، ألي أبوبكر (٢٠٠٨م). ديوان السباعيات، ط ١، القاهرة، مطبعة النهار.
- القرويني، جلال الدين محمد (٢٠٠٣م). الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
- لجنة في وزارة التربية، تنقيح صادق عبد الرضا (١٩٧٥م). البلاغة للصفين الخامس والسادس (الفرع الأدبي)، الطبعة الرابعة، الكويت: مطابع الرسالة.
- المراغي، أحمد مصطفى. (١٩٩٣م). علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

البحوث الجامعية:

- أكبيدي، مرتضى الإمام. (٢٠١٧م). الاتجاه الإسلامي في شعر عبد الواحد جمعة أربي دراسة وصفية. رسالة مقدمة لقسم اللغة العربية تكملة لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية بجامعة إلورن - نيجيريا.
- شعيب، إسحاق (٢٠٠٥م). دراسة أدبية تحليلية لقصيدة "فلسطين تناديكم والسباعيتين للدكتور عيسى ألي أبي بكر، بحث مقدم لقسم اللغة العربية لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية بجامعة إلورن - نيجيريا.



- صلاحي، أبوبكر عبد الله. (٢٠١٩م). دراسة أسلوبية لمذائع الشيخ محمد الناصر كبر في ديوان نغمات الطار. رسالة مقدمة إلى قسم اللغة العربية تكملة لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية بجامعة إلورن - نيجيريا.

المقالات الأكاديمية:

- أحمد، حامد أحمد. (٢٠١٨م). التصوير البياني لدى محمد بلو من خلال ديوان إفادة الطالبين. مجلة اللسان تصدر عن الجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا (أسلن). (١٠)، ٣، ١٠٠ - ١١٣.
- أرغنغ، إدريس أبوبكر. (٢٠٢١م). من صور وجه التشبيه في بعض أحاديث الترمذي. مجلة اللسان تصدر عن الجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا (أسلن). (١٢)، ٣، ٢٢٤ - ٢٣٨.
- خطيجة، عمر علي. (٢٠١٨م). صور الخيال الشعري في قصائد محمد تکر الباغوي. مجلة اللسان تصدر عن الجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا (أسلن). (١٠)، ٣، ٧٩ - ٩٩.
- عبد الله، الحاج يعقوب. (٢٠١٩م). جمال التشبيه التمثيلي وخصائصه في القرآن الكريم. مجلة اللسان تصدر عن الجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا (أسلن). (١١)، ٣، ١٤٧ - ١٥٦.
- ياي، أبوبكر محمد. (٢٠٢١م). التشبيه المفرد في ديوان "جنة الأشعار" للقمان نور الدين ألاوبي. مجلة اللسان تصدر عن الجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا (أسلن). (١٢)، ٣، ٢٠٥ - ٢٢٣.



دراسة لبعض الأنماط النحوية والأسلوبية في نص مسؤولية الإمام

لمحمد الأول أبوبكر الكنوي

الدكتور موسى حسين محمد البشير (أريكيوسولا)

محاضر بقسم اللغة العربية، والدراسات الدولية، كلية الآداب،

جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.

musa.hmb@unilorin.edu.ng

08034287956

المقدمة:

تعد الدراسات الأسلوبية نوعاً من الحوار الدائم بين المتلقي والكاتب من خلال نصّ معين، وكثيراً ما يتم هذا الحوار على المستويات الأربعة: الصوتي واللفظي والتركيب والنصي، ولكل من هذه المستويات ظواهر أسلوبية محكمة يستخدمها الكاتب الأسلوب لمعالجة دراسته، ولإبراز ما لنص من رونق وروعة وجمال. وهذه المقالة تهدف إلى عرض بعض الأنماط التركيبية النحوية التي تعتبر ظاهرة من الظواهر الأسلوبية ذات صلة وثيقة. ومهمة هامة في توصيل رسالة للمتلقي في بعض نصوص كتاب مذكرة إمام وخطيب في مناخ جامعي لمحمد أول أبي بكر الكانوي، وقد احتوى المقال على نقاط آتية:

- ترجمة حياة الكاتب.
- مضامين خطبة المنبرية.
- مسؤوليات الإمام.
- الأنماط التركيبية النحوية.
- أسلوبية الربط الدلالي.
- وتدرجه في المذكرات.
- الإضافات التي أضافها الإمام عند إلقاء لخطب الجمعة.
- الخاتمة.



ترجمة حياة محمد الأول أبوبكر

انتسب أصل محمد الأول أبوبكر إلى أصل هوساوي محض، ولد جده في لُكُورو من قرى إمارة زاريا، وعاش بها قبل هجرته إلى مدينة كنو حيث ولد والده بحّي مقررارى كنوا، وفي الحي نفسه ولد المترجم عام ١٩٤٨م، وفيه نشأ وترعرع حتى التحق بمدرسة علوم الدين الابتدائية، وتعلّم بها حتى تخرّج سنة ١٩٦٢م، ثم واصل دراسته بمدرسة الدراسات العربية كنوا، وتخرج منها سنة ١٩٦٩م، ولشغفه بتحصيل العلم ورغبته في الاستزادة لم يلبث أن دخل كلية عبد الله بايرو جامعة أحمد بلو زاريا سنة ١٩٦٥م، ومكث بها أربع سنوات حتى تخرّج سنة ١٩٧٤م ونال فيها شهادة الليسانس في اللغة العربية. ثم لم يأل جهدا حتى حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في النقد الأدبي الحديث من جامعة أدنبره خلال عامي ١٩٧٨م و ١٩٨٤م^(١).

وظيفته:

اشتغل صاحب الترجمة منذ أن ظهر نبوغه مهنة التدريس بدءا بالمرحلة الابتدائية الحكومية بتاريخ ١٩٧٠ إلى ١٩٧٤م، وبعد ذلك خدم الوطن بقسم اللغة العربية جامعة أحمد بللو زاريا فيما بين ١٩٧٤-١٩٧٥م،^٢ واشتغل بالتدريس في قسم الدراسات التمهيديّة بمدرسة الدراسات العامة بجامعة عبد الله بايرو، كنوا خلال ١٩٧٥م-١٩٧٩م، ومنذئذ واصل المهنة نفسها بقسم اللغة العربية بجامعة عبد الله بايرو حتى استقال منها عن طوعية وعن طيب خاطر^(٣).

قد شارك المترجم عنه في المؤتمرات الدولية والعالمية، وقدم فيها مقالات علمية في الميدان الأدبي والنقدي والثقافي والاجتماعي^(٤).

لمحة من منشوراته:

سيد قطب والنقد الأدبي:

أودع الكاتب ذلك الكتاب سنة ١٩٩٢م بدار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض المملكة العربية. ثم أعيد نشره لنفاد الطبعة الأولى، وعدم وصوله إلى نيجيريا بصفة ترضى المؤلف عام ٢٠١١م بدار الحكمية للكتاب الإسلامي^(٥).

حين تعيينه إماماً راتباً للمسجد الجديد بالسكن الجامعي لكادر كبار الأكاديمين^(٩): قضى صاحب الترجمة حولا كاملا بوصفه إماماً راتباً، وقام أحسن القيام بمهامه حيث كان يحافظ على تأدية الصلاة بالجماعة في أوقاتها المعيّنة، وكان يعقد -كعاداته- حلقات التعليم وينظم المجالس للوعظ والإرشاد وكان يدبر شؤون المسجد بواسطة اللجنة التي أقامها للعناية بعمارة المسجد وإدارته.

سرد الوقائع سرداً زمانياً بتسلسل منطقي بعد تحول المسجد الجديد إلى جامع تقام فيه الجمع. و في هذا العهد تحول المسجد الذي يصلي فيه صاحب الترجمة إماماً راتباً إلى جامع بعد توفر الشروط اللازمة لإقامة الجمعة تيسيراً على سكان الحرم الجامعي الجديد، والقرى المجاورة له الذين كان عليهم أن يقطعوا المسافة البعيدة ليشهدوا الجمع في الحرم الجامعي القديم، وألقى الخطبة الأولى في أول أسبوع من رمضان أحد معاوين أمير المدينة للشؤون الدينية إشعاراً بافتتاحه الرسمي.

وتناوب الإمامة وإلقاء الخطب في المسجد ثلاثة من أساتذة الجامعة ويترجم لهم صاحب الترجمة إلى اللغة المحلية. وفي النهاية تمت مشاركته معهم في إلقاء الخطب بالتناوب، بطلب منهم. ثم تولى عبء الخطاب برمته. وفي ذلك الحين أثار قضية حساسة متمثلة في ترجمة الخطبة إلى اللغة المحلية، وصارت سمة تميز جامعهم عن غيرها من الجوامع في المدينة. إن هذه السمة تخالف المذهب المالكي، الذي تمسك به الجمهور في المدينة؛ واعترض عليه بعضهم حتى أرسل إليه قاض شرعي متقاعد من أهل المدينة صفحة مصورة من كتاب فقهي مشهور في المذهب المالكي يمكن أن يفهم منه المنع (منع ترجمة خطبة الجمعة أو العيدين إلى اللغة المحلية).

وبالخلاصة تغطي هذه الدراسة "السيرة الذاتية" لمحمد الأول أبوبكر مراحل حياته

التالية:

١- عند ما كان مترجماً بالمسجد القديم حيث أبدى سروره قبل سفره بقوله^(١٠):

إخوتي الأعزاء السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: إن سروري لا يقدر

بالنسبة لهذا التكريم العظيم الذي أحطتموني به، والله يعلم أن عيني

فاضت من التأثير لما ذكره الخطباء نيابة عنكم من الكلمات الطيبة

بخصوصي، ولم تصدّق أذني أي صاحب المناقب التي وردت في
كلماتهم، وأرجو من كل قلبي أن أكون عند حسن ظنكم بي،
فالمؤمن مرآة أخيه.

إن قيامي بمهام الإمامة في هذا الجامع المبارك وما تبع ذلك من عمل
دعوي على مختلف المستويات قد علّمني الكثير، وأتاح لي أن أعيش
تجارب غنية، وأكتسب خبرة لن أشعر بعدها بالغرابة في عمل الدعوة
في البلد الذي سيستضيفني على هذا النحو أعتبر هذا الجامع ورواده
الأفاضل من أقوى عوامل تكويني كداعية. فالله المولى القدير أدعو
أن يبارككم ويتولى جزاءكم.

وأخيرا أوجه نداء خاصا للنائب الأول للإمام بمواصلة السير على
الدرب والمثابرة على العمل، وهو بعد ليس محل شك من حيث
علمه وخلقه وقدراته كداعية، وهي قدرات برهن عليها بما فيه
الكفاية. كذلك أوجه النداء إلى جميع أعضاء إدارة الجامع أن
يتكاتفوا لمواصلة العمل على الاحتفاظ بالمكانة التي يحتلها الجامع في
قلوب رواده وليتذكر بعضنا الآخر في صالح الدعوات دوما، كان الله
في عونكم ورعايتكم.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

قامت هذه الحفلة بعد يومين من آخر جمعة كان فيها الإمام خطيبا
قبل سفره، وكان قد انتشر خبر السفر وسط المجتمع الجامعي والقرى
القريبة وكانت ردود الفعل عن هذا السفر مختلفة، فمعظم المستنيرين
من هؤلاء اعتبروه ظاهرة عادية وعلامة صحة تبشر بالخير بالنسبة
للإمام نفسه ومسجده الجامع. فرغبته المعروفة للكتابة وما يطوى في
ذلك من قراءات جديدة ستتحقق بصورة لا يحلم بها وهو يباشر
زعامته الروحية كإمام، إلى شغله الرسمي كجامعي ومهامه الشخصية،
كرب أسرهِ كبيرة. ثم إن التجارب المختلفة التي سيعيشها في المجتمع

الجديد الذي سيستقبله ستشحذ من مواهبه وتجاربه السابقة كداعية وجامعي، هذا إلى ما سيتيح السفر من تحسين ظروفه المادية بعد العودة، ومن جهة أخرى سيتيح السفر للنائب الأول للإمام فرصة يستكمل فيها مواهبه التي بدأت براعمها تتفتح في مجال الدعوة، أما الآخرون فلقلة استنارتهم وتحكيمهم للعواطف لم يروا ضرورة في السفر، فالإمام كما عرفوا حامل على أعلى شهادة تمنحها الجامعات، وهو يحظى باحترام الجميع من حيث علمه وخلقه وأدائه وهو رب أسرة كبيرة ستعرض لشتى المتاعب مهما كانت الترتيبات التي نظمها ليخفف الوطأة عليهم، كما سيتعرض أطفاله بوجه خاص لنوع من الترهل في السلوك الأخلاقي وإلى هذا كله لم يستطيعوا أن يفهموا كيف يتخلّى عن إمامته الموقرة، ليتركها في أيدي تنقصها الخبرة، وكانوا يرون في السفر ما يشبه الفرار من مواقع الجهاد في سبيل الله على أن بعض المستنيرين أنفسهم وإن لم يشاركوا هؤلاء عقليا في أسلوب تفكيرهم، إلا أنهم شاركوهم عاطفيا في استبقاء الإمام ولكن دون جدوى، فقد تألفت أوراخهم معه، ثم جاء عامل الزمن بما يحمل من شهادة ناصعة على كفاءة الإمام فوق العادية فوطد من هذا التآلف بحيث لا يقبلون ما يهزه.

خطب الإمام في آخر جمعة له عن المساجد ودورها كمشاعل يشع منها نور الإيمان، وبيوت يذكر فيها اسم الله، ويبنى فيها شخصية الفرد المسلم والجماعة المسلمة للاضطلاع بالدور الحضاري الذي جاء الإسلام لتحقيقه. وهذه المكانة التي تحتلها المساجد، استمر الإمام موضحا، تستند أولا إلى شهادة كتاب الله بأن المؤمنين بالله واليوم الآخر حقا هم رواد المساجد ليناجوا ربهم ويوطدوا أواصر الأخي فيما بينهم ويتلقوا تربية دينهم. وقد سمى الله هؤلاء الرواد في مكان آخر من كتابه بالرجال، ليس فقط من حيث الجنس بل لأنهم كذلك رجال في عالم النفس والعقل، فهم منطوون على نفوس قويّة وإرادة صلبة في مواجهة شواغل الحياة وأهوائها، فلا تلهيهم عن ذكر ربهم وما يتبع ذلك من شعائر وواجبات. وتستند هذه

المكانة ثانيا إلى عمل الرسول حين أراد أن يكون المجتمع المسلم الأول في المدينة حيث شكّل بناء مسجده الشريف أحد أمرين اثنين باشرهما، والأمر الآخر هو عقد التآخي بين المسلمين، فإذا كان هذا التآخي عملية بناء فردية واجتماعية، فإن المسجد هو الذي يحتضن هذه العملية ليلبغ الغاية المنشودة، وهكذا كان المسجد في عهد الرسول مكانا تقام فيه الصلاة وتلقى الدروس التربوية وتناقش جميع الشؤون التي تهم المسلمين في دينهم ودنياهم، فاستقام عن ذلك كلّ بناء الأفراد والجماعة على نحو نموذجي يشكّل مصدر إلهام للأجيال الصاعدة.

وانتقل الإمام بعد ذلك ليقرر أن صحوة المسلمين عبر العصور المختلفة بما في ذلك عصرنا الحديث ارتبطت ارتباطا وثيقا بإحياء رسالة المساجد في وعي الأمة. حقّا إن مؤشرات الصحوة الإسلامية بادية على أفق هذا البلد، ولكنها مؤشرات لا تنتظم في عقد فكري مدروس ولا تستند إلى أسس تربوية بناءة ومتعمدة، ومن ثم فهي قريبة الغور طافحة على السطح تهزها أقل الرياح عصفاء، ولعل هذا ما يفسر أخذ معظم الشعب المسلم عندنا من الدين بالقلب دون القلب والاكتفاء منه بالطقوس والشعائر دون التغلغل في الجوهر واللب، وهنا تكمن أهمية احتضان رسالة المساجد وتعميقها لا أحد يزعم أن احتضان هذه الرسالة سيعجل بالنتائج المرجوة للصحوة الحقيقية، وإعادة بناء الفرد والجماعة تحت ظروف حضارية شديدة العداء للإسلام من الداخل والخارج ليست سهلة على الإطلاق، ولكن ذلك هو الطريق المضمون لخلق توعية شعبية عامة في هذا الصدد. ولنتذكر دائما، يقول الإمام منهايا خطبته، أن من واجبنا أن تكون خطواتنا في طريق الصحوة سديدة وصائبة، والنتائج المرجوة بيد الله وعد بها من بذل قصارى الجهد وأحسن العمل^{١٠}.

وعلى إثر انتهاء الخطبة والصلاة أعلن الإمام عن سفره المزمع، وأن تلك آخر جمعة له قبل السفر، وأنه يودّع رواد المسجد الحاضر والغائب، ويرجوهم أن يشركوه في صالح دعواتهم^{١١}.

مضامين خطبه المنبرية ومسؤوليات الإمام:

مضامين خطبة المنبرية:

- ١ - تصحيح المفاهيم العقدية.
- ٢ - اللجوء إلى القرآن والالتزام بما ورد من السنن وأدعية مأثورة.
- ٣ - الأخذ بالأسباب حسب الطاقة البشرية.

- ٤ - العزم والتوكل على الله.
- ٥ - إعادة مفهوم الإسلام لقيمة العمل وتحسين الإنتاج سعياً وراء تحقيق عمارة الأرض كما أمر الله وتهئية حياة مادية كريمة للإنسان المسلم دون التنكر للجانب الروحي في خلقه.
- ٦ - عدم صحة القول بأن الدنيا ليست للمؤمن وإنما هي جنة للكافر. وَعَدَّهُ مفهوماً خاطئاً.
- ٧ - شمولية الصلاة لمعاني الطهر الحسي والمعنوي، انطلاقاً من الوضوء وانتهاءً بالمناجات التي تكمن في أداء الصلاة في أوقاتها المعينة.
- ٨ - حضّ أغنياء المسلمين على أداء الزكاة وضرورة أدائها أداءً إسلامياً وإيجاد جهاز للجمع والتوزيع تخفيفاً من معاناة المحاييج المعوزين.
- ٩ - حث المجتمع على عبادة الصيام، وتدريب الصغار عليها.
- ١٠ - إشادة بحرص قومه على المؤتمر الإسلامي العالمي المتمثل في الحجّ ومدى أثر إيجابيّ كامن في هذه الشعيرة الإسلامية كما أن الحج يدرّب الأمة الإسلامية كيفية مواجهة التحديات المعاصرة، ورسمه للحلول الإسلامية للمشاكل التي تعترض طريق نمو الإسلام والمسلمين في العالم الإسلامي، بعد دراسة تلك المشاكل.
- ١١ - توجيه الخطبة نحو لبنة مثالية وضعها الإسلام، لنظام الأسرة، منطلقاً من اختيار الزوجة وماراً ببيان المعاشرة بالمعروف بين الزوجين، وتربية الأولاد تربية تبؤهم المكانة اللائقة بهم في المجتمع محلياً، وإقليمياً، ودولياً، وعالمياً.
- ١٢ - تناول صاحب الترجمة قضية حساسية من قضايا الإسلام، وهي قضية فلسطين كما أبرزت الخطبة مذبحة المسلمين في الهند، وسكوت المسلمين عن ذلك كما أبدى عجز المسلمين في إطفاء نار الشجار في حَرْبِ الخليج الأولى والثانية، وتركيز الخطبة على فشلهم في إعادة السلم لأهل الصومال.
- ١٣ - تنويه بالصحة الإسلامية، وتحريض الأمة الإسلامية على تلائم حياتها مع عقيدتها وتاريخها وثقافتها.
- ١٤ - إقامة الصرح الإسلامي العالمي، عقب هبوط الاتحاد السوفيتي بكل ما يعنيه الإسلام.
- ١٥ - نقد إدارة جامعته في محاولتها لسلب وظيفته وإمامته عقب تلك الخطبة.
- ١٦ - الموافقة لخطبه لدى وجهاء البلد المثقفين من رواد المسجد.

١٧- عاب على دور النشر قصر اهتمامهم بنشر الكتب على المؤلفين الذين يتمتعون بالمرتبة الاجتماعية، مما يتيح للكتب المنشورة أن تدخل قائمة المقررات المدرسية. قيام صاحب الترجمة بطبع كتابه بعنوان "من رسالة الإسلام" على نفقته الخاصة في نسخ غير كثيرة، بدین استلفه.

١٨- نجاحه في الكتاب ماديا ومعنويا، أما نجاحه من ناحية المادة فتكمن في تلّصه من ربه الدين، والمعنوية في نيل كتابه قبولا من الناس.

مسؤوليات الإمام:

- ١- إمامته للصلوات المفروضة والمسنونة.
 - ٢- إلقاء الخطبة المنبرية في كل جمعة.
 - ٣- فتح مشاريع تربوية إسلامية متمثلة في فتح فصول مسائية وإشراف الإمام عليها لتزويد أبناء المسلمين بدروس خاصة، تقوى ما يتلقونه في المدارس الحكومية.
 - ٤- إشراف على حفل عقد الزواج والعقيقة.
 - ٥- عقد الصلح بين الزوجين المتشاجرين.
- نلاحظ من خبرات صاحب الترجمة أنه لم يسرد لنا محتويات الخطبة ومسؤوليات الإمام لإمتاعنا فحسب، بل سردها وسلّط الضوء عليها لنستنتج منها أن من المفروض على الإمام الخطيب أن يختار الموضوعات الحساسة التي تمت بصلة بالقضايا الدينية والتحديات المعاصرة التي تواجه المسلمين محلياً، وإقليمياً، ودولياً، وهاك خلاصة تلك القضايا:
- أ- القضايا الدينية.

ب- القضايا الاجتماعية.

ج- التحديات السياسية

د- التحديات الاقتصادية.

هـ- التحديات الثقافية.

و- التحديات الأخلاقية.

ومن المستنتجات أيضا ما نرى في المشهد السابع الأخير من سرد الكاتب لوصيات الإمام الخطيب ومسؤولياته كالآتي:

١- التزام بما ورد في الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

٢- مشاورة الجماعة قبل فصل الخطاب وإبرام الأمر.

٣- الإلمام بمعرفة ما نقيم به الشعائر الدينية.

٤- التوعية الدينية المتواصلة.

٥- الاستعداد للإصلاح بين المتخاصمين^(١٣).

أنماط النحوية (التركيبية):

تتبع المحللون الأسلوبيون أنماط التركيب النحوي ووجدوها على قسمين:

الأول: تركيب بسيط مثل محمد رسول الله أو جاء الولد، إن الصفا والمروة من شعائر الله، جاء إبراهيم وعلي راكبين.

والثاني: تركيب غير بسيط وهو على ثلاثة أقسام:

فالأول: مركب مثل: سافر مدير الجامعة إلى لندن، وسيرجع يوم الجمعة القادمة.

والثاني: المؤلف: مثل قوله تعالى: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم".

الثالث: مركب مؤلف (المعقدة) مثل قوله تعالى: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم..." إلخ.

والتركيب من هذا النوع يغلب معظم صفحات الكتاب حيث إن الباحث -بعد تتبعه-

لاحظ أنه لم تخل صفحة عن هذا الصنف من التركيب وإليك بعض نماذج منه:

وقد تأكدت الحاجة إلى إلقاء هذه الدروس من منطلق أن الغالبية

العظمى ممن نظمت لأجلهم كانت خلفيتهم الثقافية علمانية الصبغة

فبعضهم لم يتلق من الثقافة الإسلامية إلا ما تيسر له في الكتاب،

وما يتيح منهج التربية الدينية الشحيح في المرحلتين الابتدائية

والثانوية وفي غيبة المقررات الدراسية المناسبة والمدرسين الأكفاء إلا

ما يتلقفون من البرامج الدينية في الإذاعة والتلفزة^(١٤).

ومنه أيضا قوله:

وقد فرشت بعض أرض المسجد بحصر بلاستكين أولا ثم تغيرت إلى فراش فاخر مستعمل تبرع به المسجد الجامع في الحرم القديم حين أكتسي فراشا فاخرا جديدا، وأخيرا تتبرع أحد المحسنين بفراش كافة أرض المسجد بفراش فاخر جديد أدكن اللون^(١٥).

ومن هذا القبيل قوله:

وهكذا يتضح عدم التكافئ بين المسجد المتواضع ووضع الحرم الجامعي الجديد، حيث مقر الإدارة العامة للجامعة والبيت الرسمي لمدير الجامعة ومقر كبريات الكليات. على أن المسجد منذ تأسيسه لم يقصد منه أن يقوم بهذا الدور كما هو الشأن بالنسبة للمسجد في الحرم الجامعي القديم، والذي يسبقه بعقد من الزمن، بل هو من نوع المساجد الكثيرة التي يجب أن توجد أي وجدت المجتمعات المسلمة صغيرة كانت أو كبيرة إذ أن ذلك من أبرز المعالم على ذاتيتها وكيانها^(١٦).

إلا أن الأدباء (الشعراء والخطباء والكتّاب) يخرجون على قواعد اللغة وأنماطها التركيبية أحيانا رغبة في الإبداع أو ضرورة لإقامة الوزن الشعري أو مراعاة للفواصل النثرية. ولذلك نراهم ينحون في إيراد إبداعاتهم مناحي عدّة من تقديم وتأخير، وحذف وذكر وتعريف وتنكير، وإضمار وإظهار، وقصر ممدود ومد مقصور وتشديد وتخفيف، وتسكين وتشكيل وغيرها وفقا لما يمليه عليهم سياق الكلام.

وبناء على هذه الملاحظات فإن الباحث رصد الملامح الأسلوبية في أنماط التركيب النحوي التي وردت غالبية في أسلوب المؤلف لهذا الكتاب كما في التراكيب التي تحتها الخط في قوله التالي^(١٧):

بدأ الاختلاف إلى الكتاب وهو في الخامسة من العمر وربما قبل ذلك وكان في هذا كسائر الأطفال في أي وسط مسلم، وكان الكتاب على مسافة قريبة من بيته كان يقطعها خلال ثلاث دقائق، وكان يشرف على الكتاب ويدرس فيه من حين لآخر شيخ نحيف

البنية جاوز الستين من عمره، يكثر من السعال الذي تشتد نوباته أحيانا مما ينم عن أصابته في رئتيه، وكان صديقا لوالده على أن المعلم المنتظم في الكتاب هو الابن البكر للمشرف، ويساعده في إدارة مهامه أخوه الأصغر وأحد كبار التلاميذ في جدران هذا الكتاب تعلم الحرف العربي والخط، وحفظ ما شاء الله أن يحفظ من سور القرآن وقطع في تلاوته شوطا كبيرا. ثم عن لوالده أن يبعث به إلى قرية تبعد عن مدينته بمائة وخمسين كيلومترا، وإذا كان التحاق الأطفال بالكتاتيب القريبة من بيوتهم أمرا عاديا فإن بعث أهل المدن بأطفالهم إلى كتاتيب خارج المدن أمر نادر.

إن التركيب الأول بحسب أنماط التركيب النحوي يعد جملة مؤلفة حيث إنها تتكون من ثلاث جمل فأولها هي العمدة والاثنتان الباقيتان فضلتان معتمدتان على الأولى لفظا ورتبة. وأتبع بالجملة الحالية بقوله: "وربما قبل ذلك" لإشعار المتلقى بعدم جزم القول في تحديد سنه عند التحاقه بالكتّاب، وقوله: "وكان في هذا كسائر الأطفال في أي وسط مسلم"، يعتبر جملة بسيطة إلا أن كلمة "هذا" الواردة فيها إحالة قبلية (Anaphora) أحال بها إلى ما ابتدأ الكلام، وهو قوله: اختلاف إلى الكتّاب، وتعد هذه الإحالة نوعا من أنواع الاقتصاد اللغوي، وهو عند البلاغيين نوع من الإيجاز. وقوله: وكان يسرف على الكتاب ... إلخ جملة مركبة مؤلفة لأنها تتألف من جملة أساسية ترتبط بها جمل أخرى يتسع بها الكلام، وهي تحوى في جنباتها ما فوق خمسين كلمة. كما نلاحظ أن المؤلف قدّم المفعول على الفاعل وأورد بعض الجمل كأوصاف لذلك الشيخ استقصاء وربط قوله بالعبارة السابقة استدراكا ودفعاً على أن المعلم المنتظم إلى قوله: الابن البكر للمشرف، للإيهام الذي يحدثه كلامه السابق.

وقوله: "في جدران هذا الكتاب تعلم الحرف" إلى قوله "وقطع في تلاوته شوطا كبيرا..." جملة مؤلفة يبرز فيها وجوه الانزياح منها كلمة "جدران هذا الكتاب" حيث ذكر الجزء الذي هو "الجدران"، وأراد به الكل وهو مبنى الكتاب وكذلك أطلق لفظة "الحرف العربي"، وأراد بها العلوم العربية، واستعمال الكلمة بهذه الطريقة، هو ما أطلق البلاغيون عليه بالمجاز المرسل حيث عبّر الكاتب عن الكل بلفظ الجزء وعلاقته الجزئية. وانزياح آخر ظاهر في

تقديمه لشبه الجملة تأكيداً وإظهاراً لفضل تلك المدرسة عليه. ويؤنس في قوله: "وإذا كان التحاق الأطفال بالكتاتيب" إلى قوله... "أمر نادر" انزياح آخر بعد بساطة الجملة، وهذا الانزياح يتمثل في التكرارين المتوازيين، فالأول في "أمر عادياً" والثاني "أمر نادراً" عن طريق التضاد المعروف بـ"الطباق" في علم البديع.

أسلوبية الربط الدلالي وتدرجه في المذكرات

تدرج الربط الدلالي^(١٨)

من أهم مباحث علم النص مبحث الربط الدلالي (المعنوي) وقد تناوله علماء اللغة والأدب القدامى والمحدثون في دراسة الشعر والنثر لأهميته. وتظهر هذه الأهمية في مساعدتها للقارئ أو المتلقي للوقوف على مدى ارتباط المعنى اللاحق بالمعنى السابق من بداية الكلام حول موضوع ما إلى نهايته سواء على مستوى النص القصير كالجملتين أم على مستوى النص الطويل كالمقالة وأبواب الكتاب والرسائل العلمية. والطرق التي استخدمها في ربط الجملة بالأخرى أو الفقرة بالفقرة أو الفصل بنظيره أو الباب بصنوه لتكوين البنية العليا للنص، هي أدوات الربط بنوعيتها الظاهرة والضمنية.^(١٩)

نلاحظ في الإحصاءات لأدوات الربط السابقة نقاطاً تالية:

أ- أن حرف الواو هي الغالبة من بين أخواتها من أدوات الربط في هذه الصفحات الثلاث، وهي في معظم الأماكن التي وردت فيها تفيد مطلق الجمع بين الكلمتين أو الجملتين في كثير من الأحيان، وتفيد استئناف الجملة الجديدة وابتدائها. كما تفيد طورا آخر بيان الحال للمسند إليه أو المسند.

ب- أن الفاء هي الأكثر وروداً في الربط بين الجملتين بعد الواو. وهي تفيد الترتيب والتعقيب كما تفيد السببية بين جملة وأخواتها وكذلك تفيد الاستئناف للجملة الجديدة بعد الجملة السابقة.

ج- أن بقية الأدوات بعد التي أسلفنا الحديث عنها. هي الأقل وروداً في وظيفة الربط بين الجملتين ولكلٍ منها دلالتها في سياق النص، ف(ثم) مثلاً تدل على الترتيب والتراخي بين الجملتين. و(إذ) تفيد التعليل أي الجملة اللاحقة هي العلة في إيراد الجملة السابقة. و(إنما) تدل على القصر والتخصيص في أمور غير مجهولة. و(دونما) تفيد العطف والنفي

والحال. و(إلا) تشير إلى الاستثناء والاستدراك بمعنى رفع توهم حصل في عبارة سابقة^(٣٢). و(حتى) تفيد التعاقب والانتهاء. و(ريثما) تفيد مقدار المهلة من الزمن. و(بما أن) تفيد السببية أي أن الجملة السابقة هي التي سببت الجملة اللاحقة. وبالخلاصة نلاحظ الأدوار التي لعبتها تلك الأدوات من ربط بين الكلمة والكلمة وبين الجملة ونظيرتها في تكوين النص أو الخطاب وهي كما ترى تساعد المتلقي على إدراك ما انطوى عليه النص من مضمون ظاهر أو خفي في سياقاته المختلفة. وهكذا عملت هذه الأدوات في بقية مشاهد المذكرات وفصولها السبعة.

وإذا تتبعنا هذه الصفحات الثلاث نرى أن نصوصها تتكون من ثلاث فقرات وكلٌّ من هذه الفقرات الثلاث لم تربط بينها أداة عطف ظاهرة، وإنما ارتبط بعضها ببعض بأداة ربط ضمنية، ألا وهي أن فقرة التصدير إنما وقعت موقع تهيئة الجو لتضمنها للفقرة المحورية على وجه الإجمال والعلاقة بين التصدير والفقرة التي تليها علاقة الجزء مع الكل، وأما الفقرة الثانية والثالثة فبينها تناسب تكراري حيث إن مضمون الفقرة الثالثة بمثابة تأكيد للجملة الثانية السابقة لها. وإجادة استعمال الروابط اللفظية الظاهرة والضمنية في تكوين النص الأدبي تضيف على ذلك النظم رونقا أسلوبيا.

ب- أدوات الربط الضمنية (غير الظاهرة):

هذه الأدوات عبارة عن ربط الجملة بالجملة بدون أداة ظاهرة عن طريق الاستئناف لأغراض تالية:

١- تأكيد الجملة الأولى بالجملة الثانية منه قوله^(٣٠):

أما الناحية المعنوية ممثلة في الأمل على إقبال القراء على الكتاب والاستفادة منه فقد أسفرت عن قضية مختلفة. "بذل ما في وسعه من محاولة لتوزيع الكتاب عن طريق المكتبات المعنية في مدينته وخارجها ولكن النتيجة كانت غير مشجعة".

٢- بيان الجملة الأولى بالجملة الثانية مثل قوله^(٣١):

وخلال ما يتبقى من الشهر إما أن تعيش الأسرة على ما يشبه الحرمان إلى أن تمطر السماء كما يقولون، يقصدون بذلك قبض الراتب الجديد، أو أن يستدين رب الأسرة إن وجد إلى ذلك سبيلا.

٣- استبدال الجملة الأولى بأن تكون الجملة الثانية بدلا عن الجملة الأولى مثل قوله: (٢٢)
فقد وعد الله، ووعدته الحق، كل من بذل الجهد الصادق في سبيله أن ينير له
الطريق وأن يكون معه إذ أثبت بسلوكه العملي أنه محسن يراقب الله فيما يأتي
ويذر.

٤- أن تكون جوابا لسؤال مقدر ناشئ عن الجملة الأولى مثل قوله: (٢٣)
على أن مواعيد الصلاة المحددة في المسجد فيما عدا صلاة المغرب كان يسبقها
الأذان بربع ساعة يعطي للمصلين فرصة التهيؤ للصلاة، أما المغرب فإنها تقام
بانتهاؤ الأذان على فرض أن المصلين يكونون على استعداد للصلاة قبل الأذان.
الحق أن من المسموح به شرعا الانتظار بعد أذان المغرب كما هو الشأن بالنسبة
للصلوات الأخرى، إذ الأذان في ذاته إعلام بالتهيؤ للصلاة، فلا معنى له إذا لم
يتحقق منه هذا.

٥- أن تكون الجملة الثانية المستأنفة سببا للجملة الأولى مثل قوله: (٢٤):
إخوتي الأعزاء. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. إن سروري لا يقدر
بالنسبة لهذا التكريم العظيم الذي أحطتموني به.
٦- أن تكون الثانية نتيجة للجملة الأولى كقوله: (٢٥):

لا يبعد الحرم الجامعي القديم كثيرا عن المدينة العريقة في إسلامها وثقافتها، مما
يحقق في سهولة ويسر التعاون الثقافي بين الجامعة والجماعة الذين يشكلون بيئتها
العامة.

الاستقصاء (باستخدام أدوات الربط الظاهرة والضمنية) (٢٦):
هو تصعيد المعنى والوصول به إلى غاية وهو عند ابن رشيق "التتميم"، ويعنى به ابن
رشيق أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئا يتم به حسنه إلا أورده وأتى به، إما مبالغة وإما
احتياطا واحتراسا من التقصير. وخير ما يماثل هذا النوع ما ورد في "مذكرات إمام وخطيب في
مناخ جامعي" التي تحت النقاش النص التالي:

وتقدم من الحلقة شاب نحيف البنية في منتصف الثلاثينيات قصير
القامة، ملتح يلبس قفطانا رمادي اللون، على رأسه وكميه الضيقين
تطريز بسيط من لون القفطان ذاته متربع، على رأسه طربوش أحمر
اللون قديم تأكل صوفه وانحرف اعتدال فوهته، رفع الشاب كفيه داعيا
بصالح الدعوات لإمام المسجد الجامع وخطيبه بمناسبة سفره القريب إلى
إحدى الدول الإفريقية للتفرغ في جامعها الإسلامية، كما دعا بما فيه
خير الإسلام والمسلمين.

فإن العبارات التي تحتها خط تعتبر تتيما واستقصاءا للجملة الأساسية لأنها هي التي
أتت بأوصاف الشاب وملابسها. وكرر لفظة "الشاب" المعروف بـ"أل" العهدية إشارة إلى
الشاب المعهود وردًا لذهن المتلقي إلى ذكره بكل ما وصف به لتأكيد قوله. وقوله "ورفع
الشاب كفيه داعيا..." إلخ بالعبرة السابقة بيان لغرض تشخيص ذلك الشاب أمام تلك الحلقة
وعلته المتمثلة في دعائه لإمام المسجد الجامع وخطيبه الذي على وشك السفر من بلده إلى
إحدى الدول الإفريقية^(٢٧).

الأسلوب غير المباشر

يؤنس في هذا النص أيضا أن الكاتب سلك في عرض معظم نصوص كتابه مسلك
الخطاب غير المباشر، حيث أشار إلى نفسه كأنه يتكلم عن شخص آخر مع أنه يتحدث عن
نفسه، مثل قوله: "لإمام المسجد الجامع وخطيبه". ولو أراد التصريح لقال في ذلك السياق:
لي بصفتي إمام الجامع وخطيبه.

ومن علماء البلاغة والنقد حازم القرطاجني وهو الذي يحدد أربعة أنماط للاتصال بين
الفصول أو الأبواب: للتأليف النص الكلي^(٢٨)

- ١ - ضرب متصل العبارة والغرض.
- ٢ - ضرب متصل الغرض منفصل العبارة.
- ٣ - ضرب متصل العبارة منفصل الغرض.
- ٤ - ضرب منفصل الغرض والعبارة.

ولاحظنا أن المؤلف قد راعى لتحقيق الصلات الوثيقة بين الفقرات والمشاهد الواردة في مذكراته العلاقات الجوهرية العشر التي وضعها الإمام السيوطي لمثابة عناصر الربط الدلالي والمضموني وهي كالآتي^(٢٩):

- ١ - تفصيل الجمل بين النصين.
- ٢ - علاقة التلازم والاتحاد بين فقرات المقالة.
- ٣ - تشابه الأطراف بين فصول البحث أو الأطروحة.
- ٤ - علاقة المقابلة بين البابين أو الفصلين.
- ٥ - علاقة المقارنة بين فكرتين.
- ٦ - علاقة الملازمة بين النصين.
- ٧ - علاقة التحقيق والتأكيد بين الجملتين أو النصين.
- ٨ - بيان العلة بين الجملتين أو الفقرتين.
- ٩ - الإتمام أو العطف بين الجملتين كأن تكون الثانية تمته للأولى.
- ١٠ - وصف الإطار الزمني بأن تكون الجملة أو القطعة الثانية تحديد الزمن الحادثة في الجملة الأولى.

وتأسيسا على ذلك فإن هذه المذكرات بأساليبها المتنوعة قد سارت على المعايير الموضوعية لإحداث الوحدة العضوية بين مشاهدتها التي تتكون منها بنيتها العليا.

الإضافات التي أضافها الإمام في إلقائه لخطب الجمعة:

- اختيار القضايا المعاصرة في المنظور الإسلامي ومعالجتها بطريق تلائم الاتجاه الإسلامي.
- إبداع الخطب المنبرية بالتصور الإسلامي.
- ترجمة الخطب العربية إلى اللغة المحلية لتوسيع الفهم الصحيح والوعي الدقيق للرسالة الإسلامية لدى المتلقين على اختلاف أجناسهم.
- بث الخطبة المنبرية بأجهزة الإعلام الحديثة لنشر الدعوة الإسلامية في أنحاء نيجيريا وخارجها.

وبالخلاصة نرى في ثنايا هذه المذكرات مدى توفيق المؤلف لهذا العرض، وحسن إجادته لطرق استخدام أدوات الربط الظاهرة والضمنية لسبك مفردات الجملة حتى اتسقت

كلمات الكتاب واتحدت فقراتها حتى أدت بنا إلى بنية كلية وقدمت لنا مشاهد المذكرات السبعة تقديمًا رائعًا رائعًا.

الخاتمة:

من خلال تطوافنا في هذا المقال أدركنا ما تحقق لأدينا الكاتب لكتاب الموسوم بـ "مذكرة إمام وخطيب في مناخ جامعي" من المقدرة العلمية وطول باعه في حقل دراسات اللغوية ومدى سعة ثقافته الأدبية وطول مزاويلته لنشر التعليم العربي. وهذا ما لمحناه ولاحظناه عند دراستنا لبعض نصوص ذلك الكتاب المذكور آنفاً. وقد وجدناه صانعاً متقناً وكاتباً ماهراً في حسن توظيفه لأدوات الربط الدلالي وفي تعبيراته الحاوية لأنواع الأنماط التركيبية النحوية كما تعرضنا لها في هذا المقال. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إحاطة الأديب بأمهات الكتب العربية التراثية وإتقانها لأفانين القول وطرائق الكتاب حتى أفادنا بما لا نرى مثله إلا ممن كان على قلبه ومن تربع على مثل عرشه العلمي، وتمكنه اللغوي وتفننه البلاغي. وصح إطلاق لفظة "الأديب" عليه لأنه أخذ من كل فن بطرف. وتأسيساً على هذا، فإني رأيت أن إعادة النظر للمذكرة تؤدي بالقارئ إلى الوقوف إلى ما لم يعثر عليه صاحب هذا المقال. والله من وراء القصد، وهو ولي التوفيق.

الهوامش والمراجع:

- ١- محمد الأول أبوبكر، محمد النويهي والنقد الأدبي، دار أبا للطباعة والنشر كانوا - نيجيريا، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٢٠م، الغلاف الأخير.
- ٢- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، الغلاف الأخير.
- ٣- مقابلة شفوية بين الباحث والمؤلف في كنو.
- ٤- سيرة ذاتية للمؤلف (C V)
- ٥- محمد الأول أبوبكر (الأستاذ الدكتور)، سيد قطب والنقد الأدبي، ط ٢، دار الحكمة للكتاب الإسلامي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص: ج-د

- ٦- محمد الأول أبوبكر، محمد النويهي والنقد الأدبي، دار أبا للطباعة والنشر كانوا -
نيجيريا، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٢٠م، الغلاف الأخير. ص: i-iv
- ٧- سيرة ذاتية للمؤلف (C V)
- ٨- محمد الأول أبوبكر (الأستاذ الدكتور)، سيد قطب والنقد الأدبي، ط٢، دار الحكمة
للكتاب الإسلامي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص: ٩٤-١٠١
- ٩- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، ص: ٢٧-٣٠
- ١٠- محمد الأول أبوبكر، المرجع ذاته، ص: ٣٣-٣٥
- ١١- محمد الأول أبوبكر، المرجع ذاته، ص: ٨-١١
- ١٢- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، ص: ١٥-١٦
- ١٣- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، ص: ٢-٤
- ١٤- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، ص: ٢-٣
- ١٥- جميل عبد المجيد، بلاغة النص: مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الطبعة ١٩٩٩م، دار
غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ص: ٥-١٠
- ١٦- جميل عبد المجيد، المرجع نفسه، ص: ٤٤
- ١٧- جميل عبد المجيد، المرجع نفسه، ص: ٣٥
- ١٨- جميل عبد المجيد، المرجع نفسه، ص: ٣٥-٣٦
- ١٩- جميل عبد المجيد، المرجع ذاته، ص: ١٨-٢٠
- ٢٠- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط ٢،
القاهرة، مكتبة الآداب القاهرة، ٢٠٠٩م، ص: ٨-١٥
- ٢١- محمد الأول أبوبكر، مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي، ط١،
١٤١٦هـ/١٩٩٥م، مكتب الأدب الإسلامي المعاصر، ص: ٩-١٦
- ٢٢- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، ص: ٧٣
- ٢٣- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، ص: ٦
- ٢٤- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، ص: ٤١
- ٢٥- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، ص: ٨



- ٢٦- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، ص: ٢٦
- ٢٧- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط٢، القاهرة، مكتبة الآداب القاهرة، ٢٠٠٩م، ص: ١٣٨
- ٢٨- محمد الأول أبوبكر، مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، مكتب الأدب الإسلامي المعاصر، ص: ٤
- ٢٩- شفيق السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، ط ٢، القاهرة، مكتبة الآداب القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٠-١٣



الخطاب أداة للتواصل والتأثير: دراسة تاريخية

بابا الحاج علي

قسم اللغة العربية، جامعة أبوجا نيجيريا

Baba Alhaji Ali
Department of Arabic.
University of Abuja
balhajiali79@gmail.com

٠٨٠٦٥١٥٨٦٦٠

مستخلص

يتناول هذا المقال الخطاب الذي هو أداة هامة للتواصل والتأثير في المجتمع، ويتطلب فهماً عميقاً لطبيعته وتطبيقاته المختلفة. إن دراسة الخطاب تساعدنا على فهم كيفية استخدام اللغة في بناء المعاني والتأثير على الجمهور، مما يجعله مجالاً حيويًا للدراسة والتحليل. ويتناول مفهوم الخطاب وتعريفاته في اللغة والاصطلاح، مع التركيز على تطور هذا المفهوم في العلوم الإنسانية والاجتماعية. يشرح المقال أنواع الخطاب المختلفة، مثل الخطاب الديماغوجي، والخطاب السياسي، والخطاب الديني، والخطاب الإشهاري، مع توضيح خصائص كل نوع.

مقدمة

يُعد مصطلح "الخطاب" من المصطلحات الشائعة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وقد ظهر استعمال هذا المصطلح بشكل واسع منذ ستينيات القرن الماضي. وقد تعددت في تحديد مفهومه العبارات والدلالات، وتباينت فيه الآراء والتعريفات، ويعود سبب هذا التعدد والاختلاف إلى الميادين المعرفية التي تناولت مفهومه بأدواتها وأساليبها التحليلية، وإذا ما حاولنا تأصيل مفهوم الخطاب، فعلينا العودة ابتداءً إلى تراثنا اللغوي وتحديدًا إلى المعاجم العربية، لنقارن بين ما ورد فيها وما ورد في المعاجم الغربية، ونطلع بعد ذلك على أهم التعريفات اللغوية والاصطلاحية التي قدّمها كبار المنظرين والباحثين في الثقافة الغربية، حتى نخرج بأهم الخلاصات حول مفهوم الخطاب وخصائصه^١.

أولاً: التعريف اللغوي للخطاب

إن لفظ الخطاب في اللغة مشتق من مادة (خ ط ب) ويحمل دلالات ومعاني متعددة، ولكثرتها سنقتصر على ما يخدم المعنى الذي نتحدث عنه، دون أن نخوض في كل تلك المعاني الكثيرة والبعيدة جداً عن موضوعنا، ولنبدأ بما ورد في مختار الصحاح: "خطب خ ط ب: خاطبهُ بالكلام مُخاطَبَةً وخطاباً، وخطب على المنبر حُطْبَةً بضم الخاء وخطابةً، وخطب المرأة في النكاح حِطْبَةً بكسر الخاء يخطب بضم الطاء فيهما، وخطب من باب ظرف صار خطيباً"^٢.

أما في لسان العرب فنقف على شيء من التفصيل في مادة (خ ط ب) حيث يقول ابن منظور: "والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال؛ ومنه قولهم: جل الخطب أي عظم الأمر والشأن، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان. وخطب الخاطب على المنبر، واحتطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخطبة ... وهو أن الخطبة اسم للكلام، الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر، ... وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع، ونحوه. التهذيب: والخطبة، مثل الرسالة، التي لها أول وآخر"^٣.

وقد أورد سعيد يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي، نقلاً عن معجم اللسانيات، أن أصحاب هذا المعجم جعلوا للخطاب ثلاثة تحديدات، وهي:

أولاً: اللغة في طور العمل، أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة، وهو هنا مرادف للكلام بتحديد دو سوسير، وهو يعني (ثانياً): وحدة توازي أو تفوق الجملة، ويتكون من متتالية تشكل مرسلتها لها بداية ونهاية، وهو هنا مرادف الملفوظ، أما التحديد الثالث: فيتجلى في استعمال الخطاب لكل ملفوظ يتعدى الجملة منظوراً إليه من وجهة قواعد تسلسل متتاليات الجمل.^٤

فيتضح لنا من خلال ما سبق، أن من أبرز الدلالات التي يتناولها مفهوم الخطاب في المعاجم العربية والغربية، مجيئه مرادفاً للكلام المنطوق المبني على الحوار الشفوي بين طرفين متفاعلين، هما: مخاطب (مرسل) ومخاطب (متلقي) ويؤدي بطبيعة الحال إلى التواصل والتفاعل بينهما. وبذلك يكون قد ركز المعنى المعجمي على الدور الوظيفي للخطاب.^٥

التعريف الاصطلاحي للخطاب

يُعدّ تناول تعريف الخطاب وأنواعه أمرًا مطوّلًا، لتعدد تعريفاته، فقد بدأ هذا المصطلح بمعناه الدلالي لدى فرديناند دي سوسير في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة، الذي اشتمل على مبادئ أساسية ساعدت على توضيح مفهوم الخطاب، وقد قُدّمت له تعريفات متعددة باختلاف المنطلقات الأدبية واللسانية^٦. فمن تعريفات الخطاب: "اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة كما أنه يتكون من متتالية تشكل مرسلّة لها بداية ونهاية"، وقد لحق الخطاب بعلم اللسانيات والمجال اللساني على اعتبار أنه يتكون من وحدة لغوية أساسها سلسلة من الجمل تعبر عن أي رسالة أو مقول. ويعتبر في هذه الحالة مجموع قواعد متسلسلة وتتابع الجمل المكونة للمقول^٧. كما يعرف الخطاب في تعريف الخطاب وأنواعه، بأنه الوسيط اللساني المستخدم لنقل مجموعة من الأحداث الواقعية والتخيلية التي سمّاها جينيت بالحكاية، وعرفه جابر عصفور: "في كل اتجاهات فهمه، هو اللغة في حالة فعل، ومن حيث هي ممارسة تقتضي فاعلا، وتؤدي من الوظائف ما يقتزن بتأكيد أدوار اجتماعية معرفية بعينها"^٨. وورد في كتاب تعريف الخطاب وأنواعه، بأنه كلام أو حديث أو محادثة؛ وقُصد بعد ذلك كل كلام رسمي، أو سرد، أو خطاب سياسي أو ديني؛ واستخدمه اللغويون على أنه وحدة كلامية أكبر من الجملة، وكل هذا حسب المعنى اللغوي التقليدي للكلمة، إلا أنّ معناها الفلسفي الغربي أكثر دلالة وعمقا، خاصة بعد استخدامه من قبل الفلاسفة الأوروبيين، مثل الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو في ستينيات القرن العشرين الماضي، واللغوي البريطاني نورمان فيركلف^٩. وإن الذي سبق من دور المؤسساتيّة في صنع الخطاب، وتأثيره هو ما قال فيه إدوارد سعيد عندما تحدث عن خطاب غربيّ سماه "الاستشراق" في كتاب الاستشراق، "وهو خطاب يعمل سلبيًا في الشرق منذ عدة قرون في مختلف المجالات، والقصد أن الممارسات الخطابية التي يمكن عزو بعض التغيرات إليها في العالم العربي الحاضر قد لا تشكل الصورة الكاملة لما يحدث؛ فالممارسات الخطابية ليست شاملة حتى يُعزى إليها تغيير مجتمعات أكثر تعقيدًا، كما لا يمكن أيضًا نفي تأثير تلك الممارسات الخطابية كليا؛ لأنها بالتأكيد تُساهم في صنع التغيير وتشارك فيه، بغضّ النظر عن كونه تغييرًا إيجابيًا أو سلبيًا"^{١٠}. ويذهب فوكو إلى أنّ الخطاب مساحة ذات حدود قوية من المعرفة الاجتماعية؛ ونظام من القول يمكن من خلاله معرفة العالم، المظهر

الأساسي فيه هو أن العالم ليس "هناك" ببساطة حتى يمكن الحديث عنه؛ وإنما من خلال الخطاب نفسه يصبح للعالم كينونة، ويمكن للمتكلمين والسامعين والكتاب والقراء من فهم أنفسهم وعلاقاتهم ببعضهم، ومكانهم في العالم، وهذا ما يعرف ببناء الذاتية/الفاعلية ومجتمع العلامات التي تنظم الوجود الاجتماعي وإعادة الإنتاج المجتمعي الذي تعدّ قانوناً لما يمكن أن يقال وما لا يقال، ويشكّل طبيعة الخطاب^{١١}.

أنواع الخطاب

كان أكثر الحديث فيما سبق عن الخطاب المؤسسي، ولكن في تعريف الخطاب وأنواعه، تتعدد أنواع الخطابات ومسمياتها، وفيما يأتي استعراض لبعض أنواع الخطابات، والتي سيبدو من تعريفها أن هناك تقاطعات معها، ما دام الأساس في الخطاب اللغة:

١- **الخطاب الديماغوجي:** ويُعرف أيضاً باسم الدّهْمَاوِيَّة أو الدّهْمَايَّة أو العَوْغَائِيَّة، وهو خطاب يستخدم مخاوف الآخرين وأفكارهم المسبقة لإقناعهم. وهو خطاب سياسي للحصول على السلطة وكسب القوة السياسية، من خلال مناشدة التحيزات الشعبية بالاعتماد على مخاوف الجمهور وتوقعاته المسبقة، عن طريق الدعاية الحماسية، والخطابات المتنوعة ذات المواضيع القومية والشعبية التي تستثير عواطف الجماهير. والديماغوجي هو الشخص - خاصةً الحزبي - الذي يسعى لجذب الناس إليه باستخدام الوعود الكاذبة، والتملق، وتشويه الحقائق، من خلال الاستناد إلى شتى فنون الكلام وضروبه والأحداث المتنوعة لتأكيد كلامه، دون وجود برهان أو منطق^{١٢}.

٢- **الخطاب الانتخابي:** وهو فرع من فروع الخطاب السياسي في تعريف الخطاب وأنواعه، يستخدمه السياسي المترشح لمنصب ما. وهو خطاب مكتوب، ويستخدم في الحملات الانتخابية التي تُجبر المرشحين على مخاطبة الناس عدة مرات يومياً أو أسبوعياً وقت ظهورهم على الملأ. وأهمية هذا الخطاب تكمن في حفاظ المرشحين على رسالتهم وتركيزهم عليها، وتقديم بعض الحجج باستمرار أو الإشارة إلى جوانب معينة من منبرهم السياسي. وغالباً ما يستخدم المرشحون الأحداث الكبرى لكشف النقاب عن خطاب سياسي جديد أو معدل بشكل كبير. خطاب الصورة وخطاب

النص يدخل في تعريف الخطاب وأنواعه، تحليل الصورة بوصفها متقاربة مع تحليل النص؛ لاشتراكهما في نفس قواعد التحليل، فالخطاب يتعامل مع الأفعال مثل يمشي ويأكل ويشرب، وهذه الأفعال يمكن أن تحددها الصورة مع ذكر ماهية الشيء المأكل أو المشروب أو طريقة المشي. واللغة في النص تحتوي على صفات مثل الحزن والفرح، كذلك الصورة فهي أقدر علي التعبير عن الضحك والتفريق بينه وبين التسميم. كما تستخدم اللغة حروف الجر لتوضيح الاتجاهات والترابط بين الجمل، والصورة توضح أيضًا حروف الجر كأن يكون الشيء فوق أو تحت أو داخل، ويمكن أن تحتوي الصورة على أكثر ما تحتوي عليه اللغة في تحليلها^{١٣}.

وإذا كانت اللغة تكشف عن أيديولوجيا الكاتب في تعريف الخطاب وأنواعه، فإن الصورة تكشف عن أيديولوجيا المصور الذي يختار جزءًا من الحدث ليوجه إليه كاميرته ويختار إضاءته التي تبرز شيئًا وتخفي آخر. والصورة لها العديد من العلاقات مع النص، فقد تكون علاقتهما تكاملية يكمل كل منهما الآخر، وقد تكون علاقة تضاد فلا تعبر الصور عن المضمون بالفعل، وبين العلاقة التكاملية وعلاقة التضاد هناك مجموعة من العلاقات الوسيطة، فعند تحليل خطاب الصورة لابد أن يكون محلل الصورة قادرًا على إقامة العلاقة التكاملية أو التضادية بين النص والصورة^{١٤}.

٣- **الخطاب الديني:** والخطاب الديني نوع من الخطابات التي تتقاطع مع الخطابات السياسية في استخدامها الأدوات والاستراتيجيات الإقناعية ذاتها، إلا أن الفرق بينهما في المضمون، فالخطاب الديني يكون الخطاب الوعظي، أو الخطاب الدعوي جزءًا منه - يتناول موضوعات مثل الترهيب والترغيب والإرشاد والتوجيه والدعوة إلى الإسلام، وقضايا الإيمان والعقيدة والتوحيد، مستعينًا بالخطيب في كل ذلك بأحداث واقعية وأدلة من الشريعة الإسلامية، الزواج والطلاق، وبر الوالدين، والظلم، وطاعة ولي الأمر، والرشوة، والنميمة، والكذب، والحسد، وغيرها^{١٥}.

٤- **الخطاب الإشهاري** ومجموعة من العناصر اللغوية المختلفة المتداخلة والمتشابكة، التي تجمع عبر نسق تواصلية ووسائل تواصل جماهيري، بين منتجين ومستهلكين، أو

مبدعين أدبيين وفنيين ومتلقين، في أفق إنتاج رسائل سمعية وبصرية، الغاية منها إشهار ثقافة جماهيرية والترويج لها لخدمة المستهلكين واستغلالهم^{١٦}.

الخاتمة

المقالة تناقش مفهوم الخطاب وتعريفاته في اللغة والاصطلاح، مع التركيز على تطور هذا المفهوم في العلوم الإنسانية والاجتماعية. تتناول المقالة أنواع الخطاب المختلفة، مثل الخطاب الدماغوجي، والخطاب الانتخابي، والخطاب الديني، والخطاب الإشهاري، مع توضيح خصائص كل نوع. كما تبرز أهمية دراسة الخطاب في فهم كيفية استخدام اللغة في بناء المعاني والتأثير على الجمهور.

المصادر والمراجع

- ١- ماري كريساين ليبس، "الخطاب" الموسوعة النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة حسن البنا عز الدين، المركز القومي للترجمة، (د. ت) ص: ١٠٤
- ٢- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط ٥، دار صيدا، بيروت، ص: ٩٢
- ٣- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ج ١، مادة خطب، ط ٥، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص: ٣٦٠ - ٣٦١
- ٤- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبعية، ط ٤، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥ م، ص: ٢
- ٥- المرجع نفسه، ص: ٣
- ٦- لامية بو داوود، تحليل الخطاب الميني روائي في الجزائر رواية، (أوشام بربرية) لجميلة زنير أنموذجا، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص: ١٣، بتصرف.
- ٧- عيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ط ٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص: ٢١.
- ٨- جابر عصفور، آفاق العصر، المرجع السابق، ص: ٤٨



- ٩- أندرو باربي "ما هو الخطاب ؟ وما هي الممارسات الخطابية؟"، www.alukah.net، تاريخ الإطلاع، ١٢-٠٩-٢٠٢٢م. بتصرّف.
- ١٠- المرجع نفسه.
- ١١- المرجع نفسه.
- ١٢- "ديماغوجيا"، www.wikiwand.com، تاريخ الإطلاع، ١٩-٠٩-٢٠٢٢م. بتصرّف.
- ١٣- أ. ب "خطاب الصورة"، www.wikiwand.com، تاريخ الإطلاع، ١٢-٠١-٢٠٢٢م. بتصرّف.
- ١٣- "تجديد الخطاب الدعوي"، www.saaaid.net، تاريخ الإطلاع، ١٣-٠٩-٢٠٢٢م. بتصرّف.
- ١٤- المرجع نفسه
- ١٥- علي الخفاجي وعاصم الأعسم، "بلاغة الصورة الإشهارية في فنون ما بعد الحداثة"، مجلة نانو للبحوث والدراسات- جامعة بابل،
- ١٦- لامية بو داوود، تحليل الخطاب الميني روائي في الجزائر رواية، (أوشام بربرية) لجميلة زنير أنموذجا، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص: ١٣، بتصرّف.
- ١٧- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ط ٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص: ٢١٠.
- ١٨- جابر عصفور، آفاق العصر، المرجع السابق، ص: ٤٨



السكاكي وكتابه مفتاح العلوم: دراسة وصفية

عبد السلام عمر

Umar Abdulsalam

Center for Ilorin Study,
University of Ilorin
08062624291

حياة المؤلف

السكاكي هو يوسف أبي بكر بن محمد السكاكي أبو يعقوب سراج الدين ولد في حوازم وتوفي فيها على الأغلب. لقب بالسكاكي نسبة إلى مهنته السكاكي (الحدادة) التي كانت تحترفها أسرته، إذ كانت تشتهر بصناعة السكك (المحاريث)، وكان السكاكي يعمل في صناعة المعادن إلى أن بلغ الثلاثين عمره، فأتقن مهنته وحذق فيها حتى نال خطوة مكرمة عند أولي الأسرة، فقد ذكرت بعض الروايات أنه قام بصنع محبرة صغيرة ذات قفل عجيب، لا يزيد وزنها على قيراط^١.

أما ثقافته

فكانت ثقافة أبناء عصره هي الدراسات القرآنية والفقهية واللغوية وأصول علوم اللغة والبلاغة والعروض والاستدلال، فضلا عن المنطق. لم يقتصر السكاكي على اللغة العربية بل كان عارفا باللغتين التركية والفارسية، تشير المصادر إلى أنه عمل بالسحر قبل انصرافه إلى تحصيل العلم.

والسكاكي معدود من أعيان رجال البلاغة في القرن السابع الهجري، وله مصنفات شتى منها (كتاب الجمل) وهو شرح كتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني و(كتاب التبيين)، و(كتاب التبيان) و(الطلسم) وهو باللغة الفارسية وله الرسالة في علم المناظرة^٢. أما عن مولفاته فهو كتاب مفتاح العلوم الذي لم يطبع له سواه.

مقدمة الكتاب

أما غرة مؤلفاته فهو كتاب "مفتاح العلوم"، وقد قسم كتابه هذا إلى ثلاثة أقسام رئيسة تحدث في القسم الأول منها عن علم الصرف بأنواعها، وفي القسم الثاني: عن علم النحو وموضوعاته وجعل القسم الثالث لعلمي المعاني والبيان، ألحق بهما مبحثاً عن الفصاحة والبلاغة، وآخر عن فنون البديع بمحسناته اللفظية والمعنوية، ثم وجد أنه لا غنى لدارس علم المعاني عن الوقوف على علوم المنطق والعروض والقوافي. فأفرد لها مبحثين في نهاية الكتابة.

وشهرة السكاكي ترجع بالفعل إلى القسم الثالث من كتابه الذي تناول فيه علوم البلاغة، فقد استطاع أن يستوعب دراسات من سبقوه مما يكون في هذا المجال، ولا سيما "أسرار البلاغة" ودلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٠)، والكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لمعاصره الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ).^٣

وصاغ ذلك كله صياغة جديدة استعان فيها بقدرته المنطقية على التجريد والتجديد والتفريع والتشعيب والتعليل والتسبيب، وكانت محاولته من الدقة والصرامة بحيث تحولت البلاغة إلى مجموعة من القواعد الصارمة والقوانين المحددة.

وقد نجح السكاكي في الإحاطة الكاملة بالأقسام والفروع، غير أنه بذلك قد ضحى بأهم ما يميز البلاغة وأنها على جمالي يبحث عن قيم الجمال والإمتاع في العمل الأدبي. فعمد من جاء بعده إلى شرح مفتاحه ثم إلى تلخيص هذا المفتاح.^٤

يعتبر "مفتاح العلوم" فتحاً عظيماً في علم البلاغة، لذا لقي من العلماء عناية كبيرة بالشرح والتلخيص وكتابنا هذا هو تلخيص مفتاح، خذف فيه صاحبه ما اعتبره حشواً مبقياً على قواعد وأمثله مع إضافة بعض القواعد من غيره بل أحياناً يكون هو الوقف عليها دون سبق إليها.

وإنما نجد فيه الدقة والقدرة البارعة على تبويب والإحاطة الكاملة بالأقسام والفروع غير أن ذلك عنده لم يشفع بتحليلات الشيخ عبد القاهر والعلامة الزمخشري التي كانت نملأ النفوس إعجاباً وبهجة وريعة، فقد تحولت البلاغة في تلخيصه إلى علم بأدق المعاني لكلمة علم فهي قوانين وقواعد تخلو من كل ما يمنع النفس.^٥



لب الكتاب

فهذا الكتاب مشتمل على ثلاثة فصول، القسم الأول في علم الصرف بيان حقيقته وكيفية الوصول إليه وفي بيان كونه كافيا لما علق قلبه بعلوم اللغة. القسم الثاني من الكتاب في علم النحو، وفيه فصلان؛

- ١- ما هو علم النحو.

- ٢- ضبط ما يفتقر إليه في ذلك.
- الباب الأول في القابل وهو المعرب.
- الباب الثاني في الفاعل.
- الباب الثالث في الأثر وهو الإعراب.
- ٣- القسم الثالث من الكتاب في علمي المعاني والبيان.

مفهوم علم البيان والمعاني والعرض فيهما، وفيه فصلان لضبط عقدهما والكلام فيهما. القانون الأول فيما يتعلق بالخبر من حيث تقسيمها المألوف.

١. التمني

٢. الاستفهام

٣. والأمر

٤. والنعت

٥. والنداء

الفصل الثاني في علم البيان، الأصل الأول.

النوع الأول النظر في طرقي التشبيه والمشبّه به.

النوع الثاني - النظر في وجه التشبيه.

النوع الثالث - في الغرض من التشبيه.

الأصل الثاني في علم البيان

(١) المجاز اللغوي - الراجع إلى معنى الكلمة غير مقيد.

الفصل الثاني: المجاز اللغوي الراجع إلى المعنى المقيد الخالي عن المبالغة في التشبيه.

الفصل الثالث: الاستعارة.

القسم الأول: الاستعارة المصريح بها التحقيقية مع القطع.

القسم الثاني: الاستعارة المصريح بها مع التجميلية مع القطع.

القسم الثالث: في الاستعارة المصريح بها المحتملة للتحقيق والتخييل.

القسم الرابع: في الاستعارة بالكتابة، هي كما عرفت أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به.

القسم الخامس: في الاستعارة الأصلية، هي أن يكون المستعار اسم جنس كرجل وأبيه.

القسم السادس: الاستعارة التسبعية.

الفصل الرابع: من فصول المجاز اللغوي الراجح إلى حكم الكلمة في الكلام.

الفصل الخامس: في المجاز الفعلي^٦.

أسلوبه ومنهجه في كتابه "مفتاح العلوم"

ويبقى السكاكي من أبرز مؤسسي علوم البلاغة العربية وعلماء من أعلامها في القرن السابع، ومن أوائل الذين قسموها إلى أنواعها المعروفة.

وشهرته إنما بالقسم الثالث من الكتاب الخاص بعلمي المعاني والبيان ولواحقها من الفصاحة والبلاغي والمحسنات البديعية اللفظية المعنوية.

فقد أعطى لهذا كله الصبغة النهائية التي عكف عليها العلماء من بعده يتدارسونها ويشرحونها مرارا إذ استطاع أن ينقل من خلال الكتاب البلاغية قبله إلى عمل ملخص دقيق لما نشره أصحابها من آراء من استطاع أن يضيفه. وكان عمدته في ذلك كتابي عبد القاهر "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" والكشاف للزمخشري، ونهاية الإعجاز في دراية الإعجاز للإمام الرازي الذي لخص فيه كتابي الإمام عبد القاهر "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة".

ومن الحق والإنصاف أن تلخيصه أدق من تلخيص الفخر الرازي، وكأنما عقله أكثر دقة وطبعا للمسائل في هذا الفن، لقد كان أكثر تنظيما في تناول المسائل، وأسد تقسيما مع ترتيب للمقدمات وأحكام المقاييس وصحة البراهين، وبذلك استقام تلخيصه بحيث ما نجد فيه عوجا.

وقد نهج السكاكي منهجا ليس له مثل ولا شبه قبله حيث اهتم بهذه الفكرة الرئيسية الذوق في اللغة العربية مثل النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع، وهو ابتكر على الذوق الذي احتوى له من فهمه المنطق السليم.

لقد كان العلماء قبله يدرسون اللغة العربية بالقواعد اللغوية فقط دون الذوق، ولذوق هذا ما رسمه السكاكي في كتابه المسمى مفتاح العلوم.

لقد أكثر العلماء المدح والثناء على هذا العلامة من قبيل رد الجميل والوفاء له، منها ما يأتي^٧:

١. قال صاحب معجم الأدباء "علامة" إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، وهو متكلم فقيه متقن في علوم شتى. وهو أحد أفاضل العصر.
٢. قال ابن فضل: إنه ذو علوم سعى إليها فحصل طرائفها. وحضرت تحت جناحه طوافها واهتر الغض البارح وللزم من تقدمه في الزمان فأضحى الفضل كله ناطق في عنانه.

المراجع والمصادر:

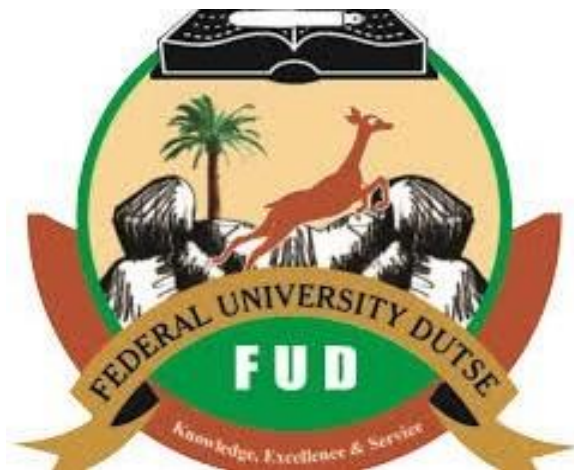
١. أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (البيان والتبيين) صفحة ١١٥
٢. احمد الثائب (الأسلوب دراسة بلاغية) الصفحة العاشرة مزينة ومنقعة ١٩٩٨م
صفحة ٥١
٣. أحمد حسن الزيات عضو مجمع اللغة العربية (تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا) الصفحة ٢٣٠
٤. عبد الرحمان يعقوب السكاكي (مفتاح العلوم) صفحة ١٥
٥. عبد القاهر بن عبد الرحمان بن مُجد الجرجان النحوى (دلائل الإيجاز) صفحة ٤٠٧
٦. أحمد مصطفى المراغي (كتاب علوم البلاغة البيان المعاني البديع) صفحة ١١
٧. عبد الرحمن يعقوب السكاكي، كتاب في علم البديع صفحة ٢٩



An-Naseem

Journal of Arabic Language and Literary Studies

ISSN: 2814-1857



**A Publication of
Department of Arabic,
Faculty of Arts and Social Sciences
Federal University Dutse, Jigawa State, Nigeria**

Volume 1, No. 5, 2026 (1447AH)